# شعر لامارتين

## في ترجماته العربية

جمع ودراسة وتحقيق

**د. محمد زكريا عناني**

الكويت

2006

راجع هذا الكتاب وأشرف على طباعته

**عبدالعزيز محمد جمعة**

الصف والتنفيذ

**قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة**

تصميم الغلاف والإخراج الداخلي

**محمد العلي**

**فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر**

811 شعر لامارتين: في ترجماته العربية/ جمع ودراسة وتحقيق محمد زكريا عناني. –
ط1 . – الكويت : مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2006.
366 ص ؛ 24 سم.
1 . الشعر العربي – العصر الحديث. 2 . الشعر العربي – دواوين وقصائد.
أ . محمد زكريا عناني (جامع) ب . مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. الكويت (ناشر)

رقم الإيداع : **Depository Number: 2006 / 450**
ردمـــــــك: **ISBN : 99906 -72 - 41 - 5**

الآراء الواردة في هذا الكتاب تمثل رأي الكاتب بمفرده، ولا تمثل بالضرورة رأي المؤسسة.

حقوق الطبع محفوظة

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

**هاتف:** 2430514 **فاكس:** 2455039 (00965)

E-mail : kw@albabtainprize.org

# التصدير

يسعدني أن أقدّم لقراء العربية والمكتبة العربية هذا الكتاب الموسوم بـ«شعر لامارتين في ترجماته العربية» الذي عكف على جمعه وتحقيقه ودراسته باحث عربي معروف هو الأخ الدكتور محمد زكريا عناني .

وهو كتاب يكتسب أهميته من كونه يجمع بين دفتيه ترجمات متنوّعة لبعض قصائد شاعر الرومانسية الكبير ألفونس دي لامارتين . وقد قام الدكتور عناني مشكوراً برصد ما استطاع رصده من ترجمات لأشعار لامارتين لعدد من المترجمين والأدباء العرب ، ولعل أشهر قصائده التي تواترت ترجمتها على يراعات المترجمين هي قصيدة «البحيرة» ومن ثم قصائد «العزلة» ، و«الخلود» ، و«الوادي» و«الخريف» وغيرها من القصائد ، وهي بلا شك ، وكما أشار الباحث نفسه ، أكثر من ذلك بكثير ، ولكنها الخطوة الأولى التي تمهد الطريق أمام الباحثين للإحاطة بها والمضي قُدمًا نحو تحقيق الهدف المنشود .

إن صدور هذا الكتاب بمناسبة عقد الدورة العاشرة للمؤسسة في باريس والتي تحمل اسم «شوقي ولامارتين» يدعم ويعزّز إصدارات الدورة حول هذا الشاعر الكبير الذي يصدر له في هذه الدورة كتاب «مختارات من شعر لامارتين» وتُرجم له كتابا «رحلة إلى الشرق» و«حياة محمد» .

والمؤسسة إذ تقدّم لقرّاء العربية هذا الكتاب المهم لترجمات أشعار مبدع فذ استحوذ على الإعجاب شرقًا وغربًا ، لتأمل أن يكون - إلى جانب أمثاله من الإصدارات حول

لامارتين – تمهيداً مباشراً في رصد التأثر المتبادل بين الأدبين واللغتين في فرنسا والوطن العربي ، ذلك التأثير ، الذي بدأ يتكثف مع نشاط حركة الاستشراق والرحلات وبخاصة في القرن التاسع عشر . كما تأمل المؤسسة أن يكون هذا الكتاب فاتحة طيبة للحوار الثقافي واللقاء الحضاري بين الشرق والغرب ، وهذا وحده مطلبٌ نبيلٌ وهدف يُقصد لذاته .

ويسعدني تقديم بالغ الشكر لكل من كان وراء إنجاز هذا الإصدار .

**والله من وراء القصد.**

**عبدالعزيز سعود البابطين**

الكويت

السابع والعشرون من شعبان 1427هـ

الموافق للعشرين من سبتمبر 2006م

****

# تقديم

لا يتسع هذا التقديم لأكثر من بضع إضاءات حول هذه المجموعة من النصوص لشاعر الرومانسية الأعظم: ألفونس دي لامارتين[1]، والتي تم نقلها إلى العربية في صياغات تراوحت ما بين الشعر والنثر، وما بين السلاسة المرهفة، وأساليب النقل المباشر.

ولا شك أن هذه المجموعة لا تضم كل شعر لامارتين المنقول للعربية، فما من سبيل للوصول إلى كافة ما هنالك من كتب ودوريات وصحف ومجلات مما صدر في الوطن العربي منذ انتشار الطباعة وحتى الآن، فالمسافات شاسعة، وسبل الاتصال يعرف أمرها القاصي والداني، وما أكثر الضائع أو التالف من الدوريات العربية، بحيث إن ما يتم جمعه لا يعدو أن يكون محاولة دؤوبًا لتقصي الظاهرة – ظاهرة اتساع مدى الترجمة بالنسبة للامارتين – دون الزعم بالاستيعاب، فإن دون هذا خرط القتاد، وبحسب هذه المجموعة أنها التفتت إلى تلك الظاهرة «اللامارتينية» بالغة الاتساع.

هناك، ولا شك، شعراء أوربيون وأمريكيون آخرون استحوذوا على الإعجاب، وتمت عملية نقل أشعار لهم نشرت في كتب ومجلات عدة، يأتي على رأسهم هومير، الذي حظيت ملحمتاه : الإلياذة والأوديسا بالعديد من الترجمات، ربما كان على رأسها الترجمة الشعرية التي قدمها سليمان البستاني، وكذلك الكوميديا الإلهية، والتي نقلها نثرًا د. حسن عثمان، وكذلك الفردوس المفقود التي نقلها للعربية د. محمد عناني.

وما دام الحديث يتناول الأعمال الملحمية؛ فتجدر الإشارة إلى الشاهنامة للفردوسي والتي تم نقلها للعربية علي يد البنداري ونشرها د. عبدالوهاب عزام.

---

(١) لم تستقر الأقلام العربية علي شكل بعينه للاسم، فكثيرًا ما يكتب: لامارتين، لامرتين، وبدرجة أقل لمرتين، وكلها صحيحة.

ومن الأعمال الأخرى الشرقية يشار إلى عبد الرحمن جامي ومطولتيه يوسف وزليخا وسلامان وأبسال (بترجمة عبد العزيز بقوش) كما تم نقل المثنوي لجلال الدين الرومي من خلال ترجمة د. إبراهيم الدسوقي شتا، ولعل أكثر الشعراء الشرقيين الذين حظوا بالاهتمام : محمد إقبال والذي نقل إلى العربية من خلال ترجمة عبد الوهاب عزام لكل من: رسالة الشرق (بيام مشرق) و(ضرب الكليم) وديوان الأسرار والرموز، ونقلها أيضًا جلال الدين الحفناوي، مؤخرًا، كما نقلت لإقبال هدية الحجاز (ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم)..إلخ.

أما العمل الأدبي الشرقي الذي استولى على الألباب، فهو – ولا شك – رباعيات الخيام حيث توجد لها قرابة عشر ترجمات متنوعة، منها – على سبيل المثال – الترجمات الشعرية لكلٍّ من إبراهيم العريض، وأحمد الصافي النجفي، وأحمد زكي أبي شادي، وعبد الحق فاضل، ومحمد السباعي ... إلخ، علاوة على الترجمة ذائعة الصيت لأحمد رامي.

كذلك اعتنى النقلة بأعمال الشاعر الألماني جوته، وقد نقلت بعض مسرحياته الشعرية في قالب شعري عربي مثلما فعل د. محمد عبد الحليم كرارة في نقله لمأساة فاوست وكذلك في تعريبه لمسرحية إفيجينيا.

أما عبد الرحمن بدوي فإنه نقل إلى العربية (في ترجمة نثرية) ما حمل عنوان : «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي».

ولقي شعراء آخرون قدرًا موفورًا من العناية، ويكفي الإشارة لأسماء بالغة الأهمية مثل طاغور، وكذلك الشاعر الفرنسي بودلير، والإنجليزي إليوت واليوناني المتمصر كفافس (وكذلك جورج سفيرس) والإسباني لوركا ... إلخ، والحديث عن الشعر المترجم إلى العربية يمثل وجهًا آخر من أوجه الاتصال العميق بعطاء الآخرين، ويفتح الأبواب أمام دراسات نقدية ومقارنة متعددة الأبعاد.

أما لامارتين، فمن الممكن القول بأن الكتابات العربية عنه كانت قليلة للغاية في خلال القرن التاسع عشر، لعل أقدمها ما يتصل بالشاعر اللبناني خليل الخوري (١٨٣٦ –

٧.١٩) (قارن عمره بعمر لامارتين : ١٧٩٠ – ١٨٦٩) الذي أبدى إعجابه بلامارتين كما يبدو هذا بجلاء في القصيدة التي كتبها عن الشاعر الفرنسي، والتي أرسلها إليه (بما يعني أنها كتبت في حياة لامارتين) ومطلعها:

**حـــزت الـتـــــفـــــرد يـــا دلامـــــرتـين إذ**
**فـــقت الـعـــبـــاد وأنت نـعم الـلـوذعـــى**
**هـــذّبت أفكـــار الـعـــبـــاد ولم تـزل**
**تجـــري الـعظـائم من فـــؤادٍ مـــبـــدعِ**
**في الشـــرق قـــد عظمت لـذكـــرك رنّةٌ**
**لـمـا اســـــتـنـار بـنـــــورك المـتـلـمـعِ**[1]
**قـــد قـــادني لـلـشـــعـــر شـعـــرك إذ حـــلا**
**ورأيـتـــــه يـــدعـــــو فـــلم أتمـنـعِ**[2]

والملاحظ أن كـتـابًا مـثل «تـخليص الإبريز» لرفـاعـة الطهطاوي؛ يخلو من أي ذكـر للامـارتين، على الرغم من أن رفـاعـة عاش خـمس سنوات في باريس، شـهـدت صـفـحـات حافلة بأمجاد الشاعر الفرنسي، في حين أن صاحب «التخليص» ذكر أسماء أخرى مثل روسو ومنتسكيو.

على أن الشـاعر يحظى باهتمام كبير مع ظهور التيارات الحديثة وازدياد الاتصـال بالثـقـافـات الأوربيـة، ومما يسـجل في هذا الصـدد مـا يجيء فـي كـتـاب روحي الخـالدي (المقدسي) : (تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب، وفيكتور هوكو) وظهرت الطبعة الأولى منه سنة ١٩١٢ بالقاهرة، ثم توالى نشره بعد ذلك، وفيه عن لامارتين :

---

(١) للمزيد من التفصيلات يراجع من أعمالنا :
– ترجمة الشعر : مساراتها وإشكالياتها، الإسكندرية ١٩٩٤ في ٥٣٧ صفحة، وكذلك كتابنا :
– نحن وآداب العالم، وغيرها.

(٢) نقلاً عن د. نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية، ص ١٦١، استنادًا إلى ديوان خليل الخورى: زهر الربى في شعر الصبا: ص ٧٩ – ٨٠ .
وراجع عن خليل الخوري : جـرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العـربيـة ٤ / ٢٥، (طبـعـة د. شـوقي ضـيف)، ومراجعته.

«ثم ظهر لامارتين الشاعر السياسي الشهير ونظم ديوان «التفكرات الشعرية» فكان أول بناء من أبنية الشعر الجديد الموسيقي (ليريك) وخالف فيه أساليب من تقدمه كما خالف المتنبي أساليب الشعراء الجاهليين. واشتمل ديوان لامارتين على تمجيد الله الذي شرف عن التمجيد وعلى استغراقات في الحب وتجليات لطيفة ووصف مظاهر الكون وعالم الطبيعة وصفًا بديعًا. ومن أحسن ما نظمه قصيدة (البحيرة) التي ترجمها نظمًا للسان العثماني سعد الله باشا سفير الدولة العلية في فيانا وباريس سابقًا، وفهمت بأن أحمد بك شوقي شاعر الحضرة الخديوية ترجم القصيدة المذكورة للعربية، وساح لامارتين في الشرق وأحسن عليه ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان بمزرعة (جفلك) في ولاية أزمير فمكث فيها وفي ربى لبنان وحرر سياحته الشرقية وتاريخ الدولة العثمانية في ثمانية مجلدات ونظم ديوان الألحان الشعرية والدينية وغيرها»[1].

كذلك تأتي عن لامارتين وكتاباته ورحلته إلى الشرق أخبار ولمحات هنا وهناك، – منها على سبيل المثال لا الحصر (لأن محاولة التقصي تمثل عملاً مستقلاً، يحتاج إلى وقت وصفحات بل مجلدات ..) ما يأتي عند لويس شيخو في «الآداب العربية في القرن التاسع عشر»[2] وغيره من أصحاب المؤلفات العامة في تاريخ الأدب (وحتى المؤلفات التي تغفل الحديث عنه يمكن أن تفسح المجال أمام استنتاجات متنوعة في هذا الصدد).

وإذن فلتكف مجرد إشارات على أعمال مثل موسوعة نجيب العقيقي : الأدب المقارن[3]، والكتاب الجامع الذي نشره كلٌّ من أحمد أمين وزكي نجيب محمود بعنوان: قصة الأدب في العالم[4]، والعديد من المؤلفات التي تتناول الحركة الرومانتيكية، خاصة الرومانتيكية الفرنسية، و على رأسها كتاب د. محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، وكتاب د. عيسي بلاطة : الرومنطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث، وتناول د.محمد غلاب

(١) تاريخ علم الأدب، ص ١٦١ من طبعة دمشق ١٩٨٤ بتقديم د. حسام الخطيب.

(٢) ط. بيروت، ١٩٢٤، ص ٢٥ .

(٣) نجيب العقيقي : من الأدب المقارن، ج١، ص ٩٢، طبعة الأنجلو المصرية ١٩٧٥م.

(٤) أحمد أمين وزكي نجيب محمود : قصة الأدب في العالم، ج٣، ص ١١٥ من طبعة هيئة قصور الثقافة (سلسلة ذاكرة الكتابة) القاهرة ٢٠٠٢م.

لـ «أدباء الرومانتيكية الفرنسية» ودراسة إيليا الحاوي : «الرومنسية في الشعر الغربي والعربي» وكذلك كتاب د. تاج السر الحسن : «الابتداعية (الرومانتيكية) في الشعر العربي الحديث»... إلخ[1]، وعدد لا بأس به من الدراسات المقارنة، ومن أوائلها دراسة عبد الرزاق حميدة بعنوان : «الأدب المقارن»، ويضم بحثًا موسعًا حول شعر البحيرات في الآداب العربية والإنجليزية والفرنسية، ثم توالت الدراسات المقارنة، وتنوعت ما بين أعمال بالغة الجودة مثل مؤلفات د. الطاهر أحمد مكي، إبراهيم عبد الرحمن، سعيد علوش، حسام الخطيب، وأخرى يختلف نصيبها من الإجادة أو ما دون الإجادة، بحسب طبيعتها الأكاديمية أو التدريسية، ولا يزال كتاب محمد غنيمي هلال : «الأدب المقارن» يمثل – على علاّته – أفضل ما كتب في العربية في مجاله.

وإذا كانت بعض المؤلفات المقارنة خلت تمامًا من أي تناول لشعر لامارتين (خاصة المؤلفات المقارنة التي ألفها أساتذة متخصصون في اللغات الشرقية..) فإن عددًا لا بأس به منها تحدث عن لامارتين وأثره في الشعر العربي، خاصة من خلال قصيدته ذائعة الصيت: «البحيرة».

وبالنسبة للكتب التي كُرّست بكاملها لـ : لامارتين، فيأتي على رأسها كتاب إلياس أبي شبكة ويقع في أربع وتسعين صفحة من القطع المتوسط، وكل ما حمل على غلافه الكلمات الآتية :

---

(١) يراجع أيضًا عن الرومانتيكية :

- مقدمة كروميل (فكتور هيجو) ترجمة د. علي نجيب إبراهيم، دمشق ١٩٩٤م.=
- الرومانتيكية : ما لها وما عليها، روبرت جلكنر وجيرالد انسكو، ترجمة أحمد حمدي محمود، القاهرة ١٩٨٦.
- الخيال الرومانسي لسير موريس بورا، ترجمة إبراهيم الصيرفي، القاهرة ١٩٧٧م.
- الرومانتيكية والواقعية : يانكو لافرين، ترجمة حلمي راغب حنا، القاهرة ١٩٩٥م.
- أقدم لكم الرومانسية : دونكان هيث وجودي بورهام، القاهرة ,٢٠٢م.

ومن المفيد للغاية مراجعة دراسة بول فان تيجم الموسعة : الرومانسية في الأدب الأوربي، وقد نقل منها جزءان بدمشق ١٩٨١ بترجمة صيّاح الجهيم.

**إلياس أبو شبكة**

# لامرتين

**لذكرى مرور مئة سنة على رحلته إلى الشرق**

**١٨٣٣ - ١٩٣٣**

LAMARTINE

En mémoire de son voyage en Orient

1833 - 1933

مكتبة صادر – بيروت

وقد استغرقت عملية عرض مراحل حياة الشاعر الجانب الأكبر من هذا الكتاب الصغير، ومما يضمه مقاطع متناثرة من شعره في (جوليا) – ألفير – في (البحيرة) :

«**ذات مساء، أتذكرين ؟ كنا نعوم بسكون**
**على أحشاء أمواجك المفضضة بضوء القمر**
**وعلى دويِّ الجذّافين الضاربين بإيقاع**»

إلا أن لامارتين أسقط البيت الثاني واستبدله بـ :

«**ولم يكن يسمع في الأبعاد، على الماء وتحت السماء**
**إلا دويّ الجذافين الضاربين بإيقاع**
**أمواجك الموسيقية**»

وقد قدم إلياس أبو شبكة لمحات عن قصيدة (البحيرة) ومدى تأثر لامارتين بجان جاك روسو وشاتوبريان، كما ختم كتابه منوّهًا بقيمة شعر لامارتين.

هذا هو الكتاب الأول عن لامارتين ....

ولكنه لن يكون الكتاب الأخير، بدليل هذا المشروع الماثل بين يدي القارئ الآن.

هناك – حقّاً – ما بين المشروعين؛ الأول والأخير، مؤلفات ودراسات أخرى كُرّست لأعماله أو لبعضها، كما هو الحال مع مجموعة : «مختارات من قصائد لامارتين» من

ترجمة محمد أسعد ولاية وهو أديب مصري سكندري[١] ودراسة محمد زكريا عناني : بحيرة لامارتين في الأدب العربى[٢]، وكتيّب د. زهير مغامي حول البحيرة أيضًا[٣]، فضلاً عن فصول عنه كما هو الحال في كتاب د. محمد غلاب : أدباء الرومانتيكية الفرنسية، (من ص ٦٥ إلى ص ١١٣)[٤]، علاوة على المؤلفات والمجاميع الأخرى التي عوّل عليها صاحب هذا الكتاب في جمعه لمختلف النصوص الشعرية للامارتين، مما تم نقله للغة العربية، ولم ير ضرورة لتكرار ذكرها هنا.

ومن ناحية أخرى؛ فإن هناك عددًا من روايات لامارتين نقل للعربية، وهذه الأعمال الروائية تسهم في تفسير كثير من الجوانب المتعلقة بحياة الشاعر (وإن وضع في الاعتبار أن العمل الإبداعي لا يكون بالضرورة صورة «مباشرة» للأحداث)، ومن هذه الأعمال التي تستحق التنويه :

- جوسلين ، دار صادر (بيروت - ١٩٢٦).

- سقوط ملاك ، دار صادر (بيروت - ١٩٢٧).

وهذان العملان من ترجمة الشاعر اللبناني الشهير إلياس أبي شبكة، صاحب أول كتاب بالعربية عن لامارتين (ذكر في موضعه)، فضلاً عن ترجمة قصائد عدة أوردنا بعضًا منها في هذا الكتاب، وله غيرها في ديوانه «القيثارة» .

- رفائيل Raphaël صحائف من العشرين، وهي من أولى الأعمال التي أذاعت اسم لامارتين بين القرّاء العرب، وأهم ترجماتها لأحمد حسن الزيات، لما اتسمت به من أسلوب راقٍ، ولتعدد طبعاتها التي تجاوزت العشر (راجع بشأنها الثبت الببليوجرافي للأعمال المترجمة، وفهارس دار الكتب المصرية).

---

(١) ويقع في ١٣٩ صفحة، ويضم ترجمات شعرية ونثرية، مع مقدمة في نحو عشرين صفحة، وقد طبعت هذه المجموعة بالإسكندرية ١٩٦١م.

(٢) نشرت ضمن كتابه : نحن وآداب العالم، الإسكندرية، وكانت قد نشرت قبلاً في جدة سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، راجع المجلد ١٢ من مجموعات المحاضرات، ص ٥١٥ - ٥٧٣).

(٣) نشر ضمن سلسلة الموسوعة الصغيرة - العراق - ولم نتمكن من الاطلاع عليه.

(٤) القاهرة، ١٩٥٨م.

وقد ختم المرحوم الزيات الرواية بترجمته لقصيدتي «الوحدة» و«البحيرة» لما لهما من علاقة بالرواية.

كذلك تأتي طبعة أخرى نشرها عباس حافظ وظهرت ضمن سلسلة روايات الجيب (بلا تاريخ).

– جرازييلا Graziella ومنها كذلك أكثر من طبعة، منها واحدة ترجمها تحت اسم غرازيلا في سان باولو (البرازيل) سنة ١٩١١ وبذا تكون هذه الترجمة أولى أعمال لامارتين المنقولة إلى العربية (راجع مجلة الهلال، السنة العشرين، الجزء الثاني بتاريخ١٩١١/١١/٢ ص ١٢٧).

كذلك تأتي ترجمة أخرى مصرية لإبراهيم عز الدين الدمياطي نشرها بالقاهرة سنة ١٩٢١ وطبعتها المطبعة الرحمانية في ١٨. صفحة (وراجع عايدة إبراهيم نصير : الكتب العربية التي نشرت في مصر بين عامي ١٩٠٠– ١٩٢٥).

ثم تأتي ترجمة نجيب المستكاوي وجودت عثمان (بمراجعة د. يحيى الخشاب) وصدرت عن دار الفكر العربي ١٩٦١م (الألف كتاب).

كذلك هناك ترجمة لمحمد حسني عبد الله، ظهرت في سلسلة روايات الهلال، العدد ٢٩٧ (يناير ١٩٨٢).

– جنيفيف Genevieve، وهي أيضًا بترجمة محمد حسني عبد الله، وطبعت بالقاهرة ١٩٦٥م ضمن سلسلة روايات عالمية (العدد ٣٢٦).

هذا عن المؤلفات والدراسات الموسعة حوله، وأما المقالات فإن أعدادها من الكثرة بحيث يصعب الآن حصرها وتصنيفها، وهاكم هذه اللمحات الببليوجرافية التي تتصل بما نحن فيه : فمما نشر في جريدة السياسة الأسبوعية وحدها :

– مقال مطوّل عن رواية رفائيل (لم يذكر اسم كاتبه) نشر بتاريخ ٣ إبريل ١٩٢٦، وآخر حمل توقيع محمد عبد الله عنان، تنويهًا بقيمة ترجمة الأستاذ الزيات للرواية، ونشر هذا المقال كذلك في شهر إبريل من سنة ١٩٢٦ .

– الرومانتزم ولامارتين، مقال حمل توقيع مصطفى عبد اللطيف المحامي (أهو مصطفى عبد اللطيف السحرتي؟) ونشر في أغسطس ١٩٢٧ على حلقتين.

– الفونس دي لامارتين يقص أسباب نشره لاعترافاته وهو كذلك مقال مطوّل، (لم يذكر اسم المترجم) قوامه رسالة بعث بها الشاعر لأحد أصدقائه، يبرر فيها أسباب نشره لاعترافاته، وهذا المقال نشر بتاريخ سنة ١٩٢٨م.

– صراع بين العاطفة والواجب لألفونس دي لامرتين، مقال ترجمه محمود حسن السيد، ونشر في يناير ١٩٣٠م.

– كذلك تورد مجلة أبولو (فبراير ١٩٣٤) مقالة بعنوان زعماء الرومانيسم : لامارتين في نحو عشر صفحات كتبها الباحث التونسي : محمد الحليوي وضمّنها بعض مقتطفات شعرية.

أما مجلة الرسالة فإنها أفسحت العديد من صفحاتها للحديث عن لامارتين وترجمة بعض من مقالاته والتعليق على قدر من قصائده، كما استحوذت مسألة (الأصل العربي للامارتين) على عناية عدد لا بأس به من كتّابها، ومما يستحق التنويه :

– كلمة في باب «من هنا ومن هناك» نشرت بالعدد ٧٩ (يناير ١٩٣٥) لأحمد حسن الزيات (وإن لم تحمل اسمه) حملت هذا العنوان : هل لامرتين عربي ؟ وكان لها رد فعل قوي، كما سيتضح بعد قليل.

– دين البادية : ترجمة عن لامارتين نشرت في مايو ١٩٣٥، يحمل اسم الأستاذ التنوخي (عضو المجمع العلمي العربي وكاتب سره) وهو مقال نقل بأسلوب شاعري جميل يتحدث فيه لامارتين عن البدوي وكيف أن «له من قوة الحواس ما يدرك بها الله في الصحراء أكثر منا : إن حياته لعبادة أبدية، فهو لا يلهيه عن الخالق شيء، ورحابة البادية التي لا حد لها هي معبده والمحراب، فما كان لهذه الطبيعة أن تلتقي والإلحاد أبدًا. أمع مثل هذه الطبيعة يتاح لبدوي أن يلحد يومًا ؟ خذوا أي زنديق من زنادقة الغرب، واقذفوا به بضع سنين إلى المشرق، تجدوه لا يخرج منه إلا معافى من تلك العاهة الروحية. إن

الإلحاد لا ينشأ إلا في الظلال.. إن الشمس لتستأصل شأفة الكفر والإلحاد والشبهات، لأن تلك السموم الباردة لا تنمو إلا في الظلمات».

– لامرتين، نشرت في البريد الأدبي بتوقيع عبد الله كنون الحسني (الباحث المغربي صاحب كتاب : النبوغ المغربي في الأدب العربي) حول احتمال أن يكون لامارتين مغربي الأصل وأن يكون أصل الاسم : العمارتي.

وهذا التعليق يحمل تاريخ فبراير ١٩٣٥ .

– هل لامرتين من أصل عربي ؟ : مقالة صغيرة (نشرت في البريد الأدبي بالرسالة) في مارس ١٩٣٥ بقلم حسن باشو (نشر إلى جوار اسمه : بيروت، دار المعلمين).

– لامرتين، ورينيه جارد : مقالة تحمل توقيع السيد إسكندر كرباج، نشرت مسلسلة في الرسالة اعتبارًا من مايو ١٩٣٦ .

– عيد جوسلين وذكرى لامرتين : مقالة صغيرة لم تحمل اسم كاتبها، نشرت في بريد الرسالة في سبتمبر ١٩٣٦ .

– جرازييلا (قصة) تحمل توقيع يوسف البعيني أرسل بها من البرازيل، ونشرت بالعدد ٣١١ من الرسالة (يوليو ١٩٣٧).

– حول أرزة لامرتين تعقيب صغير يحمل توقيع خليل عطا الله (كلية الحقوق) نشر بالرسالة في ٢٣ أغسطس ١٩٣٧، وانظر الإشارة التالية.

– حول أرزة لبنان، تعقيب يحمل توقيع أمجد الطرابلسي (أصبح فيما بعد أستاذًا مرموقًا في جامعة دمشق) نشر بالعدد ٢١٨ من مجلة الرسالة (٦ سبتمبر ١٩٣٧) يعلّق فيه على ما كتبه خليل عطا الله عن (أرزة لامرتين) نافيًا أن يكون الشاعر وابنته جولي قد زارا قرية بشري اللبنانية وأنهما نقشا اسميهما على شجرة أرز فيها (وقد وضعت لوحة

تذكارية بهذا الصدد إلا أن المؤرخ الفرنسي هنري بوردو له رأي آخر في هذا الموضوع) وكان أمجد الطرابلسي قد نشر في (الرسالة) – ١٦ أغسطس ١٩٣٧ – قصيدة من وحي زيارة أرزة لامرتين هذه، منها :

**إيـــــه لمـرتـين يـــــا صـــديـقـي**
**يـا شـــاعـــر المأمل الـفـــقـــيـد**
**يـا صـــرخـــة النـاي فـي الـلـيـــالـي**
**ونـفـــــحـــــة الـزهـر والـورود**

– جزيرة الحب والجمال : مزيج من ترجمة شعر لامارتين، والتعليق عليه، بقلم صبحي إبراهيم الصالح،( لعله المرحوم د.صبحي الصالح، أستاذ الإسلاميات بالجامعة اللبنانية، ومؤلف : مباحث في علوم القرآن؟) وظهر بالعدد ٧٧١ من الرسالة (فبراير ١٩٤٨).

– أمنية الشاعر : مزيج من ترجمة الشعر والتعليق عليه بقلم صبحي إبراهيم الصالح، نشر بالعدد ٧٧٤ من الرسالة وما بعده (مايو ١٩٤٨).

– الغروب، لشاعر الحب والجمال لامرتين صبحي إبراهيم الصالح، وتتضمن ترجمة لقصيدة الغروب ممتزجة بتحليل مستفيض، نشرت بالرسالة العدد ٧٨٤، يوليو ١٩٤٨م.

– الخلود، مقال كتبه صبحي إبراهيم الصالح يتضمن ترجمة وتحليلاً لقصيدة لامارتين، ونشر بالعددين ٨٣. – ٨٣٣ من الرسالة (يونية ١٩٤٩) والنص ليس مجرد ترجمة كما ذكرت المجلة لأن التحليل فيه يغلب على الترجمة.

والذي يراجع كافة مجلدات مجلة أبولو سوف يلحظ أن هذه المجلة الرائدة المتخصصة في الشعر لن تحتوي إلا على نص واحد مترجم عن لامارتين.. لماذا ؟

إن السؤال يبقى بلا جواب، وربما جاز القول بأن (أبولو) غلب على شعرائها أن يكونوا من أصحاب الثقافة الإنجليزية لا الفرنسية، ومع ذلك فإن المجلة نشرت لألفريد دي موسيه – وغيره من الشعراء الفرنسيين – ترجمات، فلماذا تم إهمال لامارتين ؟

وعلى كلٍّ فإن العدد التاسع من المجلد الأول من أبولو (بتاريخ مايو ١٩٣٣) تضمن عرضًا لكتاب إلياس أبي شبكة : لامرتين، قدّمه حسن كامل الصيرفي، فضلاً عن المقالة التي أشرنا إليها قبلاً للباحث التونسي محمد الحليوي، ومستهلها :

قال أحد جهابذة النقد في عرض كلامه عن لامرتين :

«إن لامرتين لأكثرُ من شاعر – إنه الشعرُ نفسُه»

ولعمر الحق إن لامرتين لهو الشعر بكل ما في كلمة الشعر من معانٍ، بل هو كل ما في الشعر من حسنٍ جميلٍ – وإذا كان أحسنُ ما في الشعر الحلم بعوالم الجمال والكمال والمثل الروحية العالية، والارتفاع بالعواطف والأشواق إلى أخلص وأطهر ما تكون عليه في القلب البشري، فإن لامرتين كان هذا، وكان شاعرًا عظيمًا في كل هذا – فقد جال وحيُ عبقريته في كل الميادين، ورددت قيثارته كل النغم التي كثيرًا ما كانت ذات نبرات حزينة كئيبة، ولكن رفيعة سامية – وكانت روحه التي لا تنضب تكسو كل حادث عادي أو واقعة عارضة ثوبًا من الجلال، وتسبغ عليه فضل أمثلته الرفيعة وروحانيته المشعّة في كل آثاره.

ذلك أن لامرتين كان روحيّاً بأتم معنى الكلمة، حتى قيل إنه لم يكن رجلٌ مثله لا يرى من الحياة إلا جانبها الجميل، وأنه يرتفع بطبعه إلى التأمل الروحي حتى ليرى ديمومة الجمال في الحياة.

ومن المواد الحديثة :

– لامارتين : أمير الشعراء الفرنسيين، مقال د. محمد منير العجلاني، نشر بالمجلة العربية (الرياض ١٩٧٧).

– ملاحظات نقدية : حديث عن القصيدتين الفائزتين في مسابقة المجلة العربية، بقلم محمد عباس محمد وهذه المقالة ظهرت في مجلة اليمامة، العدد ٤٧٥ (نوفمبر ١٩٧٦)، والترجمتان مذكورتان ضمن مجموعتنا هذه.

**عنترة بن شداد كما يراه الأديب الفرنسى لامارتين :**

مقالة للباحث العراقي عبد المطلب صالح، ظهرت ضمن كتابه: مباحث في الأدب المقارن (طبع ببغداد سنة ١٩٨٧) ويستغرق من ص١١١ إلى ١١٩، عرض فيه لكتاب لامارتين الذي نشره في مائة وست وثمانين صفحة عن عنترة، ضمن سلسلة كتبه حول «حياة الرجال العظام» وهو في هذا العمل «يقرن سيرة عنترة وشعره بهوميروس وفيرجيل، تلك السيرة التي تقرأ في أرجاء البلاد العربية، موحية بأنبل المسرات الروحية للشعب الذي يواصل إعجابه بها منذ قرون عديدة، ويدعو لامارتين شعوب أوروبا إلى احترام آداب الأمة التي أنتجت هذه الملحمة وهي تحيا في خيامها البدوية. إن الخيمة أكثر تحضرًا من الكهف المظلم الذي كانت تحيا فيه أوربا، كهف البربرية».

– مواد على الإنترنت: تضمنت معلومات عن حياة الشاعر وحول ترجمات قصيدته:البحيرة، تحديدًا، ومن مواد هذا الملف مقالة ظهرت في مجلة الموقف الأدبي (العدد ٤١٧، دمشق ٢٠٠٦) عن هجرة النصوص وجماليات القراءة والتلقي(*). قصيدة البحيرة نموذجًا (د. خليل الموسى) ومقالة أخرى لعبد عون الروضات: بحيرة لامارتين: قوة الشعر وتعدد الترجمات. ثم: من روائع الأدب العالمي: البحيرة للامارتين، وأخيرًا: القصيدة، الطبيعة، الإنسان.

**من ملامح «ملف» ما نشر حول لامارتين:**

لقد أثارت المقالات السابقة قضايا لا حصر لها حول الشاعر وشعره، ربما كان من أهمها سلسلة دراسات صبحي الصالح (التي تستحق أن تجمع في كتاب مستقل) أما أكثرها طرافة فهي التي دارت حول (عروبة لامارتين) ولعل أقدمها مقال صغير للأستاذ الزيات (الرسالة، يناير ١٩٣٥) في باب: من هنا ومن هناك، يقول فيه:

هل لامارتين عربي؟

---

(*) **شبكة هجر الثقافية** (http:// 69. 57. 138. 175\ forum\ index. php)

**واحة الملتقى الأدبي** (http\ 69. 57. 138\ forum\ forumdisplaty.php? F= 3)

جاء في كتاب (لامرتين) تأليف الأستاذين ج. كلويه، وش. فيدال[1] ما نصه:

«كان لامرتين يقول من ذات نفسه إنه تحدر من أصل عربي وإن استقرار آل مرتين Alamurtine في مقاطعة (ماكونيه) يرجع تاريخه إلى الغزوة. وهذا التأكيد لا نجد فيه أساسًا ما دمنا لا نستطيع الرجوع بأصل آبائه إلى ما قبل القرن السادس عشر ففي سنة ١٥٧٢ ذُكر واحد من أسرة لامارتين في مذكرات كورديه (Cordé) بين النبلاء والوجهاء الذين أرغموا على أداء مبلغ جسيم من المال إلى (كلود دجيز) أسقف (كليمى)...

ويقول م. بيير دلا كروتل M. Pierre de Lacretelle إن جد لامرتين، وهو لويس فرنسيس دلامرتين زور في سجل الأحوال الشخصية فحول اسم آلمرتين إلى دلامرتين".

ويقول بيير دلا كروتل في كتابه (أصل لامرتين وشبابه)[2].

"... وأصل الاسم هو ألامرتين Almartine أو أللامرتين Allamartine كما كان يكتبه، ولا يزال يُسمع إلى هذا اليوم في برغونيا Borgone وفي منطقة اللوار الأعلى. أما موطن الأسرة الأول فهو إقليم كارولية Charollais حيث يجد الباحث في أخريات القرن الخامس عشر أسماء ألابرت Alaberth وآلابرناد Alabernade وآلابلانش Alablanche، وقد تحولت فيما بعد، إلى دي لا برت De La berth، وديلابرت Delaberth، ودي لا بلانش .De La blanshe

أما الأصل العربي الذي كان يعترف به لامرتين في زهو وفخر فربما كان عذرًا جميلاً عن استسلامه للكسل الرفيع، وحبه الشديد لأنواع الحيوان، وتأثير جاذبية الشرق فيه وسلطانها عليه. ولا تزال هذه النسبة من المسائل التي يغيم على حقيقتها الشك".

فأنت ترى أن لامرتين يعترف في صراحة وثقة بجنسيته العربية، ولكن الكتاب

(1) "Lamartine" Par G. Cluyet et C. Fegdal. Collectiun de "La Vie anecdotique et Pittoresque des Grands Ecrivins".

(2) "Les Origines et la jeunesse de Lamartine" Par Pierre de Lacretelle. Hochette 1911.

الفرنسيين بالطبع لا يصدقون هذا الاعتراف، ولا يؤيدون هذه النسبة، وإنما ينتحلون لها شتى الأسباب ومختلف العلل. فهل فينا من يصمد لهذا البحث في مظانه فيضيف إلى عبقريات العرب هذه العبقرية الخالدة، ويُرجع إلى أرواح الشرق هذه الروح الشاردة.

ولم يلبث أن أرسل عبد الله كنون هذا التعليق والتعقيب وهو مما نشر في فبراير ١٩٣٥، وفيه:

قرأت في «الرسالة» الغراء في باب «من هنا ومن هناك» من العدد التاسع والسبعين، كلمة عن نسب لامرتين الشاعر الفرنسي الملهم واحتمال أن يكون متسلسلاً من أصل عربي كما كان يقول هو عن نفسه. وللتعاون مع الباحث في هذه المسألة أقول: إنني وجماعة من الأدباء، منذ مدة قريبة كنا تذاكرنا في هذا الموضوع، وبعد استعراض ما قيل فيه مما جلبه حضرة الأستاذ صاحب المجلة، جوَّزنا على تقدير عربية الشاعر أن يكون بين اسمه واسم أسرة العمارتي صلة ما، ولا سيما أن أصل الاسم هو ألامرتين أي العمارتي كما نكتبها بالحروف الأفرنجية، وأسرة العمارتي هي من الأسر المنتشرة في هذه الجبال الريفية، والتي يغلب أن يكون أهلها من عرب الأندلس المهاجرين إلى المغرب. فهذا مما يزيد قوة الاعتقاد بعربية لامرتين. نعم هذه النون التي في الطرف ليست في اسم الأسرة المذكورة، ولكن لا مانع أن تكون من تصرف الألسنة الفرنجية في الاسم كما هو معهود منها اليوم مع هذا الاختلاط العظيم، فكيف به قبل؟ وعلى كل حال فهذا التعليق القصير ربما يلقي بصيصًا من النور على هذا البحث الطويل.

ومن المرجح أن هذا التعقيب لم يلق قبولاً، أما الرد الأكثر علمية فإنه جاء بتوقيع حسن باشو، ونشر في الشهر التالي (مارس ١٩٣٥) ويحمل تفصيلات كثيرة، ويأتي في هذا الرد:

هل لامرتين من أصل عربي؟

.. سيدي الأستاذ... الزيات.

كنت قد قرأت في العدد التاسع والسبعين من (الرسالة) الغراء كلمة عن اتصال نسب شاعر الحب والجمال (لامرتين) بالعرب، وحثكم الباحثين على التنقيب عن هذه

الصلة، لعلهم يوفقون إلى إضافة هذه العبقرية الخالدة إلى عبقريات العرب. وإذ كنت اقرأ في (حياة لامرتين الغرامية Le Vie amoureus de Lamartine للكاتب المعروف (لو كادو بريتين Lucas- Duberton صفحة ١٢٨، عثرت على نبذة لها علاقة متينة بذلك الأصل الذي يعترف به (لامرتين) نفسه بصراحة وثقة. وهأنذا أرسلها إلى (الرسالة) لعل فيها شعاعًا يضيء طريق البحث عن ذلك النسب. قال لوكا:

«لما نفض لامرتين يده من السياسة تسنى له سنة ١٨٣٢ أن يحقق أمنية طالما فكر فيها: وهي السفر إلى الشرق، لا حاملاً حقيبته وعصاه كما قد سبق له أن تخيل، بل على سفينة شراعية جميلة... هنالك نساء الشرق أرَيْنَهُ في عيونهن كما يقول: «أشعة من المخمل الرطب لم يكن قد رآها في عيني امرأة» ففعلت بلبِّه تلك العيون ما تفعل الخمر. لذلك كان في قصصه التي عاد بها من سفره تلك اللهجة الحادة، وذلك الخيال الذي نجده في قصائد (أريوست Arioste ) : من هذا النوع قصيدته التي بارى بها شاعرًا من الصحراء في الإشادة بمحاسن الآنسة الرائعة الجمال (مالاجمبا Malagamba ). وأصدق هذه القصص على ما يظهر قصة زيارته (لليدي استير استنهوب Lady Esther Stanhope) تلك الإنجليزية المحاطة بالأسرار التي كانت تعيش كسلطانة في قصرها القائم على أحد منحدرات لبنان، وقد تنبأت له بمكانة رفيعة وحظ عظيم؛ فسر بنبوءتها وارتاح إلى تصديقها. وأهم ما لفت نظر السلطانة في الشاعر تفاخره الساذج. وإليك حديثها عنه إلى زائر آخر هو الأمير (دي بويكلير موسكو Puckler- Muskau) قالت:

«بينما كان لامرتين يمد قدمه ليلفت نظري إلى جمال تقوسها، بينت له أن ذلك الشكل ينم عن أصل عربي، يدل عليه أيضًا بريق عينيه ورسم حاجبيه:

Comme Lamartine allongeait obstinément un pied avec l'intention manifeste d' en faire admirer la cambrure, je lui fis croire que cette comformation révélait une origine arabe, indiquée en outre par l'éclat de ses yeux et le dessin de ses paupiéres.

فأعجب بفراستي واستنتاجي؛ ثم روى لي كيف أن مائة وخمسين عربيّاً أسروا في غزة أيام الحروب الصليبية، فقيدوا إلى فرنسا واستوطنوا (ماكونيه) حيث أسسوا قريتين، وشادوا القصرالذي يسكنه لامرتين نفسه:

Et il explique qu' au temps des croisades cent cinquante arabes prisonniers de Gaza avaient été emmenés en France et s' étaient établis dans le Mâconnais au ils avaient construit deux villages et le château que lui- meme habitait.

ثم تابع قائلاً: كان عليك أيضًا أن تلاحظي فيَّ خاصة وراثية شوهدت في الإسكندر، وهى ميل الرأس قليلاً نحو الكتف... أليس هذا هو طابع البلاد الجنوبية؟... فأجبته بالتأكيد:

"Vous devez avoir aussi remarqué chez moi une particularité congénitale qu' on a observe chez Alexandré et qui consiste á pencher légérement la têtc vers une épaule. Ceci n'est il pas un cachet des pays du sud?... Je répondis affirmativement".

وكأن هذا الانتساب لم يرق للكاتب الفرنسي (لوكا) فقال فيه:

«إن هذا الحديث ينم عن حقد (ليدي استير) على الشاعر الذي أدرك ببصيرته الثاقبة (ما وراء تلك المظاهر الخلابة التي كانت الليدي تحيط نفسها بها، من دسائس سياسية)».

وليس في فراسة (ليدي) ما ينم عن حقد أو تشفٍّ؛ وإنما هو استنتاج استنتجتْه من ملامح الشاعر وتكوين بعض أعضائه، وكانت فيه جد موفقة، لأنه صادف ارتياحًا من لامارتين، فقص عليها من نبأ الأسرى ما يؤيد فراستها ويدعم هذا الانتساب الذي يفتخر به، وبرهن لها أن القرية التي يسكنها والقصر القديم الذي توارثته أسرة لامارتين هما من بناء أولئك الأسرى العرب.

ويروى أن لامارتين حاول مرة أن يبيع هذا القصر الأثري ليوفي ديونه، فأبت عليه ذلك ابنة أخته فالنتين: (Valentine)، وآثرت بيع معظم أملاكها حتى لا يفرط في هذا التراث الثمين، تراث أجداده العرب»[1].

(١) يلاحظ أن توقيع الكاتب – وكذلك غلاف المجلة – حمل اسم حسن باشو (بالواو) إلا أنه ذكر في مقالتي رجاء النقاش ود. منير العجلاني على أنه حسن باشر (بالراء).

لامرتين والعرب: مقالة نشرها أديب من حلب، هو: محمد غالب سالم، في مجلة الهلال (فبراير ١٩٧٧) ثم عاد فنشر في المجلة ذاتها (ابريل ١٩٧٧) مقالة أخرى بعنوان: لامرتين والعرب مرة أخرى، وصاحب المقالتين يميل إلى فكرة أن الشاعر ينسب إلى بلد صغير قرب حلب اسمه مرتين Martine وأن بحلب أسرة كبيرة يقال لها آل مرتين، مع الإشارة إلى أن La الفرنسية تعنى النسب إلى العائلة؛ وبذا يكون Lamartin من آل مرتيني أو على الأقل من بلدة مرتين!

أما المقالة الثانية فاستعان فيها بمقالة أسبق للأستاذ رشاد رستم، نشرت بالعدد الثاني عشر من مجلة الثقافة القاهرة (١٩٣٩) وفيها، في معرض الحديث عن عروبة لامارتين:

الأستاذ المشرف على التحرير: أشكركم على نشركم الكلمة التي أرسلتها إليكم بخصوص نسبة الشاعر الفرنسي الكبير «لامرتين» إلى بلدة مرتين السورية وذلك في عدد شباط «فبراير» ١٩٧٧ من الهلال.

والحقيقة يا سيادة الأستاذ أن العرب أمة مظلومة اجتمعت عليها عناصر ظالمة، وقوية و«فظيعة» أيضًا. نالت من كفاءتها وغطت على معالم مدنيتها وحضارتها... وشوهت حقيقتها وفضائلها... ونحمد الله على وجود أمثالكم ممن نذر نفسه للعمل على إعادة وجهها الحقيقي المشرق والزاهر.

ومن غريب الصدف، أنني كنت أقلب أعداد مجلة «الثقافة» المصرية التي كانت تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر، وقد رأيت في العدد -١٢- من هذه المجلة سنة ١٩٣٩، مقالاً للأستاذ راشد رستم وفى هذا المقال ومع ما أرسلته إليكم سابقًا، أعتقد بأننا قد تمكنا من إيجاد الحلقة المفقودة في نسبة أو نسب الشاعر لامارتين للعرب.

أورد الأستاذ رستم، حفظه الله، حججًا دامغة عن أصل «لامارتين» ولكنه نسب الاسم إلى «ماردين» المدينة التركية الآن الواقعة شرقي الأناضول. ولا بأس من أن نورد

هنا ما قاله الأستاذ رستم من إثباتات وحقائق، عن أصل هذا الشاعر العبقري. نستطيع بها تحديد النسب الصحيح على ضوء ما أتى به من براهين... قال الأستاذ رستم: كان الشاعر لامرتين، هو الشاعر لامرتين، سواء كان في فرنسا أم في غير فرنسا.

لقد قال بعض المتكلمين عنه: إنه لو لم يولد فرنسيًا كاثوليكيا لكان مسلمًا حنيفيّاً...

ثم يسرد الكاتب وصفًا لحياته في الشرق، وفى لبنان بصورة خاصة، فيقول: إنه فقد ابنة له، ودفنها في ذرى لبنان... حيث الأرز الخالد.

ثم جاء إلى وصفه بالذات، فقال إنه كان يحب الخيل والفروسية، وكان وهو يطوي بطاح الصحراء يقول: إن جسمه مثل روحه، يطلب الحرارة والضياء، وأنه ابن الشمس وجوّاب البقاع.

ثم يقول: إن الشاعر نفسه كان يقول: إنه من سلالة عربية، وأن أجداده نزلوا جنوب فرنسا مع من نزلوا من العرب الفاتحين. وينسب الكاتب هذا القول لكتاب عن لامرتين، ألفه الكاتبان «كلوجه وفيفدال". ثم يقول: ولا يريد مؤرخو الشاعر إلا تصديقه، وإن كانوا يتركونه في تمحيصه، ويقولون: إنه من الصعب الاستدلال على آبائه، إلا من القرن السادس عشر.

أما هو «يعني الشاعر» فيقول إن اسم عائلته قد تحرف وتغير قصدًا؟!..

جاء في مذكرات «كونديه» سنة ١٥٧٢ اسم عائلة «آل مرتين» ضمن العائلات التي أمر «كلود دي جيز» بأن تؤخذ منها «كميات وفيرة من المؤن والأطعمة» وأن آل مرتين، كانوا في أوائل القرن السادس عشر يقيمون في جهة «كلوني» بالجنوب الشرقي من فرنسا.

وعرف عن آل مرتين في ذلك العهد، أنهم من أنصار التجديد، في الحركة الدينية. وأنهم بذلك كانوا ضد «كلود دي جيز» المذكور، الذي كان قسيسًا لأبرشية «كلوني».

على أنهم مع معارضتهم لذلك القسيس، فقد تقرب أحد أبناء «آل مرتين إلى الأبرشية في «كلوني» وقد انتخب عضوا في البرلمان بباريس، وسافر إليها سنة «١٦٥١» ودخل في زمرة النبلاء والأشراف.

ويقول الكاتب «بيير دي لاكروتيل» أنه حوالي هذا الوقت عمد أحد جدود لامرتين، إلى تحويل اسم العائلة من آل مرتين. إلى (دولامرتين) حتى يسري الاسم مسرى الأسماء الفرنسية النبيلة... وقد تم ذلك بتغيير في سجل النفوس... وهكذا صار اسم العائلة: «دولامرتين».

ويعلق الأستاذ رستم على كلمة «آل مرتين» بقوله... في الأسماء العربية كثير مثل هذا الاسم: آل سعود، آل حمود... ولكن لفظة مرتين هذه ما معناها؟!

لعلها ليس لها معنى... أو هي تحرفت من «ماردين»... أو أن الاسم كله «المارديني» نسبة إلى ماردين... بلدة بين جنوبي الأناضول الشرقي، وشمال سوريا.

والآن:

فقد أصبح الأمر جليّاً، بعد أن ذكر المؤرخون حقيقة أصل هذا الشاعر، كما أنه هو نفسه كان يؤكد على أرومته العربية وأصله الشرقي.

وإن التساؤل الذي ذكرته للأستاذ النقاش قد توضحت خفاياه وزال اللبس فيه. وأن الحلقة المفقودة في إثبات عروبة لامرتين قد وجدت فهو عربي الأصل ومن بلدة مرتين السورية.

وغني عن الذكر أن هذه المقالة الثانية لمحمد غالب سالم تمدنا، علاوة على رؤية صاحبها، بمقتطفات من مقالة سابقة كتبها راشد رستم في مجلة الثقافة المصرية ١٩٣٩ حول الموضوع ذاته.

ولعله من المناسب هنا أن يشار إلى مقالة لحبيب جاماتي عنوانها: لامارتين أنصف الشرق، نشرها في مجلة الهلال (مارس ١٩٣٣)، وكذلك لمقالة د. منير العجلاني المنشورة بالمجلة العربية (١٣٩٧هـ - ١٩٧٦م) بعنوان: لامارتين أمير الشعراء الفرنسيين: هل كان من أصل عربي، وإن لم تضف جديدًا إلى ما سبق.

ولعل أفضل ما تختم به هذه القضية ما نشره الأستاذ رجاء النقاش في كتابه: عباقرة، ومجانين[1] عن (لامارتين وأصوله العربية)، وهذا الفصل سبق وأن نشره في مجلة الهلال (باب ملاحظات ثقافية)، ورجع فيه إلى شيء مما نشر في مجلة الرسالة وغيرها، وفيها يقول :

إن النقاد الغربيين «الذين ينكرون الأصل العربي للشاعر لامرتين هم الذين لا يستطيعون أن يتغلبوا على عقدة فى نفوسهم تقول لهم: إن كل ما ليس أوروبيّاً لا قيمة له ولا أهمية، وأن العبقرية الإنسانية احتكار لأوروبا وليس لغيرها من الشعوب أن تفكر أو تحلم بأن يكون لها نصيب من العبقرية والنبوغ. وتلك عقيدة حضارية كامنة فى عدد من العقول الغربية..»

ويطول الحديث في هذا الشأن، مما يسمح بأن يعد حوله كتاب مستقل، لكننا نكتفي بهذا القبس.

من تداعيات لامارتين عند العرب[2] :

هذا موضوع آخر ينفسح فيه القول حتى ليصلح لأن يكون مجالاً لأطروحات جامعية، وكتابات متعمقة مستفيضة، وبحسب هذه الإضاءة أن تشير، على سبيل المثال، لهذا الفصل الجميل الذي كتبه د. عبد الرحمن بدوي في كتابه (الحور والنور)[3] تحت عنوان : فصل إلى سلوى، في مهد غرام لامارتين، وفيه يخاطب سلوى (؟) قائلاً :

«لك أن تخيلي إلى نفسك أنك ألفيرا، أما أنا فأستحلفك بما تؤمنين به ألا تتوهمينى رفائيل ...» ثم يبدأ الرحلة إلى البحيرة ليقول :

---

(١) الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) ١٩٦٩، ص١٧٥، وما بعدها.

(٢) تركنا لدرس مستقبل تناول تعبير الشعراء العرب عن إعجابهم بلامارتين.

(٣) يراجع : الحور والنور، ط. الكويت ١٩٧٩م، الفصل الحادي والعشرون، ص ١٦٤ - ١٨٧ .

«وقفت أمام البحيرة، فغمرتني غيوم الهموم، فكل ما حولي مصبوغ باللون الرمادي الكابي : الأمواج والمياه في البحيرة، والآفاق الفسيحة المنبسطة عند سفوح الجورا، مع أن الشمس ساطعة، والصيف قائظ، وما إن أبصرت هذه الألوان حتى استطعت أن أفسر لنفسي لون الشعور الذي ينتابني دائمًا حينما أقرأ تأملات لامارتين الأولى ...»[1].

ومن هذه التداعيات قصيدة لشاعر تونسي (محمد خلوصي) كتبها بعنوان: على ذكريات لامرتين : وقفة على بحيرة بورجي، وفيها تمتزج أصداء قصيدة البحيرة مع المشاعر التي جاشت في صدره وهو يتأمل في المرئيات من حوله فهتف من أعماقه :

**قف هاهنا واسأل حواشي الماء**
**تنبئْك فورًا أصدق الأنباء**
**هذى بحيرة شاعر جعل اسمها**
**بقريضه من أخلد الأسماء**
**نزع البقاء وإنما أبقى لها**
**مع ذكره ذكرًا بغير فناء**

ثم تمضي القصيدة في حديثها عن لامارتين وحبه ورحيل محبوبته .. والنص يتسم بالحيوية والسلاسة، وهو يعكس حالة من التناص الذي يتمثل (بحيرة) لامارتين خير تمثيل[2].

أما ترجمات شعره فهناك إجماع على أن ترجمة أحمد شوقي لقصيدة «البحيرة» أولى الترجمات العربية لهذه القصيدة، بل ربما لما عداها من شعر لامارتين، كما أن هناك إجماعًا على أن هذه الترجمة عدت عليها عوادي الزمان، والخبر عنها يأتي في تصديره للطبعة القديمة من الشوقيات، والتي يقول فيها:

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨٢ .

(٢) وصلت إلينا القصيدة عن طريق مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بالكويت.

«ثم نظمت روايتي (علي بك أو فيما هي دولة المماليك) معتمدًا في وضع حوادثها على أقوال الثقاة من المؤرخين الذين رأوا ثم كتبوا وبعثت بها قبل التمثيل بالطبع إلى المرحوم رشدي باشا ليعرضها على الخديوي السابق فوردني منه كتاب باللغة الفرنساوية يقول في خلاله : «أما روايتك فقد تفكه الجناب العالي بقراءتها وناقشني في موضع منها وناقشته وهو يدعو لك بالمزيد من النجاح. ويجب أن لا تشغلك دروس الحقوق التي يمكنك تحصيلها وأنت في بيتك في مصر عن التمتع من معالم المدينة القائمة أمامك وأن تأتينا من مدينة النور (باريز) بقبس تستضيء به الآداب العربية» فصادفت هذه النصيحة العالية هوى في فؤادي فترجمت القصيدة المسماة «بالبحيرة» من نظم (لامرتين) وهي من آيات الفصاحة الفرنساوية، ثم أرسلتها إلى الباشا المشار إليه في كراس ليطلع الجناب الخديوي عليها، وإذ كنت لا أتخذ لشعري مسودات رجوت أني أجدها عنده بعد العودة إلى مصر ثم عَدَت دون ذلك عواد.

ويضم كتاب «الشوقيات المجهولة"(*) مقتطفات من حديث أجراه سليم سركيس مع أحمد شوقي يسأله فيه :

«– وهل ترجمت شيئًا من شعر الإفرنج ؟

– إنني أجل الترجمة وأستعم فوائدها، ولكن نفسي لا تميل إلى التعريب، بل ميلي كله إلى الخلق والإنشاء، هذا مع كلفي بقراءة كتب الآداب الفرنسوية، وعلى الأخص تأليف فكتور هوجو وموسيه ولامرتين، ولقد كدت أفني هذا الثالوث ويفنيني»(!)، وإذا كان الشاعر قد أضاع على التاريخ الأدبي هذا النص المبكر من ترجمة «البحيرة» فإن ديوانه أبقى إشارة تستحق الذكر، وهذه الإشارة تأتي في شعر الصبا، أي قبل السفر إلى باريس؛ وبالتحديد سنة ١٨٩٥، ففي وصفه لقصر المنتزه :

**منتزه العباس للمجتلى**
**آمنت بالله وجنّاتِهِ**

(*) راجع د. محمد صبري (السوربوني) : الشوقيات المجهولة، ج١، ص ٢٦، وكذلك (الشوقيات).

يأتي هذا البيت :

**وتـرعـــــــــــة لـو لـم تـكـن حـلـوة**

**أنـسـت لمـرتـين بـحـــــــيـــــــراتِـه !**

ومن المؤكد أن (البحيرة) أشهر قصائد لامارتين بلا منازع، وقد نقلت للعربية في قرابة عشرين ترجمة مختلفة[1] – مما يملأ ديوانًا مستقلاً – ولا سبيل هنا لتحليل هذه الترجمات، وبيان مدى مطابقتها للفصل ... إلخ، على أن كافة الاعتبارات تقود إلى التوكيد على أنها أكثر القصائد الغربية اقترابًا من الوجدان العربي، بدليل هذا العدد الضخم من الترجمات، والذي يعلو على عدد ترجمات أي نص شعري آخر (بما في ذلك قصيدة أربعاء الرماد لإليوت).

وهناك قصائد أخرى للامارتين تعددت ترجماتها – على نحو ما سيرى القارئ في مجموعتنا هذه – مثل قصيدة (الخلود) ومثل قصيدة العزلة (التي نقلت أحيانًا تحت عنوان الوحدة) والمساء، والمعبد، (التي نقلت كذلك تحت اسم: الهيكل) والخريف والوادي – والتي نقلت أحيانًا تحت مسمى : الوادي الصغير...

---

(١) ربما تتجاوز ترجمات (البحيرة) هذا العدد بكثير، وقد دفع الحرص على أن يصدر هذا الكتاب في حينه إلى عدم الانتظار لوصول مواد أخرى في هذا الصدد، بعض منها في حوزتنا لكنه غارق بين الأوراق، فمن ذلك ترجمة (مخطوطة) قام بها أستاذان جليلان من أساتذة دار العلوم بالقاهرة هما د. رجاء عبد المنعم جبر ود. علي عشري زايد (رحمه الله) في أثناء مقامهما بباريس نحو ١٩٧٠م كذلك هناك ترجمة أخرى مخطوطة أعدها د. محمد خضر عريف (الأستاذ – حاليًا) بكلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز بجدة في أثناء دراسته بمكة المكرمة قبيل سنة ١٩٨٠م وهناك ترجمة للدكتور زهير مغامس أوردها كتابه الصغير عن بحيرة لامارتين وضمّنه أيضًا ترجمة للدكتور جمال الدين الرمادي.
وتشير مقالة هجرة النصوص وهجرة القراءة والتلقي (من شبكة الإنترنت وبيانها سيرة في هذه المقدمة) إلى ترجمات أخرى لزكى نجيب محمود ولمحمود المحروق ...إلخ، فضلاً عن ترجمة شعرية يشار إلى أنها لشبلي ملاط، وهذا قليل من كثير مما يمكن أن يقود إليه البحث.

وأما المترجمون لشعر لامارتين فهم جمهرة من أدباء وشعراء، بعض منهم بالغ الشهرة، مثل أحمد حسن الزيات صاحب (الرسالة) – التي أفسحت العديد من صفحاتها للحديث عن صاحب (البحيرة) ولترجمة شعره، وهناك مترجمون شعراء أصدروا مجاميع كاملة حول شاعرنا، ونعني على وجه الدقة الشاعر السكندري : محمد أسعد ولاية، صاحب مجموعة مختارات من قصائد لامارتين، فضلاً عن نصوص ترد هنا وهناك في بعض مجموعات الشعر الفرنسي المترجم مثل مجموعة العوضي الوكيل : أعلام الشعر الفرنسي وطرائف من آثارهم، ومجموعة د. رائف بهجت : روائع الشعر الفرنسي، ومجموعة شفيق مقار: شيء من الشعر ...إلخ.

وإذا كان السياق تضمن اسم الزيات على اعتبار أنه من المشاهير، فإن هناك أسماء أخرى أقل بريقًا، ولعل التأمل في أمرها يفضي إلى إنصافها مثل جورجي نيقولاوس الذي نقل العديد من قصائد لامارتين منذ أواخر العشرينيات من القرن الماضي ونشرها في (المقتطف) و(العصور)، وهذا مجرد اسم من بين جملة أسماء.

وبالنسبة للشعراء؛ فإن اسم أحمد شوقي يأتي في الطليعة كما قلنا، وهناك آخرون من المشاهير مثل علي محمود طه وإبراهيم ناجي ونقولا فياض وأبي الفضل الوليد (إلياس طعمة) والعوضي الوكيل وإلياس أبي شبكة، والملاحظ – في المقابل إن هناك أكاديميين لهم مكانتهم أقبلوا على ترجمة قصائد للامارتين، مثل طه الحاجري صاحب التحقيقات والدراسات المتعمقة حول الجاحظ، ود. محمد مهدي البصير، وعبد الرزاق حميدة، ومحمد غلاب، ومحمد مندور، ومحمد غنيمي هلال، وإيليا حاوي، وصلاح الدين المنجد، وعبد الرحمن بدوي... إلخ.

وبالنسبة للصحف والمجلات، فإن (الرسالة) تأتي في طليعة المجلات التي احتل فيها لامارتين مكان الصدارة من حيث وفرة النصوص والدراسات حوله، يلي ذلك جريدة السياسة الأسبوعية، ثم مجلات مثل المقتطف والمجلة العربية، حتى نصل – أخيرًا – إلى ما رصدته شبكة الإنترنت من مواد وكتابات حول لامارتين ...

هذه خطوط عريضة حول الشاعر وشعره في مرآة الأدب العربي، وكما ذكرنا قبلاً؛ فإن إدامة النظر في هذه النصوص ال (لامارتينية) حريٌّ بأن يفتح الباب على مصراعيه لفيض من الدراسات الأدبية واللغوية والمقارنة، مما يسهم في إثراء أدبنا الحديث من كافة زواياه(*).

**والله الهادي إلى سواء السبيل**

**محمد زكريا عناني**

الإسكندرية : ٥ / ٧ / ٢٠٠٦

****

(*) أود أن أعرب عن جزيل شكري لكل من عاونني في هذا العمل، وأخص بالذكر الأستاذة نهى حمدي المعيدة بكلية التربية والشاعر عمر حاذق كما أعبر عن خالص تقديرى للسيدة رحاب فؤاد والأستاذ أحمد عبد الرازق اللذين أشرفا على الطباعة بكل الدأب والإخلاص.

# النصوص في ترجماتها العربية

# البحـــيـرة (*)

لـيت شـــــعـــــري أهـكذا نـحـن نمضـــي
فـــي عـــــبـــابٍ إلى شـــــواطئ غُـــمْضِ
ونـخـــــوض الـزَّمـــــان فـي جُنـــح لـيـــلٍ
أبـــــديٍّ يُضْنـي الـنـفـــــــوس ويـنـضِـي
وضـــفـــافُ الحـــيـــاة ترمـــقـــهـــا الـعـيـــ
ـن فـــــبـــــعضٌ يمـــر فـي إثـر بـعـــض
دون أن نمـلـك الـرُّجـــــــوع إلـــى مـــــا
فـــــات مـنـهـــــا ولا الـرُّسـوَّ بـــــأرض

حـــــدِّثـي القـلـب يا بـحـــيـــرة مـــــالـــي
لا أرى ( أولـفـــيـــر ) فـــوق ضـــــفـــــافكْ
أوشـك الـعـــــــام أن يمـــــرَّ وهـــــذا
مـــوعـــدٌ للِّقـــاء فـــي مـــصـطافـــكْ
صـــــخـــــرة الـعـــــهـد ويك ها أنَا عُـــدتْ
تُ فـــمـــاذا لديـــــكِ عـــن أضـــيـــافكْ

(*) ترجمة «علي محمود طه» (وتعد من أشهر الترجمات لقصيدة البحيرة)، ونشرت أول ما نشرت بجريدة السياسة الأسبوعية بالعدد ٣٨ من السنة الأولى ( نوفمبر ١٩٢٦ ) ونعت المترجم في ذيل القصيدة بأنه «مهندس مباني الحكومة بمديرية الدقهلية، كما جاء في صدر النص عرض مطول للملابسات على ما هو معروف». ونشرت القصيدة بعد ذلك في آخر الديوان الأول للشاعر (الملاح التائه) ويمكن مراجعته كذلك في الأعمال الكاملة ديوان (علي محمود طه)، ص ١٦٥ وما بعدها.

عـــدْتُ وحـــدي أرعى الضـــفـــافَ بـعينٍ
ســـفكتْ دمـــعَـــهـــا اللّيـــالي الســـوافكْ

كنـــتِ بـالأمـــس تـهـــدرين كـــمـــا أنْـ
ـتِ هـديرًا يـهـــزُّ قـلـــب السكـــونِ
وضـــفـــافٌ أمـــواجـــهـــا يتـــداعـــيْـ
ـنَ علـى هـذه الصـــخـــور الجـــونِ
والنَّســـيـــم العـليـــل يدفـــع وهنًا
زبـدَ المـــوج لـلـرُّبـــى والحـــزون
ملقـــيًـــا رغـوها علـــى قـــدمـــيـــهـــا
ليِّن اللمـــس مـــســـتـــحَب الأنيـــنِ

أتُـــرى تذكـــرينَ لـيـــلـة كُنَّـــا
منكِ فـــوق الأمـــواج فـــوق الضِّـــفـــافِ
وســـرى زورقٌ بـنـــا يتـــهـــادى
تحت جنح الدجى وســـتـــر العـــفـافِ
في سكونٍ فليـس نســـمـــع فـــوق الـ
مـــوج إلاَّ أغـــانـــيَ المجـــدافِ
تتـــلاقـــى على الربـــى والحـــوافي
بـأناشـــيـــد مـــوجـــك العـــزّافِ

وعلى حـــيـــن غِـــرّة رنّ صـــوتٌ
لـــم يُعَـــوّد ســـمـــاعـــه أنســـيُّ
هبط الشـــاطيءَ الطروبَ فـــمـــا يُسْـ
ـمـــع فـــيـــه للـهـــاتفـــاتِ دويُّ

وإذا الليـــــل ســـــاهمُ سكن النـــو
ءُ إليـــــــه وأنصـــــت اللجـــــيُّ
يتلقى عن نبـــأة الصـــوت نجـــوى
كلمـــــــاتٍ ألقى بهـــــن نجـــيُّ

يا زمـــانًا يمُرّ كـــالطيـــر مـــهـــلاً
طـــائرٌ أنت ؟ ويك ! قف طيـــــــرانَكْ
أهناء الســـاعـــات تجـــري وتعـــدو
نـــا عطاشًـــا فـــقـــفْ جـــريانـــك
ويك دعنا نمرحْ بأجـــــمـــــل أيّـــا
م ونلقى من بعـــد خـــوفٍ أمـــانك
وإذا نحن لذة العـــيـــش ذُقنـــا
ها ومـــرّت بنـــا فـــدُر دورانـــك

بَيْـــدَ أنَّ الشـــقـــاء قـــد غَـــمَـــر الأر
ض وفـــاض الوجـــود بالتـــاعـــســـينا
كُلُّهُمْ ضـــارعٌ إليـــك يرجِّـــيـ
ـك فأسرعْ أسـرعْ إلـــى الضارعـينـا
وافـتـــرس مـشـقـيـاتِ أيامـهـم وأمـ
ـض رحـــمي تطحن الشـــقـــاء الطحـــونا
رحـــمـــةً فـــاذكـــر النفـــوس الحـــزانـى
وانْس يـا دهرُ أنفـــس الناعـــمـــينـا

عـــبـــثًـــا أنشـــد البـــقـــاء لعـــهـــدٍ
يفلت اليـــوم من يـــدي ويفـــرُّ

وســـــويعـــــات غـــــبطةٍ مـــــا أراهـــــا
ووشـــــيكًـــا مـــــا تنقـــــضـــــي وتمـــــر
وأنـــادي يـــا لـــيـــلـــةَ الـــوصـــــل قَـــــــرِّي
إن بَـعـــــد الســـُّـــــرَى يطيـــب المقـــــر
أســـــفًـــا للصِّـــبـــا وغـــرّ الليـــالـــي
ليـــس يبـــقي على صِـــبـــاهـــن فـــجـــر

فلنحبّ الغـــــداة ولنحْـــي حـــــبّـــــاً
ولنكن في الحـــيـــاة بعـــضًـــا لبـــعـــضِ
ولنســـــارع فنقـــتـــفي إثـــر ســـاعـــا
تٍ فـــقـــد تؤذِن النـــوى بالتـــقـــضِـــي
إننَا في الحـــيـــاة في عـــرض بحـــرٍ
ليس نلقي المرســـاة فـــيـــه بـــأرض
مـــا بـــه مـــرفـــأٌ يَبِـــيـــن ولكِـــن
نـحـن نمضـي فـي لجـــةٍ وهـو يمضـــي
أكـــذا أنتَ أيّـهـــا الـزمـــن الحـــا
قـــد تغـــتـــال نشـــوةَ اللحظـــاتِ
حـــيـــث يزجى لنا الســـعـادة أمـــوا
جًـــا من الحـــب زاخـــر اللّجـــات
أكـــذا أنت ذاهب بليـــالـــي الصَّـــ (م)
فـــو عنّا ســـريعـــة الخطـــوات
أكـذا تنقـــضـــي حـــلاوة نعـــمـــا
هـــا كـمـــا ينقـضـي شـقـــاء الحـيـــاة

كـــيف ؟ حَـــدِّث : أغـــالـهـا منك خـــوفٌ
فـي أبيـــــد الزَّمـان حـــيـــث طواها

وَيْـــكَ قـــل لـــي أليس نملك يومًـــا
أن نراهـــا أمَـــا تَبِـــيـــن خُطَاهـــا
أتراهـــا ولَّـــت جـــمـــيـــعًـــا ولـمَّـــا
تُبْقِ حـــتى آثـــارهـــا أتـــراها
أوَ ذاك الدهر الذي افْـــتَنّ فـــي صَـــوْ
غ صـبـــاها هـــو الذي قد مـــحـــاها

أيّ بيـــدِ الزمـــان والعـــدم العـــا
تي غـــريقـــيـــن في ســـكونٍ وصَـــمْتِ
أيْ عـــمـــيـــق اللّجـــات مـــاذا بأيـــا
م صـــبـــانـــا مـــاذا بهـــن صنعـت
حـــدثيني أمـــا تعـــيـــديـن مـــا مِنْ
سكـــرات الغـــرام مِنّا اخـــتطفـت
أَوَ مـــا تطلقـــينهـــا مـــن دياجـــيـ
كِ ؟ أمـــا تبـــعـــثـــينهـــا بعـد مـــوت

أنتِ يا هذه البـــحـــيـــرة مـــاذا
يكتم المـــوجُ فـــيـــك والشطـــآنُ
أيهـــا الغـــابـــة الظليلـــة ردِّي
أنت يـــا من أبقى عليـــهـــا الزَّمـــان
وهو يستطيعُ أن يُجَـــدِّدْك حـــسنًا
احـــفظـــي لا أصـــابـــك النســـيـــان
قَلَّ حِـــفْظًا أن تذكـــري ليلـــة مـر
رَتْ وأنت الطبـــيـــعـــة الحـــسّـــان

ليكن منك يا بحـــــيـــــرة مـا لَجَّ (م)
بك الصـــــمت أو جنون اصطخـــــابِكْ
في مـــــغـــــانيك حـــــاليـــاتٌ تـــراءى
ضـــاحكاتٌ على ســـفـــوح هضـــابك
في مـــــروج الصنوبر الحـــوِّ تهـــفـــو
ســـابغـــاتُ الأليـــاف حـــول شـــعـــابك
في نتـــوءِ الصـــخـــور مـــشـــرفـــة الأعـ
ناق بيـــضـــا تطل فـــوق عـــبـــابـــك

ولْيكن في العُـــــبـــاب يهْـــدِر أمـــــوا
جًـــا علـــى شـــاطئـــيك مـــثل الرُّعـــودِ
في انتـــــحـــــاب الرياح تعـــول في الود
يـان إعـــــوال قَـلْـبِـــــيَ المـفـــــؤود
في صـــــــدى الجـــــدول المـــوقـع أنّا
تُ حـــــشـــــاه بالجنـــــدل الجلمـــود
في شـــــذاك الســـــرِيّ ينشـق منـــه ال
قلب ريّا فـــــردوســـــه المفـــــقـــــود

وليكن في النســـــيم مـــــا هبَّ ســـــاريـ
ـهِ يجـــــوبُ الشطآن نحـــــوكِ جَـــــوْبَـــا
في جـــــبين النجم اللـجـــــينيِّ يلقـــي
فـــضـــة الضـــوء في مـــيـــاهـــك ذوْبـــا
وليكنْ في شـــتـــيت مـــا تَسْـــمـــع الأذْ
ن وفـــيـــمـــا نـــراه عـــينًا وقلبـــــا
ليكنْ هـاتفٌ من الصـــــوت يتلـــو :
« قـــد أحـــبَّـــا وأخلصـــا مـــا أحـــبَّـا »

****

# البحـــيـرة(*)

مـن شـــــاطئٍ لشـــــواطـــــئٍ جُـــــدُدِ
يـرمـــــــي بـنـــــا لـيـلٌ مـــــن الأبـــــدِ
مـــا مـــرَّ منه مـــضـــى فلـــم يَعُـــدِ
هـيـــــهـــــات مـــــرسى يـومـــه لـغـــدِ !

سنةٌ مـــضت ! وخـــتـــامـــهـــا حـــانا
والـدهـــــر فـــــرَّق شـــــمـلـنـا أبـــــدا
نـاجِ البـــحـــــيـــــرةَ وحـــــدك الآنـــا
واجلس بـهـــذا الصـــــخـــــر منـفـردا !

قل لـلـبـــحـــــيـــــرة تذكـــريـــن وقـــد
سكـن المســـــاء ونـحـــــن بـاللـــجِّ
لا صـــــوت يُسـمـــع فـي الـدنى لأحَـــدْ
إلا صـــــــدى المجـــــداف والمـــــوجِ

فـــإذا بصـــوتٍ غـــيـــر مـــعـــتـــادِ
هـزَّ الـسـكون هـتـــــافـــه الـعـــــذْبُ
أصـــــغَى الـعـــــبـــــابُ ورجّـع الـــوادي
أصـــــداءه وتـنـاجـــت الـسُّـــــحْـبُ

(*) ترجمة «إبراهيم ناجي»، ونشرت أول ما نشرت في السياسة الأسبوعية العدد (٣٩) من السنة الأولى (ديسمبر ١٩٢٦)، ثم ظهرت ضمن ديوانه (وراء الغمام) وهو بالأعمال الكاملة (إعداد حسن توفيق)، ص ٢١٨ وما بعدها.

يـا دهـرُ فـي رفـــــــقٍ ولا تـــــــدر :
ســـــاعـــاتـه فـي هـيـنـــةٍ وقـــــفـــي
حـــــتـى تتـــــاح هنـــــاءة العـــــمـــــر
وتـطـــول لـذّتـهـــا لـمُـــــقـــــتـطِـــف

هـلاَّ الـتـــــــفـتِّ لـذلـــك الـكـــــــونِ
وعـلـمـت كـم فـي الـنـاس مِـنْ بـاكـي
يـدعـــــــوك خـــــــذني والأسـى المضـنِـي
خَـلِّ الـمُـــــمـــــتَع وامْضِ بالـشـــاكـي

هـذا الـنـعـــــــيـم وهـاتـــــــه المِـحَـــــنُ
يـتـنـافـــــســـــان الـدهـــــر إقـــــلاعـــا
فـــــبـــــأيّ عـــدلٍ أيـهـــــا الـزَّمـــــنُ
تـتـــــشـــابـه الحـــــالان إســـــراعـــا

يـا أيّهـــــا الأبد الســـــحـــــيـق أجـب
وتـكـلّـمـــــي يـــــا هُـوَّةَ المـاضـــــي

مـــــا تصنعـــان بأشـــــهُـــرٍ وحـــــقـــب
ونعـــيـــم عـــمـــرٍ غـــيـر مـعـــتـــاض

ناج البـــحـــيـــرة والصـــخـــور وعُـــدْ
فـــاســـتـــحـلـف الأغـــوارَ والغـــابا

قـل ! صُنَّ ذكـــــر غـــــرامنا فلقـــــد
صِـينَ الشّـــــبـــاب عليك أحـــــقـــابا

وليـــــبق يا هذي البـــــحـــــيرة فـــي
حـــــــــاليـــك ثائـــــرةً وهـــــادئـةً
فـي بـاســـــقٍ لـلـمـــــاء مـنـعـطـــف
فـي رائـعـــات الصـــــخـــــر ناتـئـة

في عـــابـــر النســـمـــات مـــرتجـــفًـــا
في النجم فـــضّض صـــفـــحـــة المـاء
فـي الـريـــــح أنَّ أنـيـنـــــه وهـفـــــا
في الغـــصن نَفَّسَ حَـــرَّ أحـــشـــاء

في الجـــو مـــعـــتـــبـــقًـــا بـــرَيَّاكِ
خطرت مـــلاعـــبـــة رفـــيق صـــبـــا
فـي كـلِّ هـــــذا هـاتـــــفٌ بـاكـــــي
ســـيـــقـــول يا أســـفـــا لقـــد ذهبـا !

✱✱✱✱

# البحـــيـرة(*)

يـا إلـهـي ! حِـــــــرْتُ فـي بحـــر الـزمـن !
هـــــام فـلـكـي فـي ظـلامٍ لا نـهـــــائـي !
لا أرى الـشـــــــاطـــئ يـدنـــــو، أو أرى
أين أمـــضـي، مـــا أمـــامـي ؟ مـا ورائـي؟
طـالمـــــا نـاديـــت، أرجـــو مـــــرفـــأ
لسـفـــــيـني، دون جـــدوى لـنـــدائـي!

جـئت وحـدي هـــا هـنـا مـســتلهـمًـا
حـــدِّثيني، هـل توافق يـــا بحـــيـــرهْ ؟
شـــارف العـــام تمامًـــا، فـــاشـــهـدي
مـــا ألاقـي من تبـــاريحٍ وحـــيـــرهْ ؟

رقَص المـوجُ، وغـنّـــــى، واســـــتـــوى
مـــاؤك العـــذب على الصـــخـر الغـــريب
ومـــضـــى ينسـاب دُرّاً نحـــوها
يخطب الودَّ، و «جـــوليـــا» تســـتـــجـيب
كـــان هـذا أمـــس حلمًـــا، وانتـــهـى !
أيعـــودُ الأمس أم سـوف يغـــيـــب ؟
اذكـــــري لـيـــلـةَ كُـنَّـــا هـــا هـنـــا
نتـــســـاقـــى الحـبَّ، «جـــوليـــا» وأنا

(*) ترجمة «عبد العزيز السيد مطر»، ونشرت بالرسالة، العدد ٩٨١ (أبريل ١٩٥٢) ص ٤٥ .

عـــــزف «المجـــــداف» ألحـــــان الأمـل
فـــمـــضى «الـــزورق» مـــخـــتـــالاً بنا
وســـــرى الإيقـــــاع فـــي روح الـزمـــن
فـــاســـــتـــجـــابت كل نفس حـــولنا

شَقَّ صـــــمتَ الكون صـــــوتٌ حـــــالمٌ
يجـــذب الأســـمـــاع بالســـحـــر الحـــلال
صـــــافـــح الآذان فـــــاهتـــــزت لـــــه
وهنا الـعـــالم يصـــغـــي للجـــمـــال :

«ابـطـــئـــي الـدورة يـــا أرض بـنـــا
أيـهـــا الســـاعـــات لا يمـــضِ الأوانْ
خَلِّيـــانا وحـــدنا فـــي حلمنـــا
ننهل الكـأس، فـــإنّـــا عـــاشـــقـــان
أسـرعـا مـا شـئـتـمـا مـع غـيـرنـا
أســـرعـــا مـــع كل مكروب مُـــهـــان
واحـــمـــلا الآلام عنـــه والضنـــى
واحـمـيـا العـشـاقَ من غـدرِ الزمـان
هل أجـــاب الدهـر سُـــؤْلي ؟ لم يجب؟
هـكـذا الـدهـر ضـنـيـــنٌ بـالـطـلـــبْ
ها هو اللّيـل تقـضَّـــى مـســـرعًـا،
هـجـم الصُّـــبْحُ عليـــه، فـــهـــربْ !
امـــزج الكـأس بحـــبـــي واســـقنيـ
ـه دهاقًـــا، فـــهـي سلوى الحـــائرينْ
واقض كـــاللمـــح الأمـــاني، واغـــتنِم
إنمـا الـدهـر عـــــدو الحـــــالمـينْ !

فـــهـــو كـــالســـهم مـــروقًـــا، لا يشـــا
ء أنـــــاةً أو رســـــوًّا بـالســـــفـينْ !
ويـح نفـــسـي من زمـــانٍ حـــاســـدٍ
يـكره الحـب، ويـهـــــوى البـــــائسـينْ !
جـــعل الليل ســـــواءً، لـــو عَـــدَلْ
طال ليـلي، وانقـــضى ليلُ الحـــزينْ
أيّهـــا النور أجِـــبْنِـــي مُـــخْلِصًـــا
وتكلم أيّهـــا الماضـــي الدفـــيـــنْ !
أَيـرُدُّ الـــدهرُ أيـــامًـــا مـــضـــت ؟
أم طـواهـا فـــي ثـنـايـــــا الـذاهـبـينْ ؟
ليت دهرى يحـــــفظ الذكـــرى لنـــا !
إنما الذكـــرى حـــيـــاة العـــاشـــقينْ ؟

هـــذه الليلة كـــانـــت نشـــوةً
يبـــهج النفس شـــذاها إنْ خطـــر
أيّهـــا التـــاريـــخ خلِّـــد ذكـرهـا
في نسـيمِ الفـجـر، أو ضـوءِ القـمـر

إنمـــا الحـــبُّ جـــمـــيـــلٌ دائمًـــا
في هـديرِ الموجِ،أو صـــفـــو اللجـــيـــن
شـــاهـد الـكونُ هـــوانـا فـليـــقُـل
كل شيء فـيـه «كـانا عـاشـقـيـــن»

****

# البحـــيـرة (*)

أهكـــذا أبـــدًا تمضـــــي أمـــانينـــا
نطوي الحـــيـــاةَ وليـلُ المـــوتِ يطوينـــا
تجـــري بنـــا ســـفنُ الأعـمـــارِ مـــاخـــرةً
بحـــرَ الوجـــودِ ولا نُلقـــي مَـــراســـينا ؟
بحـــيـــرةَ الحبّ حـــيّـــاكِ الحَـــيـــا فلكـــم
كـــانـــت مـــيـــاهُكِ بالنجـوى تُحـــيِّـــينـــا !
قـــد كنتُ أرجـــو خـــتـــامَ العـــامِ يجـمـــعنا
واليـــومَ للدهـــر لا يُرجـــى تلاقـــينـــا
فـــجـــئتُ أجلس وحـــدي حـــيـــثـــمـــا أخـــذتْ
عنـــي الحـــبـــيـــبـــةُ آيَ الحـــبّ تلقـــينـــا
هـــــذا أنينُكِ مـــــا بَدّلتِ نغـــمـــتَـــه
وطال مـــا حُـــمِلتْ فـــيـــه أغـــانينـــا
وفـــوق شـــاطئكِ الأمـــواجُ مـــا برحـــتْ
تُلاطِمُ الصـــخـــرَ حـــينًا والهـــوا حـــينـــا
وتحت أقـــدامـــهـــا يا طال مـــا طرحتْ
من رغـــوة المـــاءِ كـــفُّ الريحِ تأمـــينا

(*) ترجمة «نقولا فياض»، فى ديوانه:رفيف الأقحوان، بيروت، ١٩٥٠، ص٩ وما بعدها، وجاء فيه أنها على وزن نونية أحمد شوقى: يا نائح الطلح أشباه عوادينا (والأجدر أن يقال إنها على غرار نونية ابن زيدون : أضحى التنائي..) وقد نشرت عدة مرات فى مواضع متفرقة، منها كتاب د. عدنان غزال: معارضات وقصائد ابن زيدون، ص٢٤١ وما بعدها من إصدارات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ٢٠٠٤.

هل تذكـــرين مـــســـاءً فـــوق مـــائـــكِ إذ
يجـــــري ونحـن سكوتٌ فـي تَصـــــابينـا
والبـــرُّ والبـــحـــر والأفـــلاك مـــصـــغـــيـــةٌ
مَـــعْنَا فـــلا شيءَ يُلهـــيـــهـــا ويُلهـــينـــا
إلا المجـــــــاذيفُ بـالأمـــواج ضـــــاربـةً
يخـــال إيقـــاعَـــهـــا العـــشّـــاقُ تلحـــينـــا
إذا برنّة أنـغـــــامٍ سُـــــــحِـــــرتُ بـهـــــا
فـــــخلتُ أنّ الملا الأعلى يُناجـــــينـــــا
والموجُ أصـــــــغى لمن أهوى وقـــد تركتْ
بهـــذه الكلمـــاتِ الموجَ مـــفـــتـــونـــا
يـا دهرُ قفْ فـــحـــــرامٌ أن تطيـــرَ بنـا
من قـــبل أن نتـــملّى مـــن أمـــانينـا
ويا زمـــانَ الصِّـــبـــا دعنا علـــى مَـــهَـــلٍ
نلتـــــذّ بالحبّ في أحلـــى ليـــاليـنـــا
أجبْ دعـــــاءَ بني البُـــؤْسى بأرضكَ ذي
وطِرْ بهم فـــهمُ في العـــيش يشـــقـــونـا
خُـــذ الشـــقيّ وخـــذْ مـــعْـــه تعـــاســـتَـــه
وخَلِّنا فـــــهناءُ الحـــــبّ يكفـــــينـــا
هيـــهـــات هيـــهـــات أنّ الدهر يســـمع لـي
فـــالوقتُ يفلت والســـاعـــاتُ تُفنينـا
أقـــول لليل قـــفْ والفـــجـــرُ يطـــرده
مُـــمـــزِّقًـــا منه سِـــتـــرًا بات يُخـــفـــينـــا

فلنغنمِ الحبَّ ما دام الزمانُ بنا
يجري ولا وقفةٌ فيه تُعزّينا
ما دام في البؤس والنعمى تَصرُّفُه
إلى الزوال، فيَبلى وهو يُبلينا
تاللهِ يا ظلمةَ الماضي، ويا عَدمًا
في ليله الأبديِّ الدهرُ يرمينا
ما زال لجُّكِ للأيام مُبتلعًا
فما الذي أنتِ بالأيام تُجرينا
ناشدتُكِ الله قولي وارحمي ولهي
أتُرجعينَ لنا أحلامَ ماضينا
فيا بحيرةَ أيامِ الصِّبا أبدًا
تبقين بالدهر والأيامِ تُزْرينا
تذكارُ عهدِ التّصابي فاحفظيه لنا
ففيكِ عهدُ التّصابِي بات مَدفونا
على مياهكِ في صفوٍ وفي كدرٍ
فليبقَ ذا الذكرُ تُحييه فيُحيينا
وفي صخورِكِ جرداءً معلّقةً
عليكِ، والشّوحِ مُسْوَدِّ الأفانينا
وفي ضفافكِ والأصواتُ راجعةٌ
منها إليها كترجيع الشجيّينا
وليبقَ في القمر الساري، مُبيِّضةً
أنوارُه سطحَكِ الزاهي بها حينا
وكلّما صافحتكِ الريحُ في سَجَرٍ
أو حرّكتْ قصباتٌ عِطفَها لِينا

أو فـــــاح في الروض عطرٌ فليكـــنْ لكِ ذا

صـــــوتًا يُردّد عنّا مـــــا جـــرى فـــــينـــــا

أحَـــبّـــهـــــا وأحـــبّـــنْـــــه، ومـــا سلمـــا

مـن الـــردى، رحـــــمَ اللـهُ المحـــــــبّـــــينا

✱✱✱✱

# البحـــيـرة(*)

مـــا فـــتـــئنـــا علـــى الدوام أرانـــا
فـي انـدفـــاعٍ يـقـــتـــادنـــا لـلـدمـــارِ
صـــوب شـــطٍ إلى انتـــقـــالٍ جـــديـــدٍ
حـــالك الليـــل ســـرمـــديّ المـــزارِ
أفـــلا نســـتطيـــع مطلقًـــا ذات يـــومٍ
رَمْيَ مـــرســـاتنا إلى الأغـــوارِ
في مـــحـــيـــطٍ تُعَـدّ فـــيـــه المنايـا
وتســـوى نهـــايـــة الأعـــمـــارِ ؟

هـــا هـــو العـام يـــا بحـــيـــرة ولـي
وأتـــت دورةٌ لـيـــومٍ لـقـــانـــا
وعلـى القـــرب مـــن نوائـــب مـــوجٍ
كـــان ينبـــغي أنْ نجيء كـــلانـــا
انظري ! حـــيثُ إنني جـــئـــت وحـــدي
وعـــلى صـــخـــرةٍ جلستُ زمـــانـــا
كنتِ قـــبـــلاً تَريْنَهـــا بجـــواري
فـــتـــمـــوجين في الشـــط آنًا فـــآنـــا

فـــوق هذي الصـــخـــور ذات الثنايـــا
كم تكسّـــرت فـــوق تـــلك الجـــوانبْ

(*) ترجمة «محمد أسعد ولاية» في «مختارات» ص ٤١ وما بعدها يتصدرها : البحيرة هي بحيرة بورجيه في سافوا، وقد نظمت الأبيات فى إكس له بان في سبتمبر عام ١٨١٧ حيث كان «لامرتين» ينتظر «إلفير» هنالك، فلم تحضر.

والهـــواء العليـــل يَقـــذِف حـــيـــنًا
زبد المـــوج عـــبـــر تـلك المـــلاعبْ
فـــوق ســاقَيْ مـــعـــبـــودتـــي في صـــفـــاءٍ
بَدَّد الـهـــمَّ والـعـنـــا والمتـــاعـــبْ
أفـــلا تذكـــريـــن ذات مـــســـاءٍ
حـين غَـــشِيَ السكون وقت المـغـــاربْ
حـــيث لا صـــوت يمتطـي المـــوج إلاَّ
ضـــربـــاتٌ رتيـــبـــةٌ بالمضـــاربْ
كـــان صـــوت المجـــاديف تعـــبث بالـمَـوْ
ج فـــيـــرغـــي وتشـــرئب المســـاربْ

فـــإذا بانبـــعـــاث نجـــوى ترامـــت
تجْـــهَل الأرض كنهـــهـــا ومـــداهـــا
ومـن الشـــاطئ الجنوبـــيّ نـــادت
فـتـــهـادى علـى النسـيـــم صـداهـــا
وكـــأنّي بالمـــوج يصـــغـــي لصـــوتٍ
عـــزّ عندي، أثـار منه انتـــبـــاهـــا
ردد الطيـف فى الفـــضـــا كلمـــاتٍ
من مـــعـــانٍ سَـــمَت فـــمـــا أحـــلاهـــا

قـــال : يـا أيهـــا الزمـــان تـــوقف
لا تحلّق وَقِفْ مكانـــك حـــيـــنـــا
يـا ســـويعـــات هدِّئـي ثـــم كُـــفِّي
عن مـــســـيـــرٍ، وفي السـرور دعـــيـنا
إنّ هـذي اللّـذات تمـضـــي ســـراعـــا
وَهْيَ أبهى أيامنـــا فـــاتركـــيـنـــا

كم تعـــيس في الكون يشـــقى ويبـــقـــى
وهـو في لـهـــــفـــة يظـــل حـــــزينـــــا
أســـــرعي يا ســـــويعـــــات من أجـــل هذا
بالْتِـــهَـــام الأيـــام حـــينًا فـــحـــينـــا

عـــبـــثًـــا أطلـــب امـــتـــدادًا لوقـــت
فـــهـــو منِّي يَفـــرّ جـــريًـــا ويمضـــي
بَيْـــدَ أني لليلتـــي قلـــت كـــونـــي
بطِّئي الســـيـــــر لا تكوني كـــومـض
وَلَوْ آنَّ المصـــيـــر للفـــجـــر حـــتـــمًـــا
حـــــيث يسطو على الظلام ويقـــــضـي
فـــدعـــونـــا إذن نحـــب ونلهـــو
وَلْنُعَـــجِّل قـــبـل الفـــراق الـمُـــمِـــضِّ
باغـــتنـــامٍ لســـاعـــةٍ ســـتـــولّي
قـــبـل أن يقطع الطريـــق التـــقَـــضِّي
ليـــس للمـــرء مـــرفـــأٌ ومـــلاذُ
لا ولا للـزمـــــــان شـــــــطٌّ لأرضِ
إن أوقـــاتنـــا تمـــر عـــجـــالى
ســـوف نمضي إلى البـــلى: ســـوف نمضي

للزمـــان الغـــيـــور وجَّـــهْتُ ســـؤلـــي
فـي أمـــــورٍ أودت بظـــرف هـنـائـــي
إن للمـــرء في الحـــيـــاة ظـــروفًـــا
بيـــن زهـــوٍ مـــحـــبـــبٍ وبـــلاءِ
لحـظـات بـنـشـــــوة الحـب تـغـــري
مـــائجـــات طويلـــة بالصـــفـــاءِ

هل تراهـــا تطيـــر عنَّا بعـــيـــدًا
مـــثلمـــا قـــد يزول دور الشـــقـــاءِ ؟
هَبْـــهُ مـــاذا ! ألـــن نـــوفق يومًـــا
لاجـــتـــلاء التـــجـــديـــد والإحـــصـــاءِ ؟
مـــا عـــســـاه انقـــضى إلى غـــيـــر أوب
والـــــذي ضـــاع كلـــه بمضـــاءِ ؟
إنـهـا منحـــة الزمـــان حـــبـــاهـــا
قـــد مـــحـــاهـــا . فـــهل لنا من رجـــاء؟

هـل جـــــــوابٌ تـرى مـن الأبـديـــــةْ
ومن المـــوت أو مـــواض قـــصـــيّـــةْ؟
أو من الهُـــوّة الســـحـــيـــقـــة باتـــت
فـــي ظلامٍ كـــمـــوطـــنٍ للمنيـــةْ؟
مـــا عـــســـاها بذلك العـــهـــد تنـــوي
بـابتـــلاع الأيام، تلك ضـــحـــيـــةْ
هل تعـــيـــد الأســـلاب بعـــد إلينـــا
إنـهـــا نـشـوة الغـــرام الـهـنيّـــه؟

فـاسـمـعي يا بحـيـرة [ الحبِّ ] همّـي
والصـــخـــور الصـــمّـــاءُ ثم الكهـــوفُ
والضـــيـــاع الظلمـــاء حـــول مـــقـــامـــي
إذ بـأرجـــائكن الزمـــان يطـــوفُ
لست أبغي من الطبـيـعـة شـيـئًـا
إن سُـــؤْلـــي مُـــيَـــسَّـــرٌ وطفـــيـــفُ
هـذه ليلـــةٌ لـهـــا ذكـــريـــاتٌ
فـــاحـــفظيـــهـــا، وللرجـــاءِ ظـــروفُ

✱✱✱✱

# البحـــيـرة(*)

حـتّـام يشـقى الفـتى والدهـرُ يدفـعُـهُ
ولـيس مـن ظلمـات المـوت يُرجِـعُـهُ
يسـعى إلى الشـاطئ المجـهـول منـه ولا
يـلـقـي المـراسـي عـلـى مـوجٍ يـروِّعـه
أيا بحـيـرةُ هل بَعْـد الحـبـيـبـة لـي
سلوى وذاك الهـوى بـاقٍ تـفـجُّـعـه
وفـيـك فـلـذة قلـبٍ ذائـبٍ وقـعـتْ
بل واقعٌ فـيك قلبُ الصـب أجـمـعُـه
أُحِبُّ مـوجـكِ حـبًّـا للتـي وقـفـتْ
عليـه يومًـا وقـد جـاءت تودعُـه
مـا كـاد عـامٌ يولّـي بعـد فـرقـتنـا
حـتى رجـعتُ وقلبي الشـوقُ يدفـعُـه
وجـئتُ أجلس وحـدي حـيـثـمـا جلسـتْ
يا حـبَّـذا حـجـرٌ دمـعـي يرصِّـعُـه
كـذا هديـرك فـي قلبـي أرنَّ ولـمْ
يـزل يـرنّ فـيـشـجـيـه ويولعُـه
كـذا على الصـخـر كـان المـوج منمـزقًـا
كـمـا تمزق مـن مـضـنـاك أضلُعُـه
كـذا تـناثـر فـي ليـل الـهـوى زبـدٌ
فكان من قـدمـيـهـا اللثـم يقنعُـه

(*) لأبي الفضل الوليد (الياس عبد الله طعمة) - الجندي المجهول - : ديوان، ط ٢ بيروت ١٩٨١، ص ٢١٩ وما بعدها.

هل تذكـــرين مـــســـاءً فـــيـــه نزهتنـــا
مـــرَّت ســـريعًـــا وأحلى العـــيش أســـرعُـــه
إذ كـــــان قـــــاربنا يســـــري ولا نـفَـــسٌ
تحت الســـمـــاء وفـوق المـــاء نســـمـــعُـــه
وللمـــــجـــــاديف وقعٌ فـــيـــك يطربنـــــا
ولحنهـا نغـــــمُ الأمـــــواج يتـــبـــعُـــه
إذا رنيـمٌ شـــــــجـيٌّ لـيس مـــــن بشـــــرٍ
راعَ الضـــفـــاف التي أمـــست ترجِّـــعُـــه
والصـــخـــر والموج والأغـــصـــان شـــاعـــرةٌ
والريح تخـــفـــضـــه طـــورًا وترفـــعُـــه
فطار قلبي وقـــد أصـــبـــحت من طربي
كنائمٍ زخـــــرفُ الأحـــــلامِ يخـــــدعُـــــه
لم أَنْسَ والله مـــــا قـــــالت وقـــد زفـــرتْ
فـــفـــاض من جـفنهـا الفـتّـانِ مـــدمـــعُـــه
يا دهرُ مـــهـــلاً ويا ســـاعـــات لذتنـــا
قـــفي قليـــلاً لوصـــلٍ منـــك ننزعُـــه
من الغـــرام دعـــينا نشـــتـــفـــي فنفـــي
حقَ الشـــبـــاب الذي جـــئنـــا نشـــيّـــعُـــه
مـــا أكـــثـــر الهمّ في الدنيـــا الغـــرور فكـــم
دعـــا المنيّـــة مـــن بلـــواه تصـــرعُـــه
خـــذي حـــيـــاة ذوي البـــؤســـى وشـــقـــوتهمْ
وانســـي الســـعـــيـــدَ فـــإنَّ الحـــب يطمِـــعُـــه
ســـألتُ دهري وقـوفًـــا فـــي ســـعـــادتنـــا
فَـــفَـــرَّ منـــي كـــأنَّ الصـــوت يفـــزعُـــه

وقلت يـــا ليلُ طُلْ رفـــقًـــا بعـــاشـــقـــةٍ
فـــفـــرّق الصـــبـــح مـــا كنّـــا نجـــمـــعُـــه
فلنهـــوَ فلنهـــوَ ولننعـــمْ علـــى عـــجـــلٍ
إذا ظفِـــرنـــا بعلـــــق لا نضـــيِّـــعُـــــه
ولنغـــتنـــــم فـــرصـــةَ اللّذات هـــاربةً
فـــالقلب تهنئـــه الـــذكـــرى وتوجـــعُـــه
والوقتُ كـــالمرء لـــم يبـــلـغْ شـــواطئـــه
والحـــسن في الحـــزن روضٌ جفَّ ممرعُـــه
يا دهرُ رفـــقًـــا بأهـــل الحـــبِّ إنَّ لهـــم
في عـــيـــشـــهـــم وطرًا مـــا زلتَ تمنعُـــه
حـــتى على أقْـــصـــر اللَّـــذات تحـــســـدنا
وقـــد غـــصـــصنا بما فـــي الهمِّ نجـــرعُـــه
على الهـــوى قـــد جـــرى دمـــعِي وســـال دمي
ومـــا الذي بعـــد طيـــب الوصـــل أصنعُـــه
تقلَّصَ الظِّلُ من روضي وهـا قـــــدحـي
مكسَّـــرٌ بعـــد مـــا قـــد كنت أترعُـــه
ولَّى نعـــيـــمِي كـــبـــؤسِي عـــاجـــلاً فـــذوى
عليـــــه قلبـــي وأبكـانـــــي تمنُّعُـــه
ألست أقْـــــــدر أن أُبـقـي لـــــه أثـــرًا
في مـــهـــجـــتي وعلى الأحـــشـــاء أَطبَـــعُـــه
مـــا مـــرَّ فـــات فـــلا دمـــعٌ ولا نـــدمٌ
يشـــفي فـــؤادي وليس الصـــبـــر ينفـــعُـــه
يا ذاهب العـــمـــر كـــم ذِكـــرٍ وكم ألمٍ
تطوي وتخـــرق مـــا الإنســـان يرفـــعُـــه

قل مـــا فـــعلـــت بأيـــام تدفِّنهـــا
والحـــسن والحب مـــاءٌ غـــاض منبـــعُـــه
ألا تـعـــيـــد لقلبـــي لـــذَّةً هربـــتْ
ومن ليـــالي الهـــوى حـــينًا تمنعُـــه ؟
يا حـــبَّـــذا مـــا مـــضى لو كـــان يرجع لـي
وحـــبَّـــذا المنزلُ المهـــجـــورُ مـــربعُـــه
أيا بحـــيـــرة يا صـــخـــرًا أصـــم ويـــا
غـابًا كـثـيـفًـا وكـهـفًـا شـــاق بلـــقـعُـه
صـــانت مـــحـــاسنُك النعـــمى مـــجـــددةً
ثوبًا من النضـــــر تكســوه وتخلعُـــه
ناشـــدتك الله أَحْـــيِي ذكـــرَ ليلتنـــا
لكلِّ قلبٍ يـــدُ البلـــوى تصـــدِّعـــه
إنْ كنت هادئةً أو كنـــــت هائجـــةً
بحـــيـــرةَ الحـــب فـــيك الذكـــرُ أُودِعُـــه
فليـــحْيَ في ضـــفَّـــةٍ خـــضـــراء مـــزهرةٍ
وفي خـــمـــائـــلَ وادٍ طـــاب مـــرتعُـــه
وفي الصـــــخـــــور التي تحنو عليك وفـي
صنوبر زادنـــي وجـــدًا تَخَـــشُّـــعُـــه
وفي هدير صـــــدى الضـــفَّـــات ردَّده
والغـصن مَـدَّتْ لضـم الغـصن أذرعُـــه
وفـي نســـيمٍ له في الـــدوح هَيْـــمَنَـهُ
كـــأنهـــا لحـــن تطريـــب نوقـــعُـــه
وفي ضـــيـــاءٍ على مـــاءٍ يفـــضِّـــضُ مـــا
شـــجـــا من الكوكب الـــدريِّ مطلعُـــه

فـــالريح إن زفـــرت في روضـــةٍ نضـرتْ
ومـــال بالقـــصب الشّـــاكـــي تلوّعُـــــه
وإن ســـرى أرجٌ تحـــيـــا بـــه مـــهـــجٌ
فـأنعـــش الســاهـــر العـانـــي تضـرُّعُـــه
ليـســـمع الناس صـــوتًا هاتفًـــا أبـــدًا
في ليل حِبٍّ خَلِيٍّ البـــال يـهـــجـــعُـــــه
لقـد أحـبّـا فـمـا طـال اجـتـمـاعـهـمـا
والحب إنْ زال أبكى العين مـــوضـــعُـــه

****

# بحـــيـرة الذكريـات(*)

أهكذا نحـن دومًـــا نَهْـــب أســـفـــارِ
فـي ليـل دهـرٍ مـــعـــد دونَ إســـفـــارِ!
أليس مِنْ وقـــفـــةٍ للتـــائـــه الســـاري
أو شـــاطئ يحـــتـــويه بعـــد إبحـــار ؟

ويا بحـــيـــرتنا .. هل تذكـــريـــن (مـــهـــا)
تلك التـي طالما داعـــبـــتـــهـــا ولهـــا !
تـأملـي.. أنا وحـــدي فـــوق صـــخـــرتـهـــا
أجـــتـــرُّ ذكـــرى نجـــاواهـــا وأســـمـــاري

كم رمتُ من تحت هذا الصـخـر مـقـتـحَـمـا
نحـــو الملاك الذي في ســـفـــحـــه جـثـمـــا
ثم انتـــثـــرتُ رذاذًا يلثـــم القـــدمـــا
والشـــوقُ يحـــدوه ممزوجًـــا بإكـــبـــار

وليلة الجَلَواتِ الخـــضـــر حـــيـــن جـــرى
يخـــتـــال زورقُنا في خطوةٍ سَـــحـــرا
وقـد غـفـا الموجُ حـتـى أيقـظ القـمـرا
وقعُ المجـــاديف في ألحانِ قـــيـــثـــار

ذو فـــجـــأةٍ غلغلتْ في الشـــاطئ الـهـــانـــي
أصـــداءُ أنشـــودةٍ كـــالســـحـــرِ مـــرنـــان

(*) ترجمة مجهولة المترجم، رمز لاسمه بحرف م، ونشرت بالعدد الثالث من السنة الثانية من المجلة العربية في سنة ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م، ص ٦ وما بعدها. وكانت المجلة قد أعدت مسابقة لنظم قصيدة البحيرة شعرًا عموديًا ونشرت مع الإعلان عن المسابقة قطعة من الترجمة الشعرية لنقولا فياض، (نقلا عن جريدة النهار البيروتية).

أصـــغى لهـــا الماءُ في شـــوقٍ وتحنـــــانِ
وقـــد ســـرى رجـــعُـــهـــا في كلِّ تيـــار !

قِـفْ لحـظـةً يـا قـطـارَ الـدهـر.. واتـئـــــدِ
يا ســاعِ في سـيـرك العـجـلان نحـو غـد
وأمـــهـــلانا نَذُقْ من عـــابـــر الرغـــد
ســوانحًـــا ســوف تغـدو مـــحض تذكـــار
كم بـائسٍ يســـأل الأيـــام إســـراعـــا
ضـــيـــقًـــا بِهمٍّ أحـــال العـــيشَ أوجـــاعـــا
فـــاعـــجل بهم يا ســفينَ العـمـرِ دفًّـاعـــا
وخـلِّـنـــــا لـهـنـــــاءاتٍ وأوطـــــار
لكنْ .. تُرَى عـــبـــثًـــا أدعـــو؟ فلسـت أرى
لما أُرجِّي صـــدى يَهـــدي ولا خـــبـــرا!
عـــمـــرٌ يفِـــرُّ ولا ألفـــي لـــه أثـــرا
فـــلا تكونَـــنَّ يا ليلـــي بفـــرَّار
لكنّه الفـــجـــرُ يَطْوِي الليـــل عن كـــثَبِ
فـــينطوي في مـــداه حلمُنا الذهبـــي
فلتُـــرْوَ أرواحُنا من مـــوردٍ عـــجـــبِ
هـو المنى كلـهـــا في هـــذه الـــدار
يا أيّهـــا الزمن المبْـــدِي لنا الحـــســـدا
أقَـــدَّر الله أن نشـــقـى هنـــا أبـــدا ؟
عـــلامَ تمضي هُنَيْـــهـــاتُ الصـــفـــا بدَدا
ويلـبث الـغـمُّ طـورًا بـعـــد أطـــوار ؟ !
يا ليـتـــهـــا[1] أسلست يومًـــا لرغـــبـتنـــا
فـــأمكنتنا مـــن اســـتـــبـــقـــاء لذتنـــا

لكنَّ (ليت) خـــيـــالٌ هـــاج لوعـــتَنـــا
ثم امّـــحى إثـــرها من غـــيـــر إنـــذار

يا ذا الخـــضمّ الذي يســـتـــوعب الزَّمنا
ويبلغ الكل.. مـــا الســـر الخـــبيء هنـا ؟
ألا تعـــيـــد لنا بعض الـــذي ســـجنـــا
لـديك مـن نـشـــــواتٍ ذات أســـــرار ؟

ويا بحـــيـــرة : لا حَلَّتْ بـــك الغِـــيَـــرُ
وأيهـــا الغـــار والأحـــجـــار والشَّـــجـــرُ
في عـــهـــدكن ســـتـــبـــقى هـــذه الـــذِكَـــرُ
فـــصُنَّهـــا صـــانَكُنَّ الخـــالقُ البـــاري

في صـــمـــتك الغَـــمْـــر والأرياح عـــاصـــفـــةٌ
وفي تـلالك والشطـــــآن ضـــاحكـــةٌ
ونجـــمـــةٌ تسكب الأضـــواء ناعـــمـــةٌ
فـتـســتـحـيلين فـيـهـا حـقـــل أزهـــار

في كل ذاك اذكـــري قلبًـــا لـهـــا سكنا
وكـــــان لـلـحـب - لـو تدريـنـه - سـكـنـا
فـــربَّ ذكـــرى نَضَتْ عن مَـــيِّتٍ كـــفنا
فـــعـــاش ينبـــوعَ إلهـــامٍ وأشـــعـــار

وليـــشـــهـــد الطيـــر والأطيـــاب والنَّسَمُ
وكل شـيء هنـا يرنـــو ويبـــتـــســـمُ
إني علـى عـــهـــدها بـاقٍ وإن زعـــمـــوا
أن الـردى قـــاتـلٌ حـــبّـي وأوتـــاري

✱✱✱✱

(١) الضمير فيهما عائد إلى (هنيهات الصفا) (المترجم).

# البحـــيـرة(*)

ســـــتظل الحـــيـــــاة في الكـــون تجـري
واللّيـــالي تمتـــد من غـــيـــر فـــجـــرِ
في بحـــــار الزمـــان ندفـع دَوْمًـــا
كل بحـــرٍ يقـــودُ منهـــا لبـــحـــر
لـيس نـقـــوى عـلـى الـوقـــــوف بـيـومٍ
إن رأينـا الـوقـــــوف بـالـيـــــوم يُغـــري
لا، ولا نســـــتطيـــع عـودًا لـعـــهـــدٍ
أنصـف الـقـلـب فـي قـــــديـــم الدهـــر

هـكذا قـــــد طوَيْـــتُ بـالـيـــوم أمـــــسي
مـــا شَـفـيْتُ من الحـبـيـبـــة نفـســـي
ها هـنا تشـــهـــد البـــحـــيـــرة أنّـــا
قـــد شـــربنا الغـــرام كـــأسًـــا بكـــأس
ثم لـم يَكـد ينقـــضي العـــام حـــتـــى
غـــادرتني وخلفـــتنـــي لبـــؤســـي
فـــإذا بـــي لدى البـــحـــيـــرة وحـدي
إن تســـاءلت لم أجـــد غـــيـــر يأســـي

كم جلســـنا وحـــدثتنا البـــحـــيـــرهْ
بـهـــــدير الشـــــواطـــئ المخـــــرورهْ

(*) ترجمة «فهد بن علي النفيسة»، ونشرت كذلك بالعدد الثالث من السنة الثانية من المجلة العربية في سنة ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م، ص ٨ وما بعدها.

كم تمادت فـــقـــبَّلـــتْ قـــدمـــيـــهـــا
في ســـــرورٍ، وكـــبـــريـــاءٍ وغـــيـــره
كم زها الصـــخـــر حـــينمـــا تعـــتليـه
فـــهـــو عـــرشٌ يخـــتـــال تحت أمـــيـــره
كـم رمـى المـوج حـــــــولـه فـي نـشـــاط
زبدًا مـــثل فـــضـــــةٍ مـــصـــهـــوره

آه هل تذكـــر البـــحـــيـــرة أمـــســـي
والمســـــــاء الذي تـولَّـــــى بـأنســـــي
إذ مـــخـــرنا عـــبـــابَهـــا في سكـــونٍ
يتـــغني المجـــداف فـــيـــه بـهـــمـــسِ
وأيـادي الميـــــاه تســـــعـــى إلـينـــا
ثم تمضي للـعـــمق من غـــيـــر لمـــس
وحـــديثُ الـغـــرام فـي شـــفـــتـــيـنـــا
لـيـس يـحـكـى فـي نـطـق جـنٍّ وأنـــس

يوم قـــالت حـــبـــيـــبـــتـــي للّيـــالـــي
اتركـــــــينـا نَعُبُّ كـــــأس الـوصـــال
فـــقـــفي عند هذه الحـــال لسنـــا
بـعـــــدها نبـــــغي في الدُنا أيّ حـــال
آهِ لـكنَّ فـــي الحـــيـــــاة أنـامًـــــا
بؤســـاءً يرجـــون منك التـــوالـــي

فـــتـــوالـي لأجلـهـــم واســـعـــديهـــم
واتركـــــينـا نـعـــيش فـي الآمـــال

آه ! مـــــالي أتوه فـــي أحـــــلامـــــي؟
أبتـــــغي غـــــيـــر سنـــــة الأيـــــام
ســـــوف يطوى اللقـــــاء والليل يمضـي
فَلْنُســـــارع لحَـــسْـــوِ كـــأس الغـــرام
مـــا لنا ولِلَّيـــل غـــيـــر التـــلاشـــي
فـــــالخلود ضـــــرب من الأوهـــــام
ليس للعـــيش شـــاطـــئ ننتـــحـــيـــه
أو حـــــدودٌ نرومـــــهـــا للمـــــقـــــام

أيُّهـــا الدهرُ، يـا شـــقيٌّ، أَجِـــبنـــي
لِمَ تفني مـــســـــرتي قـــبل حـــزني ؟
لِـمَ لَـمْ تُـبْـقِ لـي من الأمـــس جـــزءًا
رُبَّ جـــــزءٍ من المســـــرة يُغنـــــي؟
أين تلك الأيام أيـــن الحـــبـــيـــبـــة
أين ســـــعـــــدي وأين أنسي وأمني؟
هل توارتْ بلا رجـــــوعٍ ومَـنْ قـــد
ســـاقـــهـــا لي يســـوقُـــهـــا اليـــوم عني ؟

أَفْـــــتِني يا خلودُ : أيـــــن هنـــائي
وافـــتني يا ضَـــيـــاعُ : أين عـــزائي ؟
واخـــبـــريني يا هوّة العـــيش خلفـــي
أين ســـــعـــــدي الذي تلاشى ورائي؟
لِمَ لا تُرجِـــعـــون لي بعض أنســـــي
أو تروني في الغـــيم بعـــد رجـــائي؟

مـــا الذي تصنعـــونـــه بالليـــالي
حـين تطـوونـهـــــا بـــــلا إرجـــــاء
صـــخـرتي، كـــهـفي، غـابتي، والبـحَـيْـرَه
احـــفظوا الودّ، إنْ طوتني المســـيـــرهْ
ســـوف أمـــضي وســـوف تبـقـــون، بعـدي
فـــاكـــتـــبـــوا عن غـــرامنـــا أسطـــوره
واحـــفظوهـــا ورددوهـــا فـــحـــســـبـــي
أننا قـــصـــةٌ غـــدت مـــشـــهـــوره
واحـــفظيـــهـــا يا تلَّتي، يـــا صنوبـــر
يـا ربى، يـا حـــجـــارتي المـهـــجـوره

وليـــــقل بلبل الريـــــاض الشـــادي
وليـــقل ثغـــر غـــصنهـــا الميّـــاد
وليـــقل شـــاطـــئُ البـحـــيـــرة دومًـــا
وليـــقل هاتفُ الصـــبـــا في الـــوادي
وليـــقل كل مـــا علـــى الأرض عنّـــا
في نشـــيـــدٍ مـــســـتـــرسِل الإنشـــاد :
قـــد أَحَـبَّـــا وأخلصـــا فـاســتـحـقـــا
أن يدومـــــا بالذكـــــر فـــي الآبـــاد

✱✱✱✱

# البحـــيرة (*)

مـــــراحلُ الدهر تطوينـــــا ليـــاليـــهـــا
ولا مـــفـــــرّ، فـــآتيـــهـــا كـــمـــاضِـيـــهـــا
في لجّـــة العـــمـــــرِ نُلْقى كى نســـيـــر، ولا
نلقي المراسيَ يومًـــا فـــي مـــوانيـــهـــا
يـا مـــــوجُ، أين التي كـــــانـــــت تؤمَّلُ أنْ
تأتي وتلقـــاك ؟ قـــد خـــابت أمـــانيـــهـــا !
مـــا كـــاد يلفظ هـــذا العـــامُ نسـمَـتـــه
رَجَـــعْتُ أبحث عنهـــا، لا ألاقـــيـــهـــا
جلستُ وحـــدي حـــزينًا حـــيـــثـــمـــا جلسَتْ
وكنتَ تنظرهـــا تشـــدو أغـــانيـــهـــا
مـــا زلتَ مـــصطخـبًـــا فـــوق الصـــخـــور ومـــا
زالتْ تردُّكَ مـــدحـــــورًا حـــواشـــيـــهـــا
والـريحُ تلقي على أقـــــدامنـــــا زبـــــدًا
عن الصـــخـــور تهـــاوَى مـــن أعـــاليـــهـــا
ألسْتَ تذكـــــر إذ ســـــرنـــــــا وثالثنـــــا
في هَدْأة اللّيل أنفـــاســـي تناجـــيـــهـــا ؟
لا شـــيء يـقـــلـــق ذيّـاك الـســـكـــونَ ســـــوى
جَـــرْسِ المجـــاديف في آذان رامـــيـــهـــا

(*) ترجمة «شحادة عبد الله اليازجي»، ونشرت بالمجلة العربية بالعدد السادس من السنة الثانية سنة ١٣٩٨ هـ ضمن المسابقة التي أعدتها المجلة في موضوع «أفضل ترجمة شعرية لقصيدة البحيرة» وقدمت المجلة لها بـ «من أحسن القصائد التى وصلت إلينا في مسابقة البحيرة... وهي تأتي في ترتيب لجنة التحكيم الثالثة».

هزّ الصـــدى نيّـــراتٍ أثلجت كـــبـــدي
ياما أُحـيْلى بأذنِي صـوت حـاكـيـهـا
فـاهت فـأخـرست الأمـواج نقـمـتـهـا
لم تألف الأرض نغـمـتـهـا تحـاكـيـهـا
يا دهر قف لا تَسـر، ســاعـات لذتنا
توقـفي، واتركـينـا فـي مـجـاريهـا
أَلاَ اتركـــينـا نَذُقْ لذات أجـــمل أيَّـ
ـيـام الحـيـاةِ،اتركـيـهـا لا تُدانيـهـا
كم أشـقـيـاء بهـذا الكون قـد طلبـت
منك المسـيـر، فلبِّـيـهـا وداوِيهـا
مُـرِّي عليـهـا، خـذي أيام مـحنتـهـا
وانسي صـفـا السُـعَـدا، خلّي تصـافـيـهـا
لكنني عـبـثًـا أرجـو توقـفـهـا
فـسـرعـة الدهر لا يُرجـى تلافـيـهـا
أقـول لِلَّيل أمـهِلْنـا وتسـرُعـه
طلائعُ الفـجـر يهـوِي فـي مـهـاويهـا
فلننهب الحبَّ والسـاعـات هاربـة
ولنغـتنمْ مـا لدينا مـن مـجـانيـهـا
لا شط للدهر، لا مـيـنـاء تـأملـه
يمضي وتمضي بـآلامٍ نعـانيـهـا
يـا دهـرُ، يـا هـادمَ اللـذاتِ،كـيـف أوِيـ
قـات السـعـادة فى أبهى لياليـهـا
لهـا بسـرعـتـهـا مـا للتـعـاسـة فـي
مـسـيـرها، منك حظٌّ لا يواتيـهـا؟

فـــــهل تـزول ولا يبـــــقى لـهـــــا أثـــــرُ ؟
أيمّحِى كلُّ مـــعـنى من مـــعـــانيـــهـــــا؟
الدهرُ جـــاد بهـــا ،والدهر يمحـــقـــهـــا
ألا تعـــود بهـــا أيـــام فـــانيـــهـــا ؟
فـــيـــا خلودُ، ويا مـــاضي، ويـا عـــدمٌ
ويـا وهـادَ ظـــلامٍ ضـــلَّ رائيـــهـــا
ألا تعـــيـــدين لـــــذّاتٍ ترســـخنـــا ؟
مـــــا تصنعين بأيـــام تواريهـــا ؟
ويا بحـــيـــرتَنا، يا ذي الكهـــوف ويـا
صـــخـــورُ، يا غـــابةٌ غـصّتْ نواحـيـــهـــا
أنت التي الدهر يبـــقـــيـــهـــا ويحـــفظهـا
يُحـيي فـتـــوتَهـا، يُحْـيِي تصـابيـــهـــا
ألا خـــــذي لك تذكـــــارًا لليلتنـــــا
هذي، احـفظيـه مـثـالاً من مـــآتيـــهـــا
يبـقى بسـخطك، يبـقى فـــي هدوئـــك فـــي
ابتـســـام شـــاطيك في الدنيـا وشـاطِيـهـا
في الدوح[1]، فى ذي الصـخـور الراسـخات على
مـتـــن الميـــاه كـحـــرّاسٍ تـــراعـيـــهـــا
في هينمـــات أهازيج النســـيـــم وفـــي
صـــدى ضـفـافـــك، في أعلى مـراقـيـهـا
في كـوكـبٍ سـاطـــــع،أنـــوار جـبـهـتـــه
تضـــيء صـفـحـتَـك البـيـضـا لآليـهـــا
حـتى لطيف الشـذا من طيـب نسـمـتـك الـ
مـــعطار والريـــح والحلْفـا وحـــاويهـــا

(١) في الأصل : الشوح ( ؟ )

ومـــــا نشـــــم ونلقـــاه ونســـمـــعـــــه
ومـــا نشـــاهد، والدنيـــا ومـــا فـــيـــهـــا
إذا تراءت لـهـــا الذكـــرى تقـــــول: أجـــــلْ
ذاقـــا من الحبِّ كـــأسًـــا جـــارَ ســـاقـــيـــهـــا

✱✱✱✱

# البحـــيـرة(*)

أهكذا قضى الله أن نمخر في عباب الحياة
مدفوعين في ظلام الأبد من شاطئ إلى شاطئ،
دون أن نملك الرجوع إلى ملجأ،
أو الرسو ذات يوم على مرفأ ؟
انظري أيتها البحيرة ! ..
ها هو ذا العام قد كاد يشارف تمامه،
وأنا وحدي بجانب أمواجك الحبيبة
أرتقب عبثا عودة جوليا إليها،
جالسًا فوق الصخرة التى كنت ترينها جالسة عليها !
كذلك بالأمس كنت تهدرين فوق هذه الصخور المعلقة،
وتتكسر أمواجك على جوانبها الممزقة
ويقذف هواؤك الزبد على قدميها المعبودتين .
أتذكرين ليلة كنا فوق صفحتك بين الماء والسماء
نجدف في سكون وصمت،
وقد ضرب الله على آذان الطبيعة وختم على أفواه الخليقة،
فلا نحس حركة ولا نسمع ركزا(١)

(*) ترجمة «أحمد حسن الزيات»، ونشرها ثم في ضوء القمر (وما قبلها في : من الأدب الفرنسي) ص ١٨٠وما بعدها، يتصدرها نظم لامرتين هذه القطعة الخالدة في بحيرة بورجيه من سفوا، وقد وفد على اكس عام ١٨١٧ ينتظر قدوم جوليا إليها وجوليا يومئذٍ كانت تكابد غصص الموت على سرير المرض فلم تلب نداءه ولم تستطع لقاءه، فزفر لامرتين هذه الزفرة، وأرسل هذه العبرة، من صدر مكروب وعين قريحة . ثم عاد إلى (ميلي) شارد اللب مضطرم الجوانح، وهذه هي بطلة قصة رفائيل وهي قصة كتبها لامرتين ونقلها إلى العربية مترجم هذه القصص والقصائد (المترجم).

(١) الركز : الصوت الخفي ( المترجم )

غير إيقاع المجاديف على أنغام الموج ؟ .
وإذا بصوت لا عهد للآذان بمثله ينبعث من ضفتك الجميلة،
فشق حجاب السكون، وأطلق لسان الصدى .
وهناك أنصت الموج، وأصغى الهواء،
وأخذ هذا الصوت الحبيب إليَّ يساقط هذه الكلمات :
أيتها الأرض قفي دورانك ! ..
وأنت أيتها الساعات قفى جريانك ! ..
ودعينا نتمتع بعاجل لذاتنا، وننعم بأجمل أيام شبابنا»
إن كثيرًا من صرعى الحياة وفرائس البؤس
يتضرعون إليك أن تسرعي بهم،
لتخففي من كربهم،
فاستجيبي إليهم،
وكري مسرعة عليهم،
وخذي مع عمرهم الذاهب «ألم عذابهم الواصب،
واتركي السعداء والناعمين غارقين في غفلات العيش وظلال الأمن !
«على أنني واويلتاه كلما لججت في الطلب،
لج الزمان في الهرب، فأنا أتمنى عليه المنى فلا تحقق،
وأستزيده البرهة اليسيرة فلا أوفق،
فسألت هذه الليلة أن تكون أطول وأمهل،
ولكن السؤال خاب
وبازي الصبح قد افترس غراب الليل ! »
فلنتساق إذن كؤوس الهوى دهاقا،
ولنقض مآربنا عجالا،
فليس لسفينة الإنسان مرفأ، ولا لخضم الزمان ساحل :
إن الزمان ليتدفق، وإنا مع تياره نمر ونمضي !

«أيها الزمن الحاقد الحاسد ! ..
أكذلك قضيت أن تمضي لحظات الأنس وسكرات الحب سراعا
كما تمضي أيام الشقاء والبؤس !
«ويلك» ! ..
أما نستطيع على الأقل أن نتبين آثارها ونلمح أنوارها؟!
وكيف ؟ .. أتراها قد ذهبت إلى غير رجعة،
وماتت إلى غير بعث؟ .. واويلتاه ! .. هل انقضى كل شيء ؟ ..
وهل الزمن الذي منحها وأعطاها، والذي طمسها وعفاها،
لا يردها ثانية علينا ؟
حدثنى أيها الأبد ! .. أيها العدم ! .. أيها الماضي ! ..
أيها الخور العميق ! ..
ماذا تصنع بهذه الأيام التي تغيبها في أحشائك،
وتطويها في أثنائك ؟ ..
أما ترجع إلينا ما سلبتنا من سكرات نبيلة، ومسرات جميلة ؟ ..»
أيتها البحيرة الصاخبة ! ..
أيتها الصخور الصامتة !
أيتها الغيران الموحشة ! أيتها الغابات المظلمة ! ..
أنتن اللاتي يبقي عليهن الدهر،
فيجدّهن بعد البلى، ويخصبهن بعد المحل ! ..
فاحتفظن من هذه الليلة السعيدة على الأقل بذكراها،
وانطوين على شذا أرجها وطيب رياها !» .
لتبق ذكراها أيتها البحيرة في هدوئك الشامل،
وعواصفك الهوج، وهضابك الضحوك ! ..
لتبق في هذا الصنوبر الذاهب في السماء،
وفي وعر الصخور المعلقة فوق الماء ! ..

لتبق في النسيم العابث بوجهك،
وفي الهدير المردد بين ضفافك،
وفي الكوكب الفضي يضيء سطحك بأنواره الرخية الزهية ! ...
وليقل الهواء الذي يصفر،
والقصب الذي يزفر،
والنسيم المعطر الذي يضوع !
كل ما نرى وما نسمع وما نتنسم : « لقد كانا عاشقين ! » .

✱✱✱✱

# البحـــيـرة(*)

كذلك لا نزال مدفوعين أبدًا نحو شطآن جديدة، في الليل الأزلي، ومسافرين بلا عودة

أفلا نستطيع أن نلقي المرساة يومًا واحدًا في محيط العمر ؟

أيتها البحيرة ! يكاد العام يتم دورته، فانظري!

لقد جئت وحدي، قرب الأمواج العزيزة

التى يجب أن تراها هي،

جئت أجلس على هذا الحجر الذي رأيتها تجلس عليه !

كنت تجأرين كذلك حيال هذه الصخور البعيدة

وكذلك كنت تتحطمين على جوانبها الممزقة،

وكذلك كانت الريح تلقي زبد أمواجك على قدميها المعبودتين .

هل تذكرين ؟ في ذات مساء، كنا ندفع المجاديف في صمت وسكون لم يك يسمع من بعيد على صفحة الموج،

تحت السماوات،

غير صوت المجاديف وهى تضرب ضرباتها المتزنة على أمواجك الرخيمة .

وفجأة تردد صدى أقوال مجهولة آتية من الأرض – على الشاطئ المفتون .

وكان الموج منتبهًا، وكان الصوت المحبوب يردد هذه الكلمات :

أيها الزمن : قف طيرانك وأنت أيتها الساعات الهنيئة ! قفي جريانك :

دعينا نتذوق اللذات العجلى من خير أيامنا وأجملها .

(*) ترجمة «عبد العزيز صبري»، ونشرت بالسياسة الأسبوعية العدد ١٧٩ من السنة الرابعة (أغسطس ١٩٢٩م).

كم من شقي هنا يتوسل إليك، فأسرعي بهم،
واتخذي من أيامهم يد العناية التي تطويهم، وانسي السعداء . غير أني أرجو بعض الزمن عبثا .
إن الزمن يهرب مني فأقول لهذا الليل .
مهلاً، إن الفجر سيمحو الظلام .
فلنحب إذن، فلنحب إذن ! ولنسرع لنسبق الساعة الهاربة !
فليس للإنسان مرسى، وليس للزمن شاطئ
إنه يجري ونحن نمضي في إثره .
أيها الزمن الحسود : هل يمكن أن تطير منا أويقات النشوة
التي يملأ لنا فيها الحب كأس الهناء مترعة بسرعة أيام الشقاء؟
كيف ! ألا تستطيع على الأقل تعيين أثرها ؟ كيف ! هل تمضي إلى الأبد ؟
كيف ! كل شيء هالك !
هذا الزمن الذي وهبها، هو الزمن الذي محاها، فلا يعيدها الينا أبدا !
أيها الخلود، أيها العدم، أيها الماضي، أيتها اللجج المظلمة :
ماذا تفعلين بالأيام التى تبتلعين؟
تكلمي : ألا ترجعين إلينا تلك المفاتن العظيمة التي سحرتنا بها ؟
أيتها البحيرة ! أيتها الصخور الصماء ! أيتها الكهوف ! أيتها الغابات المظلمات !
أنت يا من يستبقيك الزمن، أو التي يستطيع تجديد شبابها !
احفظي لديك شيئًا من هذه الليلة . وأنت أيتها
الطبيعة الجميلة ! احفظي لنا الذكرى على الأقل !
أيتها البحيرة الجميلة ! لتكن في سكونك، ولتكن في اضطرابك،
وفي منظر تلالك الضاحكة،
وفي الأدواح القائمة وفي تلك الصخور الصلدة، التي تنحني على أمواهك !

ولتكن في النسيم الذي يرتعش ويمضي وفي صدى شواطئك الأخرى .

وفي الكوكب ذي الجبين الفضي الذي يشرق على وجهك الناصع بأضوائه اللطيفة !

وليقل الهواء الذي ينتحب، واليراع الذي يتنهد،

وشذا ريحك العطر ليقل كل ما نسمع،

وكل ما نرى، وكل ما نتنفس :« إنهما أحبا ! »

✱✱✱✱

# البحـــيـرة(*)

هكذا ندفع دائمًا من شاطئ إلى شاطئ تتقاذفنا الأمواج دون رجوع في ليل لا ينتهي.
ألا نستطيع أبدًا أن نرسو ذات يوم على مرفأ في اقيانوس الحياة ؟
إيه أيتها البحيرة
لم تكد السنة تشارف نهايتها
حتى رأيتني وحدي على جانب هذه المياه الحبيبة التي كان يجب أن نراها مرة ثانية
انظريني أعود وحيدًا
وأجلس منفردًا على هذه الصخرة
التي رأيتها جالسة عليها
لقد كنت تهدرين هكذا تحت هذه الصخور العميقة
وهكذا كنت تتحطمين على جوانحها المشققة
وهكذا كانت الرياح تقذف زبد أمواجك
على قدميها المعبودتين
أتذكرين إذ كنا نجدف على سطحك ذات مساء، بصمت
حتى لا يسمع من بعيد فوق الماء ولا تحت الماء
سوء حركات المجاديف

(*) ترجمة «د. محمد مهدي البصير»، ونشرت بمجلة كلية الآداب جامعة بغداد (إصدار خاص بأربعينية فقيد الوطن والأدب الدكتور محمد مهدي البصير) العدد الثامن عشر ١٩٧٤ بمطبعة المعارف، بغداد سنة ١٩٧٥م، ص٣١ وما بعدها، يتصدرها: «نقلت بحيرة لامرتين الشهيرة إلى العربية في ترجمتين إحداهما منظومة للدكتور نقولا فياض، والثانية منثورة للأستاذ الزيات. وقد أحببت أن أفرغ هذه القطعة الفرنسية الجميلة في قالب عربي ثالث. ومن المفيد أن أذكر القارئ أني توخيت الترجمة الحرفية في هذا النقل، فلم أتصرف إلا نادرا. وقد وضعت الكلمات القليلة التى لا مقابل لها فى الأصل داخل أقواس، تمييزًا لها عن غيرها».

التي توقع بانتظام على نغم الأمواج ؟
بينما نجدف إذ بالشواطئ المسحورة
تردد فجأة صدى نبرة غير معروفة على الأرض
هناك أنصتت الأمواج وساقط الصوت الحبيب
إليَّ هذه الكلمات :
إيه أيها الفلك أوقف دورانك[١]
وأنت أيتها الساعات السعيدة عطلي جريانك
ودعينا نتمتع باللذات العاجلة من أجمل أيامنا
إن في الأرض كثيرًا من البؤساء
الذين هم يضرعون إليك أن تسرعي إليهم
مري بهم سراعا
وخذي مع أيامهم الآلام[٢] التي تفترسهم
وتناسي السعداء
ولكني أطلب عبثًا بضع سويعات أخرى
فإن الوقت يطير من يدي شاردا
لقد قلت لهذه الليلة : كوني أطول عمرا
ولكن الفجر سيمزق شملها
لنحب إذن، لنحب إذن
ولنسرع للتمتع بهذه الساعات الذاهبة
فليس لسفينة الإنسان من مرفأ[٣]

---

(١) الترجمة الحرفية : إيه أيها الوقت، أوقف طيرانك (المترجم).
(٢) الترجمة الحرفية : القلق (المترجم).
(٣) الترجمة الحرفية : ليس للإنسان من ساحل (المترجم).

ولا لإقيانوس الزمان من ساحل
إنه يجري، ونحن نمر ( من أمواجه )
أيها الزمان الحاسد،
أمن العدل أن الساعات
التي يترع لنا فيها الغرام أكواب السعادة
تطير بعيدة عنا بنفس السرعة .
التي تتوارى بها أيام الشقاء ؟
ماذا ؟ ألا نستطيع على الأقل أن نتبين آثارها ؟
ماذا ؟ أتوارت إلى الأبد ؟
أخسرناها كلها ؟
وهذا الزمن الذي أعطاها وأسرها
ألا يعيدها ثانية ؟
أيها الخلود، أيها العدم، أيها الماضي
أيتها المجاهل السحيقة خبريني
ماذا تصنعين بالأيام التى تبتلعينها ؟
تكلّمي ! ألا تعيدين إلينا تلك السكرات العلوية
التى اختلستها منا ؟
إيه أيتها البحيرة
أيتها الصخور الصامتة، أيتها الكهوف
أيتها الغابة المظلمة
أنتن اللواتي يبقي عليهن الدهر ويجددهن
احفظن من هذه الليلة
احفظي أيتها الطبيعة الجميلة ذكراها على الأقل
ليكن فى النسيم العليل الذي ( يدغدغ أمواجك )

وفي الأصداء التي ترددها شواطِئك
وفي الكوكب الفضي اللجيني
الذي يبيض سطحك بأنواره المشرقة[١]
ليقل الريح التي تئن والقصب الذي يتنهد
ونفحات نسيمك المعطر النديه[٢]
ليقل كل ما يسمع وما يرى وما يتنسم
ليقل كل هذا : لقد كانا متحابين[*]

✱✱✱✱

(١) الترجمة الحرفية : أنواره اللينة (المترجم).
(٢) الترجمة الحرفية : الخفيفة (المترجم).
(*) حملت الترجمة في نهايتها : بغداد ٤/ ٢ / ١٩٣٨ .

# البحـــيـرة(*)

هكذا نُدفع دائمًا نحو شطآن جديدة
ونحلم في الليالي الخالدة ولا نعود !
ألا نستطيع – على خضم الزمن –
أن نلقي المرساة يومًا واحدًا ؟

أيتها البحيرة : أوشك العام أن ينقضي .
انظري ! إنني قادم وحدي لأجلس على ذلك الحجر
الذي رأيتها تجلس عليه
قريبًا من تلك الأمواج التي كان يجب أن تراها ثانيًا .
إنك كنت تزأرين – كفعلك الآن – تحت هذه الصخور الغائرة وكنت تتحطمين
كذلك على جوانبها المحطمة،
وكذلك كانت الرياح تلقي زبد الأمواج
على أقدامها المحبوبة،

وفي إحدى الليالي – ألا تذكرين – سار بنا الزورق في صمت وما سمعنا
– إلى مدى بعيد – فوق الماء وتحت السماء
إلا ضربات النوتي، المستوية اللحن،

(*) ترجمة «عبد الرزاق حميدة»، وجاءت في كتابه: في الأدب المقارن ص ٦١ وما بعدها، وصدرها بقوله: ترجمت هذه القصيدة شعرًا ونثرًا وقد آثرت أن أنقلها عن الأصل الفرنسي نثرًا لصعوبة المحافظة على الأصل، ولو كان في استطاعة أديب أن ينقلها شعرًا، ويحافظ فيها على المعنى، والخصائص الفنية المتعلقة بناحية اللفظ والأسلوب . لكان خيرًا وأقوم وكنا عندئذٍ نستطيع أن نتحدث عن قيمتها من هذه الناحية أما أنا فقد آثرت ترجمتها نثرًا وهذه هي الترجمة».

لأمواجك المؤتلفة الأنغام .

ثم فاجأتنا ألحان لا عهد للأرض بمثلها
من الشاطئ الساحر، هات الصدى
وأصغى الموج، وذلك الصوت الحبيب إلى نفسي
أطلق من فيه تلك الكلمات :

« أيها الزمن قف دورتك، وأنت أيتها اللحظات المسعدة
كفي عن المسير،
ودعينا نستمتع بهذا السرور العاجل
الذي ننعم به في أهنأ الأيام
هناك كثير من البائسين يضرعون إليك،
فأسرع، أسرع إليهم،
واقض آجالهم، واقتن معها ما يحطمهم من الأوصاب،
وانس السعداء .
لكن رجائي أن أستمتع لحظات أخرى كان خائبًا،
لقد أفلت مني الزمان وطار .
قلت لتلك الليلة «لا تعجلي» ولكن طلع الفجر .
فمحا آية الظلام .
فليحب بعضنا بعضًا . وفي الزمن الفاني .
فلنسرع إلى الاستمتاع .
ليس للإنسان مرفأ وليس للزمن من شاطئ .
إنه يسير، ونحن ذاهبون .

أيها الزمن الغيور : أيمكن لساعات الحبور هذه –

وهي التي سقانا الحب فيها السعادة ونحن فوق الأمواج –
أن تنأى عنا مسرعة،
كما تسرع إلينا أيام الشقاء ؟
عجبًا ! ألا نستطيع على الأقل أن نتبين آثارها ؟
ما هذا ؟ أتنقضي ولا تعود ؟ ما هذا ؟ أكلها قد نسيت ؟
ذلك الزمن الذي جاد بها، ذلك الزمن الذي محاها .
ألا يردها من جديد ؟

أيتها الأبدية، والعدم، والزمن الغابر، وغيابات الماضي،
ماذا فعلت بالأيام التي التهمتها ؟
انطقي ! أتردين إلينا تلك المسرات العظيمة .
التي انتزعتها من أيدينا؟
أيتها البحيرة، والصخور الصامتة، والمغارات، والغابات الغامضة
أنت أيتها التي يبقي عليها الزمن، أو يعيد إليها الشباب،
لتحفظي تلك الليلة، ولتعيها أيتها الطبيعة الحسناء،
أو – على ألأقل – فلتذكريها .

احفظيها في وقت سكونك وفي ثورتك .
أيتها البحيرة الجميلة . وفي مرأى جنباتك الباسمة،
وفي أشجار الأرز المظلمة، وفي تلك الصخور القاسية .
التي تشرف على أمواهك .
احفظيها في نسيمك الذى يخطر ثم يسير .
احفظيها في اصطخاب شطآنك الذي ترددد هذه الشطآن .

وفي لمعان وجهك الفضي الذي يلألئ سطحك .
وفي أنوارك الناعمة .

فلتنطق الريح الحنون، واليراع الزافر،
والشذى الخفيف الذي يحمله هواؤك العاطر،
وكل شيء يرى أو يسمع أو يتنفس،
ولتقل جميعها : إنهما قد تحابّا.

✷✷✷✷

# البحـــيـرة(*)

هكذا نساق كل يوم نحو شط جديد،
نساق إلى غير أوبة في ليل سرمديٍّ،
يا ليت شعري – والأيامُ نَسبَحُها كبحر مديد –
أنُلْقي المِرْساة يومًا واحدًا في بحرها اللجي ؟

أيتها البحيرة ! هأنذا – ولم تكد تدور بنا دورة العام –
هأنذا بجانب الموج الحبيب الذي وَدَّتْ لو تعودُ إليه،
انظري ! هأنذا أجلس على هذه الصخرة وحيدًا،
على الصخرة التي رأيتها جالسةً عليها

هكذا غمغمتِ تحت عميق الصخور،
هكذا لاطَمْت جَنْبَيْها فانتثرت رذاذًا،
هكذا ألقت الريحُ من أمواجك بالزَّبَدِ
على قدميها الحبيبتين

أتذكرين ذات مساء إذ سبحنا في الزورق صامتين
بين موجك والسماء، لا نسمع على بُعد صوتا
إلا إيقاع المجاذيف يغمسها أصحابها
في موجِكِ المتناغم الألحان ؟

(*) ترجمة أحمد أمين وزكي نجيب محمود، في : قصة الأدب في العالم، الجزء الثالث من القسم الأول، ص ١١٨ وما بعدها، طبعة : سلسلة : ذاكرة الكتابة، القاهرة ٢٠٠٢، مصورة عن طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

وإن هي إلا نبرات لم تعهد الأرض مثلها
ترفُّ من الشاطئ المسحور فتُسكتَ سائرَ الأصداء
ويُصغي الموجُ إلى صوتها الرخيم
إذ يجري بهذه الكلمات

قف أيها الزمان دورتَك، ويا أوقات السعادة
رويدكِ لا تسرعي الخطى !
لننشق منك العبير وإنه لسريع الزوال
فأنت من أيامنا أحلاها عبيرًا

«كلا يا زمانُ، فما أكثر البؤساء الذين رفعوا أكف الدعاء
لنسرع الخُطى، فَدُرْ يا زمان من أجل هؤلاء
وفي غضون أيامك احملْ ما يُشقيهم من عناء،
وعن السعداء غُضَّ الطرف، إنهم سعداء»

«لكني عبثًا دعوتُ أن أُمْهَلَ بضعَ دقائق،
إذ أفْلَتَ مني الزمانُ وأسرع
فخاطبْتُ ليلتي : «إذن فرويدك أبطئي»
لكن أقبل الفجر وبَدّد ليلي»

«هيا إلى الحب، وإلى الحب هيا ! لا نُبْطِئَنْ
وبهذه اللحظة الهاربة فلْنَسْعَدَنْ
ليس للإنسان مرفأ فيرسو، بحر الزمان بغير شطٍّ
إنه يجري، ونحن في جريه نمضي !»
يا لَغَيْرَة الزمن ! أيجوز لهذه اللحظات النَّشْوى بالنعيم

حيث الحب قد أترع كؤوسنا غبطةً وسعادة
أن تزول عنا مسرعة خطاها
كأنها في ذلك وأوقات الشقاء سواء ؟

ويحي ! أَفَلَنْ نستطيع أن نُخَلِّف بعدنا أثرًا ؟
ماذا ؟ أماضُون نحن إلى الأبد فلا إياب ؟
وهذا الذي أعطاه الزمن ثم محاه
ألن يعود مرة أخرى فيعطيه ؟

أيها الأزل، أيها العدم، أيها الماضي، يا هوةً سحيقة ظلماء !
ماذا تصنعين بالليالي التي في جوفك تبلعين ؟
انطقي ! أأنت رادَّةٌ إلينا لحظات النشوة العظمى
التي كانت لنا فسلبتِها ؟

أيتها البحيرةُ، ويا بُكْمَ الصخور، ويا كهوفُ، ويا ظليل الغاب !
أناديكِ أنتِ التي أغضى عنك الزمان فأبقاك، بل هو خالعٌ عليك شبابًا بعد شباب
احفظي من هذه الليلة، أيتها الطبيعة الجميلة، احفظي
على الأقل ذكراها !

كلما سكن منك الماء أو اضطرب بهوج الرياح
أيتها البحيرة الجميلة، وفي جبينك هذا، المشرق الوضاح،
في هذا الصنوبر الأدكن، وفي هذه الصخور الغلاظ
التي تَفْتَرِشُ فوق مياهك

كلما هب عليك النسيم هامسًا أو لامسًا
كلما صاتَتْ جنباتُك فردَّتْ جنباتك الأخرى الصدى
كلما فَضَّضَ ماءك النجمُ اللامعُ
بخيوط من شعاعه الوضاء

كلما أنَّتْ رياحٌ أو تنهد عُود
كلما عبق هواؤك بأريج وعبير
مُري كل ما ترى العين أو يشم الأنف أو تسمع الأذن
مري كل هؤلاء أن تقول «لقد كانا حبيبين !»

✱✱✱✱

# البحـــيـرة(*)

أيتها البحيرة، ها هي ذي السنة قد انتهت دورتها،
وها أنذا أجيء الآن لأجلس وحدي على هذا الحجر
الذي كنت ترينها جالسة عليه بجانبي في العام الماضي،
وبالقرب من تلك الأمواج الغزيرة التي كان ينبغي أن تراها جوليا في هذا العام.

أيتها البحيرة لقد كنت تصطخبين تحت هذه الصخور العميقة وتتكسرين على
جوانبها الممزقة
ولقد كانت الرياح تلقي بزبد أمواجك تحت قدميها المعبودتين،
وهل تتذكرين أننا في ذات مساء كنا نتنزه فوق سطح مياهك في سكون شامل
إلى حد أنه لم يكن أحد يسمع فوق الأمواج وتحت السماء
إلا ضجيج المجاذيف
التي كانت تضرب على نسق واحد أمواجك المنسجمة
وفجأة علا صوت ليس معروف النظير على هذه الأرض
وضرب أصداء الشواطئ المفتونة،
وأصغت للهجته الأمواج وانتبهت، فإذا به يقذف بهذه الكلمات :

(*) ترجمة: «د. محمد غلاب»، أدباء الرومانتيكية الفرنسية، القاهرة ١٩٥٨ ص ١١٠، مسبوقة بـ : «لا شك أن من يقرأ هذه القصيدة يرى بين سطورها أن هذا الشاعر كان يعتبر الطبيعة كائنًا حيّاً يصح أن يشكو إليه العشاق آلامهم، ويبثوه أحزانهم وأرزاءهم ويشهدوه على وفائهم وإخلاصهم، ويأتمنوه على ذكرياتهم وأسرارهم وحقًا كان لامارتين كذلك بإزاء الطبيعة، كان إذا خلا إليها ناجاها واسترحمها واتخذها كاتمًا لأسراره، أمينًا على مكنونات قلبه، وليس هذا فحسب، بل كان يذهب به خياله الشعري إلى أبعد من هذا فيتصور أنها تشاركه آلامه وأحزانه، وترتدي الحداد من أجل نكباته وبأسائه».

«أيها الزمن قف عن السير، وأنت أيتها الساعات كفي عن مرورك ودعينا نتذوق
هذه اللحظات السريعة من بين أيام حياتنا،
أيتها الصخور الخرساء، أيتها الكهوف والمغاور، أيتها الغابات العميقة
أنتن اللواتي سيبقي عليكن الدهر
وسيستطيع أن يعيد إليكن شبابكن المفقود
احفظن واحفظي أنت أيضًا أيتها الطبيعة الجميلة
ذكريات تلك الليلة على الأقل
أيتها البحيرة الجميلة،
لتكن هذه الذكريات محفوظة لديك في سكونك وفي هياجك
وفي مظاهر جوانبك الضاحكة،
كما في مناظر تلك الأشجار السوداء
والصخور المتوحشة المحنية فوق مياهك
أيتها البحيرة،
لتنطق العواصف التي تتأوه،
والأشجار التي تتنهد،
والعطر اللطيف الذي يحمله هواؤك الشذي،
وعلى الإجمال: لينطق كل ما يسمع وما يرى وما يستنشق
بأن هذين الشخصين قد تحابا».

✱✱✱✱

# البحـــيـرة(*)

وهكذا نظل مندفعين نحو شطآن جديدة
نضرب في ليل الأبد
إلى غير عودة
أفلا نستطيع أبدًا
فوق محيط السنين
أن نرسي القلاع يومًا
كاد العام ينتهي
أيتها البحيرة .. فانظري !
..هأنذا آتي إليك وحيدًا
أجلس فوق هذه الصخرة
حيث رأيتها تجلس
قريبًا من الأمواج الحبيبة
التي كانت ستراها من جديد
وهكذا كنت تهدرين
تحت هذه الصخور العميقة
وعلى جوانب هذه الصخور

(*) ترجمة د. محمد غنيمى هلال، في كتابه : النقد الأدبي الحديث، الطبعة الخامسة، القاهرة ١٩٧١ (مكتبة الأنجلو المصرية)، ص ٤١٦، وغني عن الذكر أنها مجرد مقتطفات، وإنما أوردناها لما تتسم به من دقة، ولمكانة محمد غنيمي هلال الذي أثرى الموضوع بمؤلفات مثل : الرومانتيكية (القاهرة ١٩٧١) وكتابه: الأدب المقارن - دار العودة، بيروت، ويضم فصلاً جيدًا عن المذهب الرومانتيكي، وكذلك كتابه : دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده - دار نهضة مصر، القاهرة، ويضم فصلاً في غاية الجودة عن فلسفة الصورة في شعر الرومانتيكيين.

كنت تتكسرين
وهكذا كانت الريح ترمي بزبد موجاتك
على أقدامها العزيزة
ذات مساء – ألا تذكرين
كنا نسبح في صمت
حيث لم يكن يسمع من بعيد
فوق الموج وتحت السموات
سوى خرير المجاديف
تضرب – في إيقاعها –
ألحان موجاتك
أيتها البحيرة
والصخور الصماء .. والكهوف .. والغابة المظلمة
أنتن في أمان من الزمن
بل إنه يعيد إليكن الشباب
فلا أقل من أن تحتفظن
وأن تحتفظي – أيتها الطبيعة الجميلة
بذكرى هذه الليلة!

✱✱✱✱

# البحـــيـرة(*)

أنظل هكذا منساقين أبدًا إلى شواطئ جديدة
محمولين دائمًا وسط الليل الأبدي بغير رجعة ؟
أو ما نستطيع أن نلقي بمرساتنا يومًا
على شاطئ الزمن اللجي ؟
أيتها البحيرة ! لم يكد العام يتم دورته، ومع ذلك انظري
ها أنا وحدي جالسًا فوق هذه الصخرة
التى رأيتها تجلس عليها

(*) ترجمة «د. محمد مندور» فى كتابه: فن الشعر، ص ٤٦ وما بعدها، ومهد لها بأن الشعراء الرومانتيكيين « نرى عندهم قصائد يوحي عنوانها بأنها قصائد وصفية مثل قصيدة «البحيرة» للامرتين، ومع ذلك نقرأ هذه القصيدة التي كتبها على ضفاف بحيرة بورجيه فى جبال السافوي بفرنسا فلا نجد فيها أي وصف لتلك البحيرة، وقد استحالت إلى مجرد إطار لتجربة عاطفية عاناها على ضفافها مع حبيبته «إلفير» التي قضى معها على ضفافها خمسة عشر يومًا سنة ١٨١٦ ثم تواعدا على العودة إليها في العام القادم، ولكن شاء القدر أن يعود لامرتين وحده، أما الحبيبة فكان الموت قد طواها بداء الرئة، فكتب هذه القصيدة الرائعة باسم «البحيرة» وما فيها من وصف البحيرة غير ملامح خاطفة، أما بقية الشعر فعن ذكرياته مع الحبيبة ولواعجه على موتها المبكر وما يسوقه إلى الشاعر من تأملات في الحياة والموت وتلقف الغناء لفترات السعادة التي نصادفها في حياتنا العابرة، فالقصيدة كلها تعبير عن ذات الشاعر لا وصف للبحيرة أو محاكاة لصورتها الشعرية التي انعكست في نفسه، وبذلك يمكن القول بأن الكلاسيكية المستندة إلى نظرية المحاكاة الأرسطاطالية ونظرية التعبير عن الوجدان الفردي وهي النظرية التي يسهل ربطها بالإلهام الشعري قد وضعتا نهائيًا القطبين اللذين لا يزال الشعر يتأرجح بينهما منذ فجر الإنسانية حتى اليوم، وإليهما ترجع فى أيامنا هذه، النظريتان الكبيرتان اللتان يتنازعان العالم، وسيظلان يتنازعانه إلى أمد طويل وهما : «نظرية الواقعية والنظرية الرومانسية ».

غلبت إذن الرومانسية الحاجة إلى التعبير عن الوجدان الذاتي على غريزة المحاكاة الموضوعية حتى رأينا هذا الوجدان يطغى على كل شعر رومانسي، ولو أوحى بأنه شعر وصفي موضوعي وها هي ذي قصيدة البحيرة للامرتين شاهد على ذلك.

وإلى جوار أمواجك العزيزة التي كانت ستعود إلى رؤيتها

هكذا كنت تهدرين تحت هذه الصخور العميقة
وهكذا كانت الرياح تلقي بزبد أمواجك
فوق قدميها المعبودتين
أو ما تذكرين كيف كنا نجدف صامتين ذات مساء
وكنا لا نسمع عن بعد فوق الموج وتحت السموات .

غير حفيف المجاديف وهي تضرب فى صمت
أمواجك الناغمة
وفجأة ترددت في الشاطئ
أصداء نغمات تجهلها الأرض
فأنصت الموج وتساقطت من الصوت الحبيب
هذه الكلمات :

أيها الزمن قف جريانك
وأنت أيتها الساعات السعيدة قفي انسيابك
واتركينا ننعم باللذات العابرة
التي تتيحها أجمل أيامنا

كثير من منكوبى الحياة يضرعون إليك
فأسرعي. أسرعى إليهم
واحملي مع أيامهم الآلام التى تنهشهم
وانسي السعداء
ولكنني أسألك عبثًا فضلاً من اللحظات

فالزمن يفلت ويهرب
وأقول لهذا الليل تمهل

والفجر سيبدد الليل
فلنحب إذن . فلنحب !
ولنسرع إلى المتعة لحظة الهروب
فالإنسان لا مرفأ له، والزمن ما له من شاطئ
إنه ينساب وننساب معه

أيها الزمن الغيور
هل يجوز أن تنساب عنا لحظات النشوة
التي يسكب لنا فيها الحب السعادة جرعات طوالا

بالسرعة نفسها التي تنساب بها أيام الشقاء؟
ثم ماذا؟ أو ما نستطيع أن نستبقي الأثر؟
أهكذا تمر إلى الأبد ؟ أهكذا يضيع كل شيء
وهذا الزمن الذي منحها والذي محاها

لن يردها إلينا قط ؟
أيها الأبد ! أيها العدم ! أيها الماضي! أيتها الأغوار الداكنة
ماذا تفعلين بما تبتلعين من أيام ؟
تكلمي، هل ستردين إلينا تلك النشوات العلوية
التي تسلبينها منا ؟

أيتها البحيرة. أيتها الصخور الصامتة، والكهوف
والغابة الحالكة.
أنت التي يستبقيك الزمن أو يجدد شبابك.
احتفظي من هذه الليلة، أيتها الطبيعة الجميلة.
على الأقل بالذكرى.
وفى لحظات هدوئك أو صخبك
أيتها البحيرة الجميلة وفي شواطئك الباسمة
وفي صنوبرك الأسود وصخورك الموحشة
الحانية فوق أمواهك
وفي النسيم الذي يرتعش ويمر
وفي النغمات التي ترددها شطآنك
وفي النجم الفضيِّ الذي يضيء صفحتك
بأشعته الرخية
وفى الريح التي تئن والغاب الذي يتنهد
وفي العطور الخفيفة المنسابة فى أريج هوائك
وفي كل ما يسمع و ما يرى وما يتنفس
ليتردد في كل هذا : أنهما كانا حبيبين.

✱✱✱✱

# البحـــيـرة(*)

أنظل هكذا .. مدفوعين دائمًا نحو شطآن جديدة
يتقاذفنا الليل السرمدي إلى غير عودة !
أو ما نستطيع ونحن على بحر الأزمان، أن نلقي مرساتنا .. يومًا واحدًا ؟

أيتها البحيرة ! السنة لم تكد تنقضي ..
وهنا، قريبًا من الأمواج الحبيبة التى أرادت الرجوع إليها ...
انظري ! لقد أتيت، أنا وحدي،
أجلس على هذه الصخرة، التي كنت تنظرينها جالسة عليها!
كنت تهدرين تحت هذه الصخور العميقة،
.. وكنت تتحطمين تحت جوانبها الممزقة !
.. وكان الريح يرمي بزبد أمواجك،
تحت قدميها الفاتنتين !

وذات مساء – أما تذكرين – أبحرنا في سكون،
وما كان يسمع لنا، في البعد، فوق العباب،
وتحت السحاب،
إلا ضجة المجاديف وهي تضرب في إيقاع موزون

(*) ترجمة «د. محمد منير العجلاني»، ونشرت بالعدد الرابع من المجلة العربية ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م، ص ١٢ وما بعدها، مسبوقة بمقالة للمترجم بعنوان : «لامارتين أمير الشعراء الفرنسيين (الشاعر الذي أحب الشرق وأعجب بمحمد صلي الله عليه وسلم) هل كان من أصل عربي ؟».

أمواجك المتناغمة !
وفجأة، تداولت أصداء الشاطئ المسحور
كلمات لا عهد للدنيا بمثل نيرانها ..
فأنصت الموج .. ومن شفتي حبيبتي
تساقطت هذه الكلمات :
أيها الزمان ! قف مسيرتك !
وأنت أيتها الساعات الحلوة قفي دورتك !
ودعونا نستمتع، في أجمل أيامنا،

بهذه اللذات العابرة !
كثير من البؤساء في هذه الدنيا يضرعون إليك،
يا زمان ..
أن نمضي .. فامض قدمًا لأجلهم !
وخذ، مع أيامهم، الهموم التي تفترسهم
ودع السعداء !

ولكنني أنشد، عبثًا، هنيهات أخرى،
فالزمن يبتعد عني ويهرب ..
فيا ليلتنا هذه، سألتك الله تمهلي!

.. ولكن الفجر سيطوي الليل عما قريب !
فلنحب ! ولنحب !
ولنسرع إلى الاستمتاع بالساعة الشاردة ..
ليس للإنسان ميناء ..

وليس للزمان شاطئ
فهو يجري .. ونحن نمضي !

أيها الزمن الحسود ! أمكتوب علينا ..
أن تطير من بين أيدينا لحظات الهناء،
التي يغمرنا فيها الحب بالسعادة،
بأسرع مما تغيب عنا أيام الشقاء ؟
واهًا لنا ! أما نستطيع أن نستمسك، على الأقل،
بإثارة منها ؟
ماذا ؟ أذهبت إلى ألأبد ؟ أضاعت كلها ؟
وهذا الزمان الذي أعطاها،
وهذا الزمان الذي محاها .
ألا يعيدها إلينا أبدا ؟

أيها الخلود ! أيها العدم ؟ أيها الماضي ! أيتها المهاوي السحيقة !
ماذا تصنعون بالأيام التي تطوونها ؟
تكلموا ! ألا تردون إلينا هذه النشوات الرفيعة،
التى تخطفتموها منا ؟
أيتها البحيرة ! والصخور الصم، والكهوف، والغابة السوداء !
أنتم الذين استبقاكم الزمان، وقد يجدد شبابكم،
احفظوا .. هذه الليلة .. وأنت، أيتها الطبيعة الجميلة ..
احفظي .. ذكراها على الأقل !
ويا أيتها البحيرة الحبيبة ! احفظيها ..
في سكونك . وخلال زوابعك ..

وفي مجلى تلالك الباسمة .
وفي صنوبراتك السود،
وفي حجارتك المهجورة التي تتدلى على مياهك ..
وفي نسيم الصبا الذي يرتعش ويمر ..
وفي صخب شطآنك الذي تردد شطآنك أصداءه ..
وفي النجمة ذات الجبهة الفضية التي تنشر . على صفحتك،
غلالة بيضاء شفافة من أنوارها الناعمة ؟

وليقل الريح الذي يئن،
والقصب الذي يتنهد،
والطيوب اللطيفة التي تتضوع من هوائك العطر
وكل ما يسمع،
وكل ما يرى،
وكل ما يتنفس،
ليقل كل هؤلاء :
لقد أحبا !

✱✱✱✱

# البحـــيـرة(*)

دائما تمخر عباب الحياة
تندفع إلى شطآن جديدة
نذهب دون رجعة[1] في الليل الأبدي
ألن نرسو ذات يوم على محيط العمر
أيتها البحيرة ها هو ذا العام كاد ينتهي
وأنا وحيد بجانب أمواجك المتدفقة
أرقب عبثًا عودة ( جوليا )
كنت بالأمس تئنين فوق هذه الصخور
وتنكسرين على جنباتها الممزقة
وتقذف الرياح زبد موجك
على قدميها المعبودتين
أتذكرين ذاك المساء عندما كنا
بين المساء والسماء
نجذف في صمت وسكون
فلا نسمع صوتًا غير إيقاع المجاديف
على أنغام أمواجك
وإذا بأصوات تنبعث من ضفتك الجميلة
تقرع الأصداء فينصت الموج ويصغي الهواء

(*) ترجمة «رجاء الشلبي» (وصفت بأنها مترجمة سورية)، ضمن المواد المصورة من الانترنت عن لامارتين.
(١) في الأصل : رجفة، ولعلها مجرد خطأ في الطباعة.

ويترك الصوت الحبيب
هذه الكلمات تسقط
أيتها الأرض أوقفي دورانك
وأنت أيتها الساعات الجميلة
أوقفي جريانك
دعينا نتمتع بالمتع العاجلة
الأجمل في أيامنا
تتوسل إليك الآلام في هذه الدنيا
أن تسرعي إليهم
خذي من عمرهم الهموم التي أضنتهم
اتركي السعداء
إلا أنني عبثًا أطلب بعض اللحظات
فالزمن يتحرر مني ويولي هاربًا
فأسأل الليلة أن تمر ببطء لكن سؤالي خاب
وإذا بالفجر يبدد الليل
فلنعشق إذًا في الزمن الهارب
ولنهرول ونستمتع
فليس لسفينة الإنسان مرفأ
وليس للزمان شاطئ
فهو يمر ونحن نمضي
أيها الزمن الغيور
هل يرضيك أن تطير لحظات السكر
بعيدًا عنا بسرعة أيام العذاب
والحب الكبير ما زال يسكب لنا السعادة
ويلك هل نستطيع على الأقل

أن نتبين آثارها ؟
هل الزمن الذي أعطاها
والذي محاها
لا يردها إلينا ثانية
حدثيني أيتها الأبدية
أيها البحار المظلمة
ماذا تفعلون بهذه الأيام التي تبتلعونها
ألن تعيدوا إلينا تلك المسرات الجميلة
أيتها البحيرة الصاخبة
أيتها الصخور الصامتة
أيتها الكهوف أيتها الغابة المظلمة
فأنتن من يبقي عليهن الدهر
فاحتفظن من هذه الليلة السعيدة
ومن هذه الطبيعة الجميلة
على الأقل بالذكرى
لتبق الذكرى أيتها البحيرة الجميلة
في هدوئك وهيجانك
في شاطئك الزاهي وفي أشجار الصنوبر
وفي الصخور المعلقة على مياهك
لتبق الذكرى في النسيم العليل المرتجف
وفي الهدير المكرر بين ضفافك
وفي الكوكب الفضي
الذى يضيء سطحك بأنواره الخفيفة
وليقل الريح الذي يصفر

والقصب الذي يزمر
والنسيم المعطر المنبعث منك
ليقل كل ما نراه وما نسمعه وما نتنفسه
لقد كانا عاشقين(*).

✱✱✱✱

(*) **بآخر القصيدة هذا التعليق الذى يتضمن مقتطفات نصها :**

« ولا مرتين نفسه هو القائل» من المحيط الموجة الشاكية
من الرياح الورقة الهاربة
والفجر الذي يعقب المساء
والإنسان الذي يخطفه الموت
إنها كل الذكريات
والأطياف الغامضة الضاحكة
المكتئبة التى يمكن أن يحتويها عمر
معادة ومستذكرة
شعاعا شعاعا
وزفرة زفرة
إنها النفس التي تتدرج من ضوء إلى ضوء
تاركة وراءها الشباب
والحب والتوهم والصراع واليأس
وتقف مشدوهة
على ضفة اللانهاية
كل ذلك يبدأ بابتسامة
ويستمر بالنحيب لينتهي إلى
صوت البوق
القادم من الهاوية »

**هكذا رأينا الشاعر ولقد سكب روحه في جمال الطبيعة متنعمًا بأفلاك الحب وفراديسه.**

# الوحـــدة(*)

أســـرِّح الطرفَ في الوادى الذي انبـــسطت
أمـــام عـــيـــني ووجـــداني مـــرائيـــهِ
والشـــمسُ تســـبح نحـــو الغـــرب في طَفَـــلٍ
وقـــد جلســـتُ حـــزينَ الفكر عـــانيـــهِ
فى ظل «صـفـصـافـة»(١) أمـست كـهـولتُـهـا
تذرو الشـــجـــونَ على الوادي ومـــا فـــيـــهِ
أرى هنـــا غـــالبًـــا في وحـــدة عـــجـــبٍ
مـــشـــــردًا، وكـــأن القلب في تيـــهِ!

☆☆☆☆☆

كم يهـــدر النـهـــر في واديـــه منطلقًـــا
وفـــوق أمـــواجـــه وشـــيٌ من الزَّبدِ
لقـــد تـــــلوَّى على الوادي وســـار إلى
حـيث اخـتـفى مُـخْـدرًا في ظلمـة الأبدِ

(*) نقلاً عن «أعلام الشعر الفرنسي» للعوضي الوكيل، والسيدة س. عبد الرازق صبري، يتقدمها: «قصيدة الوحدة إحدى روائع تأملات لامرتين الأولى، نظمها في سنة ١٨١٩م، وفي الجزء الأول من تلك القصيدة الرائعة ترسم لنا ريشة الشعر، في وداعة وحنان، صور الطبيعة ناطقة بجمالها وروعتها، وفى القسم الثاني يصور لنا ما يغيم في نفسه من سحب الحزن والألم ثم لا يلبث أن يتجه إلى الأمل في وجه الله، ثم تنتهي هذه القطعة بنزوة عابرة من نزوات القلب.
هذه القصيدة تعرض علينا مرائي شتى من آفاق نفس مفعمة بالحزن الممض والألم المرير، كانت عندها الطبيعة أول شيء تطلب منه المواساة، ولكنها وجدتها الآن لا تشفي لها غلة ولا تبل ظمأ، فولت وجهها شطر مرتبة أعلى، ألا وهي مرتبة المثل العليا».

(١) في الأصل الفرنسي «بلوطة» وقد اقترح علينا أن نغيرها هكذا معالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظة باشا.

وفـــي البـــحـــيـــرة مـــاء راح في سِـــنةٍ
قـــد لفّـــهُ عـــبـــقـــريُّ الصـــمت في بُرُد
نجم المســـاء ســـمـــا من عندهـــا صـــعُـــدًا
إلى الســـمـــاء، ومـــا أبهـــاه في الصُّـــعُـــد!

☆☆☆☆☆

والأفق أطرافُـــه أبيـــضّتْ جـــوانبـــهـــا
وازّيـــنت ببـــخـــار أبيـــض يَقَقِ[1]
فَـــمَلْكَةُ الظلِّ تســـري في جـــلالتـــهـــا
في مـــوكـــبٍ بجـــمـــال الظِّـــل مـــتـــسقِ
والشـــمسُ في مـــوقف التـــوديع باعـــثـــةً
أشـــعـــةً قـــبـــل أن تهـــوِى إلى الغـــسقِ
تـــودِّع الغـــابـــةَ اظلمَّتْ مـــآربُـهـــا
لاحت على قـــلـــة تســـمـــو على الأفقِ

☆☆☆☆☆

أرنو إلى الأرض روحًـــا هائمًـــا قلقًـــا
لا يســـتـــقـــرُّ من البلوى على حـــالِ
وليس في صـــورِ الأكـــوان قـــاطبـــةً
مـــا ينقـــذ القلبَ من همٍّ وبلبـــالِ
أمـــضي... وتلك المرائي ليس يجـــذبني
مـــا قـــد تضـــمَّن من حـــسْـــن بهـــا حـــالِ

☆☆☆☆☆

والشـــمسُ تطـــلع للأحـــيـــاء وحـــدهـــمُ
فـــمـــا يحـــس بهـــا الملحـــود في الجـــالِ
أنقِّل العـــيـــن مـــا بين الربى عـــبـــثًـــا
وأقطـــع اليـــوم من صـــبح إلى غـــسقِ

---

(١) يقال أبيض يقق أي شديد البياض كأصفر فاقع وأحمر قان (المترجم).

وأقطع الكون بالعين التي جهلت
مداه في ظلمة تطغى وفي ألقِ
وهل لمثلي مكان في رحائبه
فيه سعادةُ روحٍ في الحياة شقي؟
لم تنتظرنيَ يومًا في جوانبه
سعادةٌ، فتولتني يدُ القلقِ!

✲✲✲✲✲

لكنْ هنالك شمسٌ جدّ ساطعةٍ
شمسٌ حقيقيةٌ، في عالم ثانِ
نهايةُ الفُلك الدوّار مطلعها
بثت سنىً في سماواتٍ وأكوانِ
هل لي سموّ بروحي وهو في جسدٍ
مركّب الجسم من أخلاط أدرانِ
إلى مدى فيه ألقى كل ما حلمتْ
به أمانيّ قلبٍ فيّ ظمآنِ!

✲✲✲✲✲

هناك أثمل من وِرْدٍ ومن نهلٍ
يا طالما رمْته من قبل سلسالا
هناك سوف ألاقي الحبَّ مبتسمًا
هناك سوف تلاقي النفسُ آمالا
في باحة المَثَل الأعلى وساحته
ترنو إليه قلوبُ الناس مختالا
فما له اسمٌ بظهر الأرض نعرفه
ما طاف قطُّ بدنيانا ولا جالا

✲✲✲✲✲

يا مــركبَ الفــجرِ، هل لي فــيك منفــسَحٌ؟
يا مــوكَب الفــجــر، هل لي مــوضع فــيكا؟
أمــضـــي إلى هـــدف مـــســـتـــبـــهمٍ بكَرتْ
نفـــســـــي إليـــه يُقضّ الروحَ تشـــكيكا!
منفـــــاي فـي هـــــذه الدنيـــــا برِمت به
قـــد ضـــقتُ يا أيهـــا المنفى بما فـــيـــكا؟
فـلـيس بـيـنـي وبـين الأرض مـن ســـــببٍ
يا قلبُ مـــاذا تَرى في الأرض يســـبـــيكا



إذا هوت من ذرا أغـــصـــانِهـــا ورقـــهْ
والشَّمس في مـوقف التـوديـع مـحـتـرقـهْ
تهبّ ريـــحٌ فـــتـــذروهـــا وتحـــملهـــا
إلى عـــــوالمَ لـم تحلُم بـهـــا حـــدَقـــهْ
وإنني مـــــثلهـــــا، لا شـــيء يفْـــرِقني
عنهـــا ولا هي عنـي قـــطّ مـــفـــتـــرقـــهْ!
هيـــا احـــملينيَ يا ريح الشـــمـــال ولا
يأخـــذْك في العطفِ بي عطفٌ ولا شـــفـــقـــهْ!

# الوحـــدة (*)

لدى سَـــــرْحـــــةٍ من فـــــوق قُلَّةِ شـــاهق
جلســـتُ شـــريدَ الفكر منشـــعبَ القلبِ
يشـــيِّع طرفي الشـــمسَ عند دلوكـــهـــا
ويرقـــب من تـــلك المشـــاهد مـــا يُصـــبِي
إذِ النهـــرُ صـــخّـــابٌ تلاطَمَ مَـــوْجُـــهُ!
قـــد انســـاب في الوادي فـــأمـــعن في الشِّـــعبِ
وإذْ طرفُ أمـــــواجِ البـــحـــيـــرة راقـــدٌ
تراءى نجـــوم الليل في غـــمـــرها الرحبِ
ومـــا زال ذوبُ التِّـــبـــر بعـــد غـــروبهـــا
يُنيـــرُ أعـــالي الدوْحِ فـــوقَ ذرى الهـــضْبِ
وراح مليكُ الليل يخـــتـــال صـــاعـــدًا
إلى عـــرشـــه العلويّ في رفـــرفٍ رطبِ
وفي جنبـــات الأرض تبـــرٌ مـــشـــعـــشـعٌ
بـه ازدهر الأفقُ الجـــمـــيلُ من السَّكبِ
وقـــد رَنَّ في الأجـــواء ناقـــوس مـــعـــبـــدٍ
رنينًا يهـــز القلب في البـــعـــد والقـــربِ
فكفَّ عن الأعـــمـــال فـــلاّحُ قـــريةٍ..!
وقـــد وقف الغـــادون من خـــشـــيـــة الربِّ
قـــد اخـــتـــلطـــت تلك الأرانـينُ بـالذي
تَبَـقّـــى من الضـــوضـــاء في يومنا المُـصـبِي

(*) ترجمة عبد الجبار الرحبي ونشرها في الرسالة العدد ٨٨ (١١ مارس ١٩٣٥) ص٣٩٩، وأهداها للأستاذ الزيات.

ولكنَّ نفـــســـي من مـــبـــاهـــج مـــا رأتْ
من المنظر الفـــتَّـــان خـــلو من الحـــبِّ!!
أجل! كـــانت الدنيـــا بعـــينـــي كـــأنهـــا
خـــيـــالٌ مطيـــفٌ لا يقـــرُّ على هُـــدْبِ
وهل تدفىء الموتى من الشَّـــمس شـــعلةٌ
تشعّ على الأحـــيـــاء في الســـهل والكُثبِ؟
أقلّب طـــرفي في الجـــبـــال وفي الربى
وفي الشـــفق البـــاكي من الشـرق للغـــربِ!!
وفي القـــفـــر، والمأهول، في غـــسق الدجى
لأنفضَ مـــا فـــيـــهـــا؛ فـــأبلغ من إربـــى
عـــسى أن أرى لي في مـــحل ســـعـــادةً
ولســـت بـــلاقٍ أو أغـــيَّـــب في التـــربِ
ومـــا تصنع الوديـــان لى، وجـــواســـقٌ
على السـفح بل تلك القـصـور التي تصـبي
إذا هـي لا تبـــدو لعـــيـــني جـــمـــيلةً...
ولا ســـحـــرها ينفي بفـــتنتـــه كـــربي!!!
ألا يا مـــغـــانـــي الأنس أنت عـــزيزةٌ
عليّ، ولكـــن قـــد خلوتن من حِـــبِّي
لغـــيـــبـــة مـــخلوقٍ مـــدى الدهر واحـــدٍ
أراكـــنَّ قـــفـــرًا في عـــيـــوني، وفي قلبي
ســـواء أتبـــدو الشـــمس أم هي تخـــتـــفي
وتصـــحـــو ســـمـــاء... أم تَلَفَّعُ بالسُّـــحب
ويظلم ليـــلٌ... أم ينيـــر صـــبـــاحُـــهُ
ويســـعـــد أو يشـــقى أنيس معَ السِّـــرب

فليـــس لنفـــســـــي في نهـــاريَ بغـــيـــة
ولا في غـــــدي مـــا دمت أحـــيـــا بـلا لُبِّ
ولـسـت أرى إذ أتَّـبِـع شـــــــمـس نـاظـري
تدور على الأكـــــوان في أفـــقـــهـــا الرحبِ
أجـــــــل لا أرى إلا فـــــراغًـــــا وخلـوةً
لنـأي حـــبـــيـــب ليـس يُلْفَي لدى التـــربِ
ومـــا حـــاجـــتي في من تظلله السَّـمـــا
ومن تحت نور الشـمس يهـــتـــزّ كـالقُـضْبِ
وخلف مـــدار الشَّـــمسِ شـــمسٌ مـــدارها
على عـــــالـم أسـمـى تمنّـع بالحـــــجب...!!
فلو أن نفـــســـــي أُطلِقتْ من قـــيـــودها
لأَلْفت حـــبـــيب القلب يحـــيـــا مع الشُّـــهبِ
فـــأســـعـــدُ باللقـــيـــا، وأنعمُ بالمنى
وأحـــســو رحـــيق الخُلْد من ريقـــهـــا العـــذبِ
لدى مُـــتَـــــع لم تهف يومًـــا بمســـــمعٍ
ولا خـطـرت فـي فـكـر ذي شـــــــغـفٍ صـبِّ
وأنَّى لـنفـــســـــي أن تـطيـر فنلتـــــقي...
وقـــد قُـــيـــدت من حـــمـــأة الطين بالجـــذبِ
فـــيـــا ليت شـــعـــري لِمْ قـــضى اللهُ أن أُرَى
شـــــريدًا؛ وخلِّي ليس ينعـــشـــه قـــربي
إذا مـــــا ذوت أوراقُ دوح بمـرجـــــهـــــا
وأسلمـــهـــا قـــرُّ الخـــريف إلى السَّـــلبِ
وهـبَّـت من القـطـب الريـاحُ زعـــازعًـــــا
عليـــــهـا فـألقـتـهـا أباديـــدَ في التُّـــربِ

وحـــالي شـــبـــيـــةُ في حـــيـــــاتي بحـــالهـــا
فـــيـــــا ويح نفـــسي من زعـــازعـــهـــا النّكبِ
ألا فـــانثـــــريني يا أعـــاصـــيـــرُ مـــثلمـــا
نـثـــــــرتِ من الأوراق في جـــــــــوّك الرحـبِ
فـــمـــــا بعـــــد هـــذا الصـــــبح إلا دجنَّـــــةٌ
ومـــا بعـــد يأســـي وانفـــرادي ســـوى خطبي

✱✱✱✱

# الوحـــدة(*)

جلست محزون القلب مستطار اللب على قمة
الجبل، وتحت ظلة السنديانة العتيقة، أشيع شمس
النهار وهي تغرب، وأسرح بصري في وجوه السهل وهي تتغير

✡✡✡✡✡

فهنا النهر صخَّاب الموج، جيَّاش الزبد
ينساب في جوف الوادي، ثم يضل في ظلام البعد!...
وهناك البحيرة راكدة السطح، راقدة الماء
تتراءى في جوانبها نجوم الليل!..

✡✡✡✡✡

والطفل[1] لا يزال يلقي على رؤوس الجبال الشجراء ومضًا من شعاعه
وملك الليل[2] قد أخذ يصعد إلى عرش السماء في محفته الندية
فأشرقت جوانب الأرض، وازدهرت حواشي الأفق
وناقوس الكنيسة القوطي هب يقرع الهواء برنينه الديني
فكف الفلاح عن العمل، ووقف السائر عن المسير
واختلطت هذه الأرانين المقدسة بما بقي من ضوضاء النهار وصخبه!

✡✡✡✡✡

(*) ترجمة أحمد حسن الزيات في الرسالة، العدد (٨١)، من السنة الثالثة (٢١ يناير ١٩٣٥) ص(١١٢)، وما بعدها ثم جاءت في كتابه «من الأدب الفرنسي» الذي طبع بعد ذلك تحت عنوان: في ضوء القمر» ص(١٨٣)، وما بعدها، يتصدرها: «استسلم لامرتين بعد فجيعته في حبيبته إلى الهم، واستأنس بالوحدة، واستكان للعبرة، وخلا إلى الحزن في خلوات (ميلي)، ومن هناك بعث إلى صديقه (فريو) بهذه القصيدة في ٢٤ أغسطس سنة ١٨٢٨؛ وهي:»

(١) الطفل: قبيل الغروب (المترجم).

(٢) ملك الليل: القمر (المترجم).

ولكن نفسي كانت من كل هذا خلية!..
فما تبعث فيها هذه المناظر الجليلة
ولا تلك الصور الجميلة نشوة ولا بهجة!..
لقد كنت أتأمل الأرض كأنها ظل منتقل أو خيال طائف!
إن شمس الأحياء لا تدفئ الموتى!..

☆☆☆☆☆

كنت أنقل عيني من الربى إلى الجبال
ومن الجنوب إلى الشمال، ومن ظلمة الغسق إلى حمرة الشفق
وأنفض[1] السهل والوعر، والمأهول والقفر
عسى أن أجد لنفسي سعادة في مكان
أو أتوسم لقلبي راحة في إنسان
فلا أعود بطائل!

☆☆☆☆☆

وماذا تصنع لي هذه الوديان والأكواخ والقصور
ما دمت لا أجد لجمالها في عيني روعة
ولا لسحرها في قلبي فتنة؟..
أيتها الأنهار والأحجار والغابات والخلوات العزيزة عليَّ!
إن غيبة مخلوق واحد من ربوعكن
جعل عامركن خرابا، وَرَدَّ أنسكن وحشة!
سواء عليَّ أتطلع الشمس أم تغرب
وتصحو السماء أم تغيم
ويظلم الليل أم ينير الصبح
فليس لي بغية في اليوم ولا رجية في الغد

☆☆☆☆☆

(١) نفض المكان: نظر إلى كل ما فيه ليعرفه (المترجم).

وحينما أرسل عيني تتبعان الشمس في مدارها الرحب القصيَّ
لا أبصر في كل مكان غير الفراغ والخلو!..
لا حاجة لي إلى من تظله السماء
ولا رغبة لي فيما تنيره الشمس

✡✡✡✡✡

ولكن من وراء هذا الفلك الدائر
وهذه الشمس الساطعة أمكنة أخرى
تسطع فيها الشمس الحقيقية!..
فلو أتيح لنفسي أن تخلص من قفصها
لرأت في تلك السموات حبيبها
الذي طالما بكت عليه وحنت إليه!..

✡✡✡✡✡

هنالك أنتشي من رحيق الغبطة
وأظفر بالأمل والمحبة
وأنعم بما تاقت إليه نفسي من متع لا تمر على سمع
ولا تدور بخلد
ما أعجزني أن أطير إليك
وأنا مثقل بقيود المادة
خاضع لجاذبية الأرض!
وليت شعري لماذا قضى الله أن أبقى إلى الآن في أرض المنفى
وما تربطني بها رابطة
ولا تصلني بأهلها صلة!

✡✡✡✡✡

إذا ما ذوت الأوراق في المرج
وأسقطها قر الخريف في الوادي

هبت عليها الشمال فذهبت بها أباديد!
وأنا بهذه الأوراق الذابلة أشبه !..
فاحمليني أيتها الريح كما حملتها
وانثريني في وجوه الفضاء كما نثرتها
فما بعد الصباح إلا المساء، وما بعد اليأس والوحدة إلا الفناء!

✷✷✷✷

# الوحـــدة (*)

غالبًا... على الجبل... وفي ظلال بلوطة معمرة
أجلس ساهمًا حزينًا والشمس في ساعة الغروب
أسرّح الطرف هنا وهناك في رحاب الوادي
الذي انبسطت أمام عيني لوحاته المختلفة

✲✲✲✲✲

هناك يسمع هدير النهر ذي الموجات المزبدة
والذي يتلوى تلوي الأفعى ثم يختفي في ظلمات الأبد
وهناك البحيرة الساكنة بمياهها النائمة
التي يرتفع من عندها كوكب الليل في السماء الزرقاء

✲✲✲✲✲

وعلى قمم الجبال، المتوجة بالغابات المعتمة
تلقي الشمس شعاعًا أخيرًا
وبخار عربة مكللة الظلال
يصعد... فتبيض به أطراف الأفق!

✲✲✲✲✲

ومن مقر الأجراس في الكنائس القوطية هندسةً وبناءً
تنطلق نبرات تصوف ورهبانية في الهواء
يقف العابر، وأجراس في الحقول مبعثرة!
تمزج بآخر ضوضاء اليوم أنغامًا قدسية!

---

(*) ترجمة العوضي الوكيل والسيدة س. عبد الرازق صبري، ضمن «أعلام الشعر الفرنسي»، ص(١٦) وما بعدها.

وأمام تلك اللوحات العذبة، لا تشعر نفسي التي يستوي
أمامها كل شيء
لا تشعر أن بتلك اللوحات جاذبية أو تغييرًا
إننى أتأمل الأرض كروح هائمةٍ تائهةٍ!
إن شمس الأحياء لا يمكن أن تشعر الموتى بحرارتها!

✡✡✡✡✡

أنقل العين من ربوة إلى ربوة!
من الجنوب إلى الشمال ومن الفجر إلى الغروب
أقطع جميع نقط ذلك الامتداد غير المحدود[1]
ثم أقول: إن السعادة لا تنتظرني في أيّ جزء من أجزائه

✡✡✡✡✡

ولكن ربما كان هناك عند حدود الفلك
أماكن تنير فيها الشمس الحقيقية سماوات أخر
لو استطعت أن أسمو بروحي من أدران هذا الجسد وأدعه في الأسر
فسيظهر أمام عيني كل شيء طالما حلمت به!

✡✡✡✡✡

هناك سأثمل من المنهل الذي أبتغي
هناك سوف ألقى الأمل والحب
والمثل الأعلى الذي تتوق إليه كل نفس
والذى ليس له اسم في المقام الدنيوي!
يا موكب عربة الفجر... أليس لي موضع فيك؟
ثم أنطلق إلى هدف مهم لآمالي
لماذا أنا باق في هذا النفي؟
إنه لا توجد أية صلة بيني وبين الأرض!

✡✡✡✡✡

(١) لعله يقصد امتداد الزمان والمكان (المترجم).

عندما تسقط ورقة من غصن في الحقل...
تهب ريح المساء فتذروها في الوادي
وأنا... إنني مثل تلك الورقة الذابلة
احمليني واذهبي بي أيتها الرياح العاصفة!

✷✷✷✷

# العـزلــة (*)

تخـــذت جلوسي في الغــروب مـواظبًـــا
عـــلى هضـبـــاتٍ مـــن جـبـــالٍ أحـبّـــهـا
وأبـقـــى حـــــزينًا تحت ظـــــلٍّ يظلـني
لدوحـــة بـــلوط عـــجـــوزٍ ألفـــتُـــهـــا
أســـــرِّح أنظاري على الســـــهل إذ أرى
مناظـــر قـد مـــاجت أحنّ لســـحـــرها
هنـا النهـــر والزَّبد الغـــزير تلاطمـــا
بموجـــات تيـــارٍ تهـادى هديـــرُها
أراها على ســطح الميـــاهِ تعـــرجـــت
ومـال إلى القـــاع العـميـــقِ اندفـاعُـها
وألمح عن قـــرب ســـــكون بحـــيـــرةٍ
وقـد رقـــدت دون اصطـخـــابٍ مـياهُـها
وأرقـب إقـــبـــال المســاء بلهـــفـــةٍ
فـيـبـزغ نجـــمٌ ثاقـبٌ فـــي سـمـائـها

وفـــوق ذُرى هذي الجـــبـال وحـــولـهـــا
أكـاليـــل غـابـــات تبـدَّى قـتـامُـهـا
ترامـــت بقـــايـا من شـــعـــاع مـــردّه
إلى الشـــفق البـــادي على غـــرب جـــوِّهـــا

(*) ترجمة محمد أسعد ولاية، ضمن مختارات ص (٢١) وما بعدها يتصدرها «هذه القصيدة التي تغشى مجموعة من الخيالات والتأملات نظمت في شهر أغسطس عام ١٨١٨ في ميلي، حيث كان يعيش «لامرتين» منذ أشهر عدة بمنزل والده، في عزلة، حزين النفس، لأنه مني بوفاة أحب إنسان إليه».

وكـان اقـتـرابُ الشـمس من جـوف خـدرها
يضـيء حـــــواشـــي الـكونِ بعـد بـنورهـا

وحـــينئـــذٍ أرهـــفت ســـمـــعي لـهـــاتفٍ
ســـــرى صـــوتُه فـوق الـهـواء منبِّـهـــا
وقـــد وقف الســـاري لصـــوتٍ مـــقـــدسٍ
ودقـــــات ناقـــوسٍ تعـالَى ضـجـيـجـهـا
تخـالطهـا ضـوضـاء يـــومٍ قـد انقـضـى
بـأنغـــام تـــرنيـمٍ طهـــور حَـــدا بهـــا

ولكنَّ نفـــســـــي في شـــرود وحـــســـرةٍ
فـمـا مـيـزت نفـسـي الشـرود جـمـالَهـا
ولسـت إخـــــال الأرض إلا كظلهـــــا
تـــــزول إذا حـــــان اقـــتـــراب زوالهـــا
كـــمـــا أن شـــمس الدفء للنـاس لم تعـد
تدفّئ أجـســـادًا طواهـــا مـصـيـرُها

أقـلّب أنظـــــاري وأســـــبح طائفًـــــا
بفكري على الآكـــام أسـبـــر غَـوْرهـــــا
وأطـوي جنـوب الكون حـــتى شـمـــاله
من الفـجـر حـتى تدخل الشـمس خـدرَها
أقـول وقـد أعـيـانيَ البـحـــث يائسًـا
نصـيـبي تقـضّى في السـعـادة وانتـهـــى

فـــأي نصـــيـــــبٍ لي أرجّـــيـــه في الدنـا
ونفـــســـــيَ قـــد ملّت وزال ســـــرورها؟

ومـــا هـــذه الوديـــانُ تلتف حـولهـــا
قـــصـــــورٌ وأكـــــواخٌ تراءى رواؤها
ســـوى باطلٍ في عـرف مـــثلي وحـــسِّـه
ولســـت أبالي أن يغـيـــب خـيـــالهـــا
ألا يـــا زهـــورًا فـي الـرياضِ تضـــوعت
ويا صـخـر يـــا غـابـات غـال بهـاؤها
بنقـــصـان ذاتٍ مـن رياضـــك أقـــفـــرت
مـــغـانيك وامـتـد الحـــداد بسـاحـــهـا

وإنـي وإن دارت ذُكـــــاء وأشـــــــرقـتْ
وغـابت مـســـاء، ثـــم زال ضـيـــاؤها
بغـيـــــر مـــبـــالاةٍ أراها تعـــاقـــبتْ
وسـيّـــانِ عندي نشـــــرُها وغـيـــابُهـــا
وهـــــل هـي في جـو تبـدّى قـتـــامـــةً
أم الجـو صـــــاف في مـدى حركـاتهـا
فـــأيّ نصـــيب لي مـــن الشـمس والدُّنا
ومـن دورة الأيـام فـــــــي دورانـهـــا؟

وحـــيـــن يـواتينـــي اللحـــاق بذاتـــه
وألقـــاه في الـدار الفـســـيح رواقُـهـــا
ستـبـصـر عـيـنـاي الفـضـاء ورحـبـــه
وتبـدو الصـحـارى في خـضـــمّ رمـالِهـا
ولست لمـا يذكي الضـــيـــاء بحـــاجـــةٍ
ولا بغـيـــــةٍ فـــي الكـــون أرجـو نوالـهـــا

ولكنْ عـــســـى في عـــالم الخُلد عندمـــا
يتـاح لنفـســـــي ترْك أرض ســئـمـتُـهـا
هناك أرى شـــمس الحـــقـــيـقـــة أشـــرقت
وعمّ ســـمـــاواتِ الخـــلـود ضـــيـــاؤها
فـــيـــبـــدو أمـــامـــي من فُـــتنت بحـــبـــه
ومن طالمـــا الأحـــلام عنـــه حلمـــتـــهـــا

هـــــــناك أراني قـــــد ثمِلْت وأننـــــــي
ظفِـــرت بـأنفـــاس أتـــوقُ لشـــــمّـــهـــا
هـــــناك أراه وهو رمـــــزُ مـــحـــبّـــتي
وأبـــلـغ آمـــال الحُـــشـــاشـــة كلّهـــا
فـــهل كل نفـــس تبـــتـــغي مـــا أردتـــه
وهل في خـــيـــالي صـــورةٌ من خـــيـــالـهـا؟
وهل لـيس فـــــي دار الفـنـاء لإســـمـــه
وجـــود كـمـا تـــذرو الريـاحُ هشـيـمـهـا؟

وهـــــل لـيس فـي الإمـكـان إدراك مـطـلـبـي
بمركـــبـــة في الفـــجـــر يمتـدّ ســـيـــرُها
ألا أيـهـا الشـــــيءُ العـمـيـــقُ غـمـوضـه
أمـــانيَّ أن ترقى بنفـــســـي، فـــقـــم بـهـا
لماذا أنـا بـــــــاق بمـنـفـــــــاي إننـــي
ســـئـمت عـلاقـاتـــي بـأرضٍ كـرهتُـهـا؟

إذا ســـقطت فـــــــوق المروج وريقـــةٌ
ســتـــحـــمـلـهـــا ريـــحُ المســـاء بذيلها

وتقــذفــهــا قــذفًــا بغــيــــر هـــوادة
إلى هـوّة الوديـــان فـــور ســـــقـــوطهـــا
وإنــى شـــــبـــيـــةٌ بالوريقـــة حـــينمـــا
عـــراهـــا ذبـــول نمّ عنـــه اصـــفـــرارها
فـــهـــيـــا أيا ريـــــح الشـــمـــال وعَـــجِّـــلـي
بحـــمـــلي وقـــذفي في الدياجـــيـــر مـــثلـها

✱✱✱✱

# العـزلــة(*)

ما أكثر جلوسي على الجبل
تحت ظِلِّ شجرة البلوط العتيقة
أُشَيِّع الشمس في مغيبها
حزين القلب، مكلوم الفؤاد
أسَرِّح نظري عَرَضًا في السهول المنبسطة أمامي
غير عابئ بالمناظر الخَلاَّبة
التي لا تفتأ تتغير تحت قدمي

☆☆☆☆☆

فهنا يَهْدُر النهر ذو اللجج الصَخَّابة المزبدة
مُتَلَوِيًا منسابًا حتى يتلاشى في دياجير البُعْد
وهناك البحيرة الساجيَة تبسط مياهها الراكدة الساكنة
وهنالك نجم المساء يطلع في الأفق
مشرقًا في السماء الصافية

☆☆☆☆☆

وعلى قُلَلِ الجبال المتوَّجَة بالأحراش القاتمة
يُلقي الغروب آخر شعاع من ضيائه
وعربة ملكِ الظلام المحاطة بالأبخرة الأثيرية
تصعد بجلال وبهاء مُبَيِّضة حوافي الأفُق
وعلى حين فَجْأَةٍ، ترتفع من القُبَّة القوطية(١)

(*) ترجمة جورجى نيقولاوس، ونشرت في مجلة العصور بالعدد (٢٧) من المجلد السادس، نوفمبر ١٩٢٩ ص (٦١٨) وما بعدها.

(١) نسبة إلى القوط Gothic وكان لهم هندسة بناء خاصة أصبحت على الأرجح رمزًا لبناء الكنائس والأديرة في القرون الوسطى (المترجم).

نَغْمَةٌ دينية تفشو في أرجاء الفضاء
فيكف المسافر عن السير مُصغيًا خاشعًا
وقد مزج الناقوس الخلوي ألحانه المقدسة
بصَخَب النهار المكتهل وضوضائه
ولكن نفسي القَلِقَة المضطربة، الهازئة بهذه الرُؤْيا الفَتَّانة
لم تكن تشعر بارتياح ولا ببهجة
فكنتُ أتأمل الطبيعة دون أن يَنْفذ فيَّ سِحرها
كأنى ظِلٌّ ما لا يَعي ما يرى، ولا يَحْفَل بما يحِفُّ به
لأن شمس الأحياء لا تُدفئ الأموات.
وَعَبَثًا كنت أنقل طَرْفي من رَبْوَة إلى أخرى
وأُسَرِّح بصري من الشمال إلى الجنوب
ومن بهاء الشروق إلى رَوْعة الغروب
متطلعًا إلى كل نقطة في الفضاء الواسع
ولسان حالي يقول: ليس لك في كل هذا من سعادة.

✡✡✡✡✡

ماذا عسى أن تَؤَثِّر فيَّ هذه الأودية والقصور والأكواخ؟
لقد تَفِهَت في نظري، ولم يعد تُصيبنى منها فِتْنَة، ولا يخامرني سِحْر
فالأنهار، والصخور، والغابات، والخَلَوات العزيزة عليَّ
أصبحت مُوْحِشَة
إذ ينقصها شخص، كان يملأها حياة، ويهبها رُواءَ

✡✡✡✡✡

سواءٌ لديَّ أذرَّ نسيم السَحَر، أم هَبَّت نسمَات الأصيل
أشَرقت الشمس أم تولاها الأفول
أَتَلَفَّع الشَفَق بغمام رقيق، أم اتشح الغَسق بالسُحُب الداكنة
فقد صَرَفْتُ عيني عن هذا كله، متنكبًا الطبيعة ونظامها

إذ لم يبق في نفسي شيءٌ من الأيام.

✡✡✡✡✡

متى يَتَهَيَّأ لي أن أتبع الشمس في محيطها الفسيح؟
فهنا لا ترى عيناي غير فضاء وفلاة
فلا تصبو نفسي إلى شيء مما تُنيره
ولا أبتغي من الدنيا حِلْيةً أو مَتاعًا

✡✡✡✡✡

ولكن قد يوجد وراء حدود دائرتها
أمكنة تُنير فيها الشمس الحقيقية سماوات أخرى
فيا حبذا لو تسنى لي ترك غلافي المادي في هذه الأرض
والصعود بجوهري في الأثير السماوي
بعدًا لناظريَّ ما طالما تمنَّيته وشغِفت به

✡✡✡✡✡

فهنالك أَرْتَوِي من اليَنْبوع الذي تَتُوق نفسي إليه
هنالك أجد الأمل والحب
هنالك أحصل على النعيم الذهني الذي تتمناه كل رُوْح
ذلك النعيم الذي ليس له اسم في مَثوانا الأرضي

✡✡✡✡✡

لَعَمْرى لو أُتِيحَ لي أن أصل إليكِ، أيتها البُغْية المُبْهَمة
محمولاً على غارب الفجر...
إذًا ما شأني في أرض منفاي؟
ولأي سبب طال فيها مُكْثي واغترابي؟
وأنا لا أتوسل بزلفى، ولا أَمُتُّ إليها بصلة

✡✡✡✡✡

إذا ما سَقَطَت أوراق الأشجار في المُروج

تلقَّفَتْها ريح المساء، منتزعة إياها من الوديان
وما أشبهني بهذه الأوراق الذاوية...
فاحمليني أيتها العواصف الهوجاء، وذَرِّيني أيتها النكباء
عَلِّيَ أحظى بِمُناي، وأفوز بِمُشتهاي.

✱✱✱✱

# العـزلــة (*)

طالما كنتُ أجلسُ في الجبل
تحت ظل شجرةٍ من بلوط
وقد خيَّم الحزن على صدري
فكنتُ أسرّحُ الناظرَ في السهول التي نشرت أمامي أحاسن محاسنها
يتلو بعضها البعض
وقد أخذت زخرفها وازينت وأنبتت من كل زوج بهيج
وقد آذنت ذُكاء بالغروب
مرتدية حلتها الصفراء تعلوها الكآبة
ولا أدري إن كان ما ألمَّ بها توجعًا ورحمةً لي
أو ألم البين والفراق
أمامي النهرُ يُزمجر بأمواجه الزاخرة المزبدة
وينساب كالأفعى وسط الرياض
وهناك البحيرة الساكنة كالمرآة الصقيلة
وقد ارتسم كوكب المساء على صفحات الماء
وكانت الجبالُ التي تحوطني متوجة بغابات قاتمة
رمى عليها الشفق أشعته الأخيرة
لم تك هذه المناظر الجميلة لتروقني
أو تنفحني ببعض سرور ينعش القلب
بل كنتُ أشاهد الأرضَ كظلٍ متنقل

(*) ترجمة محمد كامل حجاج، ونشرت في مجلة الزهور، السنة الأولى ص ٣٥٣ ولعل هذا النص أقدم ما يعرف من قصائد لامارتين المعربة.

كما أن شمس الأحياء لا تدفئ الأموات
كنت أنقل الناظر من أكمة لأكمة
ومن الشمال إلى الجنوب
ومن الشرق إلى الغرب
فلم أظفر بهناء يخفف ما بي من ألم الكآبة والوحشة
ماذا تفيدني هذه الوديان والقصور والأكواخ التي لا أعبأ بها
إذ لا أجدُ بها ضالتي المنشودة
وما كانت لتشرح صدري هذه الأنهار والصخور والغابات
ما أنا فيه من الانفراد والعزلة
وإن غاب عن عيني عزيزٌ واحد
فالدنيا بأجمعها تكون أمامي قفرة موحشة
لا أحفلُ بشمس تتبعها عيني
في مسيرها من الشرق إلى الغرب
جارية في سماء صافية أو مكفهرة
إذ لا أنتظر شيئًا من الأيام
ولو استطعتُ أن أتبعها في مجراها
لكنت أشرف على الجو والصحارى
ولكني لا أرغب في شيء من جميع ما تنيرهُ
ولا أطلب أمرًا من هذا العالم العظيم
ولكن ربما كان بعد هذا الكون عالم آخر
تضيئه الشمس وتظلله سماء أخرى
ولو تسنى لي أن أترك جثماني في الأرض
وأصعد بروحي إلى السماء
لأنظر بعيني ما أراه في الأماني والأحلام
فهناك أنتشي من رحيق المنبع الذي آملُهُ

وأجد ما أتطلبه من الأمل والحب
وهذا غاية ما تشتهيه الأنفس
وليس له اسم في المقام الدنيوي
فلِمْ بعد ذاك أمكث في الدنيا دار النفي
إذ لا علاقة لي بها ولا شأن لي فيها
مثلي كمثل الورق الذابل حينما يتساقط في المروج
فتحمله الريح إلى الوديان
فاحمليني مثلها أيتها الشمأل العاتية.

✱✱✱✱

# الخلـــود (*)

كل ما في الوجود يسير بخطى واسعة إلى العدم
فالشمس لا تكاد تُشرق حتى يعتريها الزوال
فتُلقي في فترتها القصيرة على وجوهنا الذابلة أشعتها الشاحبة المضطربة
ليتلقفها الظلام بصفوفه القاتمة المنبثقة من كل صَوْب
ويبتلعها في دياجيره السوداء الحالكة
فيلفظ النهار أنفاسه
دون أن يترك من مروره أثرًا
ويضمحل كل موجود على وجه البسيطة ويزول
كأن لم يكن ثم أنيس ولا سامر
ولو وعى الإنسان حقيقة حاله
وتدَبَّر ما يقع تحت أنظاره
لاعتراه الهول الجزع
وتقهقر مذعورًا عن حافة الهاوية الفاغرة فاها لابتلاعه

(*) ترجمة نصيف جورجي نيقولاوس، ونشرت بالمقتطف، الجزء الرابع من المجلد الرابع والسبعين (أول أبريل ١٩٢٩) ص٣٩٥ وما بعدها، يتصدرها: «الفونس دي لامرتين (١٧٩٠– ١٨٦٩) شاعر فرنسي، رقيق العاطفة والشعور، تغلغل إلى سويداء الفؤاد فابدى مكنوناته، وتسلل إلى أعماق النفس وخوالجها، وقد نظم هذه القصيدة، وقدمها إلى فتاة مريضة، يائسة من الحياة، من رحمته تعالى، لأن آمالها بالخلود كانت محجوبة بغمامة أحزانها الكثيفة، وكان هو وقتئذٍ غريقًا في لجج من دياجير النفس وآلامها، ولكن الحزن والشك إن لم تكن لتأتي على مرونة قلبه، الذي كان يستسلم للشك في بعض الأحيان، ولا يلبث أن يعاودهُ معتقدهُ، فيسمو بآماله إلى الخالق عز وجل، لأن قبس التقوى الذي أشعلتهُ في فؤاده أمُّهُ الورعة، وظلت تضرمه بأنفاسها أيام الحداثة، يخبو حينًا من تأثير عواصف الدهر، ويكاد يُطفأ تحت وابل الدموع التي تستدرها الحياة، ثم يعود إلى الاشتعال حالما يخلو الشاعر إلى نفسه، لأن الباري يتجلى له مما يزيل كل حائل بينهُ؛ وبين أفكاره. وهذا ما كان يحدو به فجأة إلى نبذ الحزن العميق، والانقياد والتسليم لما يأتي به لأن الإيمان هو الأمل، والأمل أكبر معزٍ، وأعظم مخفف للآلام البشرية.

إذ من ذا الذي لا يخبرُ تفاهة هذه الحياة وغرورها
عندما يطرق أُذُنَيه نشيدُ الأموات يردِّد صداهُ الفضاء
أو زفرات عاشقة تودع أمانيها في شخص حبيبها الميت
أو أم حنون تدفن آمالها ومُنى نفسها في صدر فلذة كبدها الراحل
أو رنين ناقوس الحزن ينوح بوَلَهٍ
مُنْذرًا الأنام برحيل تَعِس منهم
من دار التعب والشقاء، إلى دار الراحة والهناء
سلامًا أيها الموت !
ما أنت إلا مُنْقذٌ سماوي
تمسح يدك علينا فتبرئنا من آلامنا وأسقامنا
إنك لا تبدو لي بمظهر مخيف مُفْزِع كما يتصورك البعض
فذراعك ليست مسلحة بنَصْل مخَرِّب لا يُبقي ولا يذر
وعينك ليست عين غدر ولا خيانة
ووجهك لا يحمل أساريره سمات الصرامة والقساوة
فأنت رسول عُلْوي تخلّص وتُنقذ ؟
لا مُفْنٍ تلاشي وتُعدم
أرسلك إله رؤوف رحيم
حاملاً مشعل النجاة
لتخفف آلام الإنسانية
وتنُقذ بني البشر
وعندما أعيننا التَعِبَة تُغْلَقُ عن نور هذه الحياة
تُفيض أنت عليها نورًا
أشد سطوعًا
وأكثر تلألؤًا
فالأملُ بقربك إذا ارْتكَزَ على دعامة الإيمان

يفتح لي دنيا
أجمل من هذه الدنيا وأسعد
فتعالَ إليَّ
تعالَ لتنقذني من أصفادي الجسمية
تعال لتخرجني من سجني الترابي
هَلُمّ إليَّ
وارتفع بي إلى مَنْ كل شيء أمامهُ «هبالاً وعالاً»
أعِرْني جناحيك لأطير بهما إلى الكائن الأزلي
الذي هو ملجأي واعتمادي
وغاية أملي في دنياي وآخرتي
من ذا الذي أبعدني عنهُ ؟ ومَن أنا ؟ وماذا سيحلُّ بي ؟...
أسئلة تُرَدِّدُها نفسي الحائرة الوجلة
دون أن تجد لها جوابًا
فسأموت ولا أعرف الحياة .. وأنت أيتها الروح
أيها الضيف الغريب الحالُّ على غير معرفة
لقد طالما سألتك فلم تُحرْ جوابًا
فهلا رغبت عن صمتك، وأطلعتني على مكنونات سرك ..
أُناشدك الله أن تخبرني عن السماء التي أتيت منها قبل أن تحلَّ فيَّ
وعن القوة التي قذفت بك إلى هذه الكرة السريعة العطب
وعن اليد التي قيدتك في سجنك الصلصالي
وعن الرابطة الخفية العجيبة التي تربطك بالجسد الفاني
أي يوم ستنزح فيه عن هذه المادة ؟
ولأي مقرٍّ سماويٍّ ستغادر الأرض ؟
وهل تعيش بعد القبر في النسيان الذي كنت فيهِ ؟
أم سترجع إلى أحضان الله مُبْدِئك ومُعِيدك

متخلصًا من قيودك الزائلة
متمتعًا بحقوقك الأبدية التي حباك الخالق بها كرمًا منهُ ومِنَّةً ؟
أجل، هذا هو أملي الوطيد أيتها الروح
يا من جعلك الباري نصف حياتي :النصف الباقي الخالد
فبهذا الأمل تشتد عزيمتي، وتتقوى نفسي، وتسرُّ أيَّما سرور
عندما تبصر على محياي الوسيم
اضمحلال ألوان الربيع الزاهية
وبه أتقبل بفرح لا يوصف
الموت الذي طفق يدبُّ في غصن حياتي الغضِّ ليهصره قبل أوانه
أمل ضائع
ورجاءٌ غير محقق
يقول أتباع أبيقوروس
فالحياة تمتُّع ولذائذ
وما وراء القبر غير العدم
فلا ثواب ولا عقاب
ومن التمس غير ذلك فقد أضاع دنياهُ
دون أن يجني من زهده غير خيبة الأمل
فتأمل أيها المغرور فيما حولك
فكل شيءٍ لهُ بداية ونهاية
كل شيء يولد ليموت وينقرض
فالزهرة تذبل في المروج إذا ما دار الفلك دورته
والأرز يهوي في الغابات تحت عبء السنين
والأنهار تجفُّ في مجراها من فعل الأيام
والسماء تشحب من مرِّ الغداة
وكرِّ العشي

وكوكب النهار الذي أخفى الزمن عنا مولدهُ يسير إلى محاقهِ
وسيأتي يوم يتطلع فيه البشر إلى السماء بدون خوف وذعر
أفلا تجد في كل هذا ما ينقض آمالك، ويهدُّ أمانيك ؟
فالعصور في الطبيعة تتكدَّس تكدُّس التراب فوق التراب
والزمن يطوي في أرماسهِ كل حيٍّ وجماد
والإنسان
الإنسان وحده في قعر جدثهِ
وعميق حفرته
يحلم بالبعث
ويأمل في الخلود
بعدما طوّحت بهِ أعاصير الموت
في لجج الفناء والاضمحلال
لكم منطقكم يا من تدَّعون العلم والمعرفة
ولي منطقي
فإذا كنتم ترمونني بالخطأِ
تدعوني أسعد في خطئي
فإني أحب
والحب هو الأمل
بل هو الخلود
فإذا استعنَّا بعقلنا في حل مشكلة البقاء
فالعقل يَهِنُ ويعجز
وحيث يعي الإدراك
يحيي الشعور لغريزتنا الطبيعة
تبدو لنا بأحلى المظاهر
ما ينتظر الإنسان بعد الموت من البعث والخلود

فلو تبدَّت لي أعظم فجيعة تصورتها مخيلة امرئ
فأبصرت في السهول السماوية
الكواكب تحيد عن سُبُلها
وتتصادم بعضها ببعض
وتتناثر أجزاؤها
وتتبعثر في الفضاء غير المحدود
وسمعت بأذني أنين الأرض
وحشرجة نزعها
ورأيتها سائرة على غير هدى
في ظلام اللانهاية
تبكي بنيها الذين لم يبق منهم عين ولا أثر
لو تَمَثَّل لي خراب العوالم بأجمعها
ودمار الكواكب بأسرها
وتكدَّست الظلمات فوق الظلمات
والأشلاء فوق الأشلاء
وبدا الموت مهيمنًا
والفناء مسيطرًا
ولبثت وحيدًا بين هذه المروعات
لما تزعزع إيماني بالكائن الرحيم قيد شعره
بل لظللت جاثمًا فوق هذه الأطلال،
منتظرًا بملء الثقة بزوغ فجر الأبدية
الذي لا يعتريه أفول
ولا يصيبه زوال
أتتذكرين عندما كانت تجمعنا تلك الأمكنة السعيدة
حيث ولد من نظرة واحدة

حُبُّنا الأزلي ؟
فكنا نُدلله تارة فوق فنن الصخور الشماء
وتارة على شواطئ البحيرات الهادئة
فنسير معًا
بعيدين عن العالم
محمولين على أجنحة السعادة والهناء
نغوص بأنظارنا في دياجير الحلك
التى أخفت عن أبصارنا مرأى الطبيعة الأخاذة بالألباب
ولكن جوقة كواكب الليل
لا تعتم أن تبدو
سائرة بسكون واتضاع
فتنير السهول والأودية
بنور كامد لا وهج فيه
لكنهُ يملأ القلب روعة وجمالاً
بنور أشبه بضوء المصباح
الذي يشعُّ في معابدنا المقدسة
حالما يسُود الظلام
فيأخذ على القلوب مشاعرها
ويملأ الأفئدة ورعًا وخشوعًا
وكنت في الانخطاف الروحي الذي يعتريك
تنقلين طرفي من السماء إلى الأرض
ومن الأرض إلى السماء
وتجثين صائحة بتدلُّهٍ : أيها الإله الخفي
إنا لنتأمل الطبيعة
فنرى ذاتك العلية متجلية في كل دقائقها

فالطبيعة هيكلك ومذبحك
وإذا رُمنا معرفة كمالك الإلهي
فما علينا إلا أن نتطلع فيما حولنا
فالدنيا شعاع من محاسنك
والنهار نظرة من نظراتك
والجمال ابتسامة من ابتساماتك
فالقلب يعبدك في كل ما تراهُ العين
والنفس تتَنَسَّمُك في كل ما يبدو ويبطن
والعواطف تنجذب إليك منسحقة في حبك
الذي يرفعها عن مستوى الثرى إلى مناط الثريَّا
والروح الخالدة توَّاقة إليك
لترتوي من ينبوعها السرمدي
وكان قلبانا يضمان تنهداتهما الصاعدة على أجنحة الشوق إلى الكائن الأعظم
فجثوتُ بجانبك
لنعبده في صنع يديه
رافعًا وإياك إلى مقامه السامي
مع الفجر والشفق
والغروب والغسق
فروض العبادة
الصادرة عن جوانح ملأى بالتقوى والخشوع
وعيوننا الساجية تتطلع إلى الأرض دار منفانا
وإلى السماء مقرِّنا ومثوانا
فيا حبذا، لو استجاب الله في هذه البرهة
دُعاء نفسينا الشاردتين
اللتين تريدان تحطيم قيودهما والعودة إليه

واصطفانا معًا
إذن لطارت روحانا إلى مصدرهما الأزلي
مجتازتين طبقات الأثير على جناحي الحب
وصعدتا إلى بارئهما
كما يصعد من الأفق
شعاع النهار عند انبثاق الفجر
وامتزجتا بأصلهما الأبدي
الذي هو مصدر كل حبٍ
لتمدّاه، وتسبحا بحمده
في أَزَلِهِ إلى أزَله.

✷✷✷✷

# الخلـــود(*)

سلامٌ عليك أيها الموت فإنك مُنجٍ علوي
مَن الذي وصمك بصفة الإرهاب والخطأ ؟
فما يدك مسلحة بمنجل هادم ،
وما جبهتك بقاسية وما عينك بخائنة
أنت لا تدمر بل تعطي يد السلم
كرسول سماوي يحمل شعلةً مقدسة
فإذا ما أغمضت عيني السادرة من النور،
تدركني في يوم راق،
عندما تجري ماء شؤوني.

☆☆☆☆☆

أملي في لقائك هو حلم بقبر
يحدو به إيماني لتذهب بنا إلى عالم أجمل من هذا ،
أقدم لتنجيني من قيودي الجسمانية
أقدم وافتح سجني؛ أقدم وأعرني جناحك
لم هذا الإحجام؟ لا تخف، لأنك مُلقٍ بنفسي؛
إلى هذا الكائن المجهول، حيث مبدئي ونهايتي
من الذي صدف بي عنه؟ ومن أنا؟
وماذا يجب أن أكون؟

(*) ترجمة كامل تهامي، ونشرت في السياسة الأسبوعية، العدد (٢٥٣) من السنة الخامسة (١. يناير ١٩٣١).

أموت ولست أدري لماذا ولدت ؟
وعبثًا أسائلك يا نفسي ؟
فإنك ضيف غير معروف
قبل أن تحلي بي
أيّ سماء كنت فيها؟
وما القدرة التي ألقت بك في هذا العالم الفاني؟
وما اليد التي وضعتك في صلصال من فخار
وما هذه الصلة وبأي سر خفي،
تتبعين الجسم والجسم يتبعك؟

☆☆☆☆☆

متى يأتي اليوم الذي تفارقين فيه المادة
لتتركي الأرض إلى قصر جديد؟
وكل جديد إلى بلى
وكل شيء إلى حد
وكلٌ يولد ليموت
وفي هذه المروج الصفراء ترى الأزهار ذابلة
وفي الغابات ترى الشجر المتطاول الفارع
بعد حين ينثر أوراقه على الأعشاب ،
والبحر بعد تكاثر أمواجه يهبط
والسموات أيضًا قد شاخت
والكواكب منكدرات
والشمس مثلنا تسير إلى الاضمحلال

☆☆☆☆☆

ترى ما يحيط بك من الطبيعة؟
القرون تمر تلو القرون هباء

والوقت بقدم واحدة يهبط كبرياءك
وكل شيء يستحيل إلى نعش
والإنسان؛ والإنسان وحده
يا لعظم جنونه
في داخل قبره يبحث عن حياته
وفي عاصفة الفناء يحلم بالأبدية!
هذا ما يحدثك به آخر.

✡✡✡✡✡

يا عقلاء الأرض دعوني وخطئي
أنا أحب فيجب أن آمل
إن عقلنا الضعيف مشدوه ومضطرب

✡✡✡✡✡

أما أنا فإذا ما رأيت في فضاء الكون
هذه الكواكب تنحدر عن طريقها المعهود
متصادمات في الأثير أولاها بأخراها
والسموات منثرات على غير هدى
وأسمع اهتزازات الأرض الهاوية
في منتأى عن الشمس
وهي تبكي الإنسان الفاني
المفقود في فضاء ليل الأبد
وأشاهد آخر هذا المنظر المخيف
الموت والظلام
سأكون وحدي رغم ذعري

واقفًا منزهًا وصالحًا

وأملي منك بعد طوافك

من فجر الأبدية

على العوالم الفانية

تجدني في انتظارك أيضًا.

✷✷✷✷

# الخلـــود(*)

شمس حياتنا اصفرت وهي في فجرها.
ترسل على جباهنا الذابلة
ووجوهنا المنهوكة المتعبة أشعتها المضطربة
وأضواءها الحائرة
التي تغالب طلائع الظلام وتناصب هواجمه
الظل يمتد، النهار يموت، كل شيء يزول
وكل شيء يفر ويحول.
كم يهلع المرء لهذا المنظر الرهيب ويرتجف!
لشد ما يتراجع وهو راعش الأوصال مضطرب الفؤاد
عن شاطئ الهاوية المائلة أمامه!
بل لكم يخفق قلبه الضعيف، إذ ينصت من بعيد لتلك الأنشودة المظلمة!
تلك أنشودة الموت، ما زالت تتردد في أعماق صدره

(*) ترجمة السيد حسين تفكجي، ونشرت بالرسالة بالعدد (١٨٨) من السنة الخامسة (٨ فبراير ١٩٣٧) ص٢١٤، وما بعدها يتصدرها:
» أحبها فبادلته حبه، فراحا يرشفان أكؤس الغرام تحت ظلال الأشجار الباسقة. في أفياء الأدواح المنتشرة غنى لها لحن غرامه، فسمعه الطير على غصنه، وأنصت له العصفور على فننه، اختلسا النعيم ساعات معدودة، حتى رمى الدهر سهم التفرقة، فسافرت بعيدة عنه إلى باريس. انتظر كتابًا منها يطمئنه على صحتها يرجع الأمل إلى صدره، وإلى فؤاده أشعة الحياة. ولكن ساعي البريد أتاه بكتاب نعيها. مسكينة؟! أماتت «جولي». أوَ يموت من عاش لأجل الحب؟ لم يصدق عينيه. سار يخبط خبط عشواء، يردد ألفاظها، يقف الساعات الطوال مكانه يرجع أنشودة غرامها. إنها أمل رحل، وحب مقيم. نظم قصيدته «الخلود» فكانت قطعةً من قلبه الملتهب، ونشيدًا لفؤاده المضطرب. قضت «ألفير» «كما يدعوها» نحبها. فدبت إلى جسم «لامرتين» يد المرض.
كان في ريعان الشباب. ظن نفسه أنه على طريق الآخرة يسير. فلذا جاءت قصيدته «الخلود» جامعة لشتى معاني الفلسفة، والحب والجمال، والحياة والموت» مع مع إشارة بأنها قد تحيل على رواية رفائيل.

وتنتشر في أنحاء نفسه
وتلك الزفرات المتصاعدة والتنهدات المرسلة
والأنات المخنوقة، والأنفاس المتحشرجة، لهي آهات الحبيب
وزفرات الخليل، وانتحابات الولهى
تضطرب وتتراجع، تتقدم وتتأخر، حول سرير الموت
الناقوس الصغير ما زال يرسل الهمسات، ويعلو بالخفقات
أصواته التي تطويها معالم الفضاء تنبىء الأحياء أن شقيّاً بائسًا رحل
ومكدودًا تاعسًا إلى هوة القبر نزل
أحييك أيها الموت. أيها المنقذ السماوي
سوف لا تظهر أمام ناظري بهيئتك المرعبة
وبزتك الموحشة، وطلعتك المشؤومة
إن يمينك سوف لا تشارفني بمرهف ماضيك
إني لا أرى تجهم وجهك، ولا أقرأ في عينيك معالم الجريمة والخيانة
فأنت الذي تنقذنا من آلامنا، تخفف من أحزاننا
تأخذ بيمنانا لتقودنا إلى حيث الرب الرحيم
تَسْتَعْدِي رحمته على نكباتنا، وتستنزل رأفته على ويلاتنا.
إنك لا تميت بل تنقذ؛ إنك لا تهلك بل ترحم
إن يدك يا رسول السماء تحمل إليّ نبراسًا إلهيّاً
يوم تغمض عيناي الكليلتان أجفانهما
تأتي تحت الأضواء المنعشة لتبلل ناظري، وتغمض عيني
والأمل إلى قربك يطفر، يظلله الإيمان، تشده التقوى، فتفتح أمامي عالمًا رائعًا.
إليَّ أيها الموت. أقبل واكسر عني أغلال الجسد
بدد عن نفسي قيود الأوصال
افتح باب سجني، واكسر مغالق حبسي
وأعرني أجنحتك الرفرافة، وقوائمك الهفهافة

ماذا يمنعك عني؟ لماذا تتأخر؟
ماذا يعيقك عن زيارتي الأخيرة؟ تقدم إليَّ
فإني أريد أن أرمي بنفسي نحو ذلك الكائن المجهول
حيث أعرف سر حياتي ومماتي
أيّ شيء فصل عني؟ من أنا؟ ومن سأكون؟
أموت ولا أعرف ماهية الحياة وسر الوجود
وأذهب وأنا أجهل ما البقاء!
ما أنت أيتها الروح المبهمة
أيها الطيف المجهول، أيها السر الغامض
قبل أن أُردى في لحدي أريد أن أسألك:
أية سماء بحقك تسكنين؟ وفي أيّ عالم تعيشين؟
وأيّ قدرة إلهية رمتك إلى هذه الكرة المحطمة
حيث عالمنا الضعيف الهشيم
وأيّ يد إلهية قذفت بك إلى سجنك الفخار
واعتقلتك في محبس الطين؟
وأي سر عجيب ربطك بالجسد وربط الجسد بك
وأيّ يوم تنسلخ الروح فيه عن المادة؟ وتصبح عالمًا بنفسها
تقوم بأودها دون أن تعتمد على الجسد البالي والجسم الفاني؟
إلى أين تذهبين؟ أتتركين الأرض الجميلة لترحلي إلى قصر منيف؟
هل نسيت كل شيء؟ أم ما زلت تذكرين؟
إن هناك القبر، فهل ستبعثين إلى عالم مجهول جديد؟
أتعودين إلى حياة أشبه وعالم أحكى وأمثل إلى حجر الله
حيث رأيت أشعة الحياة ولمست معالم الوجود
أم إنك ستفصلين من كل شيء تدب إليه يد الفناء؟
وتسير في عروقه دماء البلاء.

أستنعمين بمناعم الخلود الأبدية
وتلعبين في الجنان غير البالية؟ نعم، هذا أملي الوحيد يا نصف حياتي
تلك هي الأمنية
التي بها رأت الروح التي تضيء جوانب صدري
طرق الحياة
وكانت عزاء نفسي المتألمة التي قضي عليها بالسجن في هذا الجسد البالي
شهدت ربيع حياتك يرحل وألوانه البهيجة تموت وتذبل
وزهوره المتلألئة تسير نحو هوة الفناء
والحزن مازال يفتك بي، والموت يدير مني الخطوات
وأنا أجود بالنفس الأخير
ترتسم على شفتي الابتسامة، وتنهمل من عيني دموع الفرح
مقدمًا إليك كلمات الوداع الأخير
منتظرًا نظراتك لتشع في عينيَّ قبل أن يغمضهما الموت
أولئك الذين تعلقوا بأذيال المادة، وكانوا أشبه بالقطيع
يسيرون وراء راعيهم «أبيقور» سيهتفون
«يا له من أمل كاذب خُلَّب، قد مضى ورحل
عندما يرون معالم الدنيا قد قضت وانتهت.
وذلك العالم الذي ما زال يفحص أسرار الطبيعة؛
يود اكتشافها، يدرسها في زاوية مهملة تسمى العقل
سيقطع الدهر في فهم كنه المادة
يعيش في عالم الملموسات
يغفل عن الروح ولكنهم سيهتفون به.
أيها الأحمق، أيّ كبر سخيف يكسوك؟
انظر حولك! تأمل بناظريك!
كل يبتديء لينتهي، وكل يدب نحو الفناء دبيبه.

إن سيرك نحو هدف ممثل، وإلى غاية نهائية هي «هوة الموت»
انظر إلى الحقل وقد علت أوراقه صفرة الذبول!
ألا ترى الزهرة تتعب وتضمحل ثم تلفظ الأنفاس؟
ألا تشهد في هذه الأحراج الملتفة
تلك السدرة العظيمة بجبينها الشامخ ونظراتها إلى العلياء
كيف هوت تحت ثقل السنين
ورزحت تحت أعباء الدهر
ثم امتدت على العشب النضير المنتشر على بطحاء الأرض؟
ألا تنظر الأنهار تنضب في مجاريها
والبحار تجف في قيعانها
وهذا الكوكب المتلألئ في السماء أخرت يد الزمن ولادته
وهذه الشمس، وما أشبهها بنا! إنها تسير إلى الفناء والعدم
وفي السماء حيث الأموات ينتظرون يومًا به ينعمون
تأمل حواليك الطبيعة
مرت الأجيال فتكاثفت أتربتها
وتحولت الأعوام إلى ذرات غبار تناثرت في فضائها
إن الزمن بخطوة واحدة يذل من كبريائك
يخمد عزة نفسك، ويطفىء جذوة اشتعالك
يقبر في جوفه العميق الحوادث
ويرمس في لحده المخيف الأيام
ولكن الإنسان، الإنسان وحده
المجنون الأكبر في هذا الكون!
إنه ليظن أن القبور لتسعد بسكانها
ويأمل أن يعيش الحياة ثانية فيها
فيظفر في طياتها بالحياة إثر الحياة

ويحلم بالأبدية والخلود
وهو كريشة في مهب زوبعة العدم الهائجة
ليجبكم غيري، يا عقلاء الأرض، يا مدعي الفلسفة
اتركوا لي خطئي. فأنا أهوى فلذا آمل
فإذا كان الخلود خطيئة لا توجد مرسومة
إلا في بعض العقول دون أخرى
فكم هذه الخطيئة عزيزة لديّ!
اتركوني أيها العقلاء أنعم بجانب ضلتي
إني أحب أن أتمنى وأن أعلل الأشياء
إن عقلنا الضعيف المضطرب يتحير
بلى إن عقلنا ليمسك عن الكلام أمام حججكم، ولكن الإدراك يجيبكم.
أما أنا، عندما أرى الكواكب تسبح في السموات العلى
والنجوم تنحرف عن طرقها المدبرة وسبلها المقررة
وأشهد النجم في حقول الأثير اللانهائية يناطح النجم
والكوكب يركض إثر الكوكب، فأنصت لصراخ الأرض
وأسكن لسماع صرخاتها المتوالية تتنهد
وقد شق جوفها، ومادت كرتها هائمة تضطرب
بعيدة عن السموات وشموسها، تبكي الإنسان المحطم
ابنها العاني، المسرع في طريق الموت الذي هام في حقول الأبدية المظلمة
عندها أكون الشاهد الأخير، والحاضر الفرد
وقد احتاطتني المدلهمات، وأمسك بيدي الموت إلى جوف الظلمات
وبالرغم من ضعفي سأنهض واثبًا
لا خوف يدب إلى قلبي، ولا ذعر يمسك على فؤادي
أفكر فيك، أرقب بفارغ الصبر عودة الفجر الأبدي
ليضيء العالم المحطم، حيث أرقب لقاءك وأرجو زورتك

كنت تذكرين دائمًا رحلتنا الهنيئة وسفرتنا الرغدة
يوم نشأ غرامنا الخالد وبدأ حبنا المقيم
فكنا ننعم على ذوائب الصخور القديمة التي شهدت مجد الأولين حينًا
وحينًا على ضفاف البحيرة الساكنة
نرقب أمواجها الهادئة، ونستمع إلى أصوات مياهها العذبة
فتحمل نفوسنا على جناح النعيم حيث نسلو العالم الصاخب.
كنت أخوض معك الظلماء التي أنتجها التفاف الأشجار
وأسير جنبك تحت الظلال الوارفة والأفياء المنتشرة
نهبط الربى لنصعد الجبال
لحظة سعيدة مرت أصغينا خلالها لموسيقى النجوم الغامضة
وأصخنا بسمعنا إلى غناء الكواكب الجميل
لا صخب يتخلله، ولا ضوضاء تمسك ألحانه
كم دهشنا لهذه الصورة الجميلة التي تغطي العالم
عدنا أدراجنا إلى المعبد
خشعنا أمام الضوء الخافت الذي يرسل أشعة متضائلة
تبعث إلى القلب الرهبة، وإلى الأجسام الرعشة
سكرى من جمال الوجود
كنت ترددين النظر بين الأرض والسماء، ثم تهتفين:
«إله الغيب، هذه الطبيعة مأواك
عندما نتأمل بنظراتنا صنع يديك
الروح تراك متمثلاً في كل صورة من إبداعك
فهذه الدنيا صورة كمالك؛ النهار نظرتك، والجمال ابتسامتك
في كل مكان القلب يعبدك
والنفس ترجو أن تدب فيها الأمل، وتنفخ طياتها روح العمل
«أيها الخالد اللانهائي القدير الجليل!

إن قلمي ليعجز عن وصف اسمك وكتابة حسناتك
والروح التي حبوتها بنفختك تمجد عظمتك
حتى تخمد فيها الحركة
وتسكن بين جنباتها الخفقات
«أيها الإله القدير! إن الروح لتخضع لحكمتك العليا وأنشودتك المثلى
تريد أن تطفو نحو علاك، وتثب إلى سمائك
إنها لتشعر أن الحب هو ختام حياتها
فهي تحترق لمعرفتك وتلتهب لمرآك».
كذلك كنت تقولين وبهذه النفثات كنت تناجين
وقلبانا يجمعان التنهدات، يمزجان الأنات، يصعدان الزفرات
يرسلانها صوب هذا الكائن العظيم الذي يدل عليه هوانا،
ويشهد لعظمته غرامنا
نخشع بصلاتنا أمامه، نحمل طيات قلوبنا محبته واحترامه
يرسل إليه الفجر تخشعاتنا وتضرعاتنا،
ويرفع نحوه المساء تذللاتنا وابتهالاتنا
وعيوننا السكرى بجمال ما صنعت يداه، تتأمل بين الفينة والفينة الأرض
حيث نفينا، والسماء مسكنه.
أواه! في هذه اللحظة والروح على وشك الفرار
تريد البعاد، تود تحطيم السجن.
هو ذا الإله يطل علينا من عليا سمائه
يستجيب دعانا، ينظر إلى شكوانا نظرة عطف تنقذ كلينا.
إن روحينا تريدان أن ترجعا إلى حيث وجدتا النور.
واستشفتا الضياء
تريدان أن تقطعا معًا خضم هذا العالم إلى النهاية المحتمة
يدًا بيد، ووجهًا إزاء وجه

حتى تصلا على جناح الحب إلى النهاية
فهي تصعد كضوء النهار إلى أن تنتهي إلى حيث الإله الخالد
وترتمي تحت أقدامه متعانقة باكية.
هذه الأفكار: أتراها تغشنا وتخدعنا؟
أواه! أللعدم خلقت أرواحنا؟
أللفناء كانت حياتنا؟
أتشترك الروح في مصير الجسد إلى العدم، ويلتهمها جوف القبر الغامض
كما تلتهم الضواري اللحم
ويضيع بين ترابها العظم؟
أتعود إلى التراب الذي منه نشأت
أم تطير في الأجواء ولا تستحيل إلى هباء؟
أم تراها تتبدد في الفضاء
كما تتبدد صرخات صوت قذفته عروس حسناء؟
بعد حسرة ضائعة، وزفرة راجعة، وتوديعة باكية
أترى يفنى المحب، ويطوي الدهر في صفحات كتابه غرامنا؟
أواه؟! إن هذا السر العظيم لا يعرف كنهه إلا أنتِ.
ألا انظري موت من أحبك «ألفير» أجيبي ردي عليّ!

✱✱✱✱

# الخلـــود(*)

لقد آلت شمس أيامنا منذ فجرها إلى الاصفرار!
فهي لا تكاد ترسل نحو جباهنا الكليلة
سوى بضعة أشعة مرتجفة تقاوم الظلمة!
ولكن الظلمة تنمو، والضياء يتلاشى، وينمحي كل شيء ويزول!

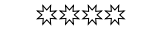

ألا فليرتعد سواي أمام هذا المشهد! ولتخنه قواه!
وليبتعد مرتجفًا عن شفا الهوة!
وليعجز عن الاستماع بعيدًا دون أن يجزع
إلى أنشودة الموت البائسة التي يتهيأ لالتقاطها، أو إلى الزفرات
المختنقة تصعدها حبيبة أو شقيق
فتعلق حول أطراف سريرها الكئيب!
أو إلى الناقوس المدوي،
تنشر دقاته المضطربة بين الملأ أن فلانًا قد قضى!
سلامًا أيها الموت! أيها المنقذ السماوي!
إنك لا تظهر لي في هذا الشكل الرهيب
الذي ألبسك إياه الوهم والرعب زمنًا طويلاً!
إن ذراعك لا تحمل ذلك الخنجر الهدام!

(*) ترجمة السيد أحمد عيتاني ونشرت في الرسالة، العدد (٢٣٩)، من السنة السادسة (٣١ يناير ١٩٣٨)، ص(١٨٠) وما بعدها، يتصدرها: «أحب لامارتين «ألفير» حبًا ملك عليه حواسه ومشاعره، وكاد يقرب من العبادة إلا أن القدر أبى أن يمتعه بهذا الحب طويلاً، فبينما هو يقضي إلى جانب محبوبته ألذ ساعات العمر وأعذب أوقات الحياة، إذا بالنبأ يفاجئه بأنها مريضة ومشرفة على الموت، فينال هذا النبأ منه وينظم آلامه وشجونه في تلك القصيدة التي ينظر فيها إلى الموت نظرة المنقذ الذي ينقل الإنسان من آلام الحياة الفانية إلى سعادة الحياة الأبدية».

إن جبينك ليس مرعبًا! وإن عينك ليست غادرة!
إن بك لَطَيْفًا يسوقك لتخفيف الآلام!
إنك لا تهلك ! إنك تنقذ!
وإن يدك لرسول سماوي يحمل شعلة إلهية!

✡✡✡✡✡

عندما تنطبق عيني المتعبة على ضوء النهار
ستأتي، وتغرق جفونها بنور أشد نقاوة منه!
ويفتح أمامي الأمل، وأنا أحلم في القبر على مقربة منك
أبواب عالم أبهى من هذا العالم!

✡✡✡✡✡

تعال إذًا وأنقذني من قيودي الجسدية!
تعال وافتح لي سجني! تعال وأعرني جناحيك!
ما يلهيك؟! اظهر! ولأقذف بنفسي أخيرًا
نحو هذا الكائن المجهول: مبدئي وغايتي!

✡✡✡✡✡

من فصلني عنه؟! من أنا؟! وما يجب أن أكون؟!
إنى أقضي ولا أفهم معنى الحياة!
أيتها الروح! أيها الضيف المجهول! يا من أسائلك عبثًا!
في أية سماء كنت تقطنين قبل أن تكوني فيَّ؟!
أية قوة قذفت بك إلى هذه الكرة الأرضية؟!
وأية يد ألقت بك في سجنك الصلصالي؟!
أيّ روابط خفية، وأيّ عقد مدهشة
جعلتك تقيمين في الجسد، وجعلت الجسد مالكًا لك
أيّ يوم تنفصلين فيه عن المادة؟
وإلى أيّ صرح جديد تغادرين الأرض؟

أتنسين عندها كل شيء؟!
أتعودين بعد القبر إلى الحياة؟!
أتبدأين حياة ثانية؟
أم ستعملين، وقد تجردت إلى الأبد من قيودك الفانية
على التلذذ بحقوقك الخالدة
في جوار الله مبدؤك ومعادك!
أي نعم. ذاك ما أتمناه يا نصيفة حياتي!
ذاك ما جعل نفسي مطمئنة
وقادرة على النظر، دون ما ذعر إلى قسمات وجهك الوسيمة
تذوي عليها ألوان ربيعك الساطعة!
ذاك ما جعلك تريننني أبتسم
وأنا أموت شابّاً فريسة تلك الطعنة التي أصبت بها!
ذاك ما جعل دموع الفرح تلمع في عيني
عند رؤيتك الأخيرة، في وداعنا الأخير!

☆☆☆☆☆

«أمل باطل!» هكذا سيقول أتباع أبيقور!
إنهم سيقولون: «يا فاقد الشعور، يا من يخدعك غرورك الكثير!
انظر حواليك: فكل شيء يبدأ ويتلاشى!
كل شيء يسير إلى نهاية! وكل شيء يولد ليموت!
إنك ترى الزهرة تذوي في تلك الحقول الصفراء!
والأرزة الشامخة تسقط في الغابة تحت أعباء السنين لتفنى خلال الأعشاب!
إنك ترى البحار تجف في أحواضها الناضبة!
والسماوات نفسها قد أخذت بالاضمحلال!
حتى الشمس، ذلك الكوكب الذي كتم الزمن مولده تسير مثلنا نحو الفناء!
ولسوف يبحث البشر عنها يومًا فلا يجدونها، فيتيهون في الفضاء الفارغ!

إنك ترى الدهور حواليك، في الطبيعة كلها!
تتراكم غبارًا على غبار!
وإنك لترى الزمن يخطو خطوةً واحدةً فيطويك مع كبريائك!
وينقلب كفنًا لجميع ما أنتج!
والإنسان ! والإنسان وحده! يا للجنون العظيم!
يظن أن سيعود ثانية إلى الحياة في أعماق لحده!
ويحلم بالخلود، بعد أن حطمه الزمن.
وحملته العاصفة إلى العدم!

☆☆☆☆☆

ألا فليجبكم سواي يا فلاسفة الدنيا!
ودعوني ووهمي! فالأمل يجب عليَّ وهو حبيب إليَّ!
إن عقلنا ليتعثر ويختلط عليه الأمر
نعم إن العقل ليسكت، ولكن القلب ليجيب!

☆☆☆☆☆

أما أنا، فحينما أرى الكواكب
وقد تاهت عن طريقها السوي في السهول السماوية
يصطدم بعضها ببعض في حقول الأثير
وتنقلب دون ما غاية في السماوات المذعورة؛
حينما أسمع الأرض تئز وتتحطم!
حينما أرى كرتها الشاردة المنعزلة
تسبح بعيدة عن الشموس، باكية إنسانها الهالك!
لتضل في حقول الليل الأبدي!
حينما أكون آخر شاهد لتلك المناظر الرهيبة؛
حينما أظل محاطًا بالموت والظلمة
وبالرغم من وحدتي وجزعي

سآمل فيك أيها الكائن الحق اللطيف
وسأنتظرك أيضًا، وأنا في العوالم البالية
مؤمنًا بعودة الفجر الأبدي!

✡✡✡✡✡

ما أكثر ما غمرتني وإياك تلك الظلمة
ونحن بعيدان عن العالم، يحدونا الأمل
تارة على قمم الصخور الهرمة!
وأخرى على ضفاف البحيرة الكئيبة القاحلة!
أثناء مقامنا السعيد... حيث بدأ حبنا الخالد
لدى النظرة الأولى كما تذكرين!

✡✡✡✡✡

لقد كانت الظلال، وهي تنحدر من وراء الجبال
بقطعها الطويلة، تحجبها عن أبصارنا!
فلا تلبث كواكب الليل الغريبة
بعد برهة من الزمن
أن تزحف دون ما جلبة أو أبهة
وترد على أبصارنا ما حجب عنها
وتسبغ على الأرض ثوبًا من الأنوار الضئيلة
كما يسبغ المصباح نوره المقدس
على المعابد المقدسة التي أضاءها النهار بنوره
فينير منها الهياكل بعد ما تأخذ أشعة المساء تدريجًا بالاصفرار!

✡✡✡✡✡

هنا كنت تفتشين، وكنت تنتقلين ببصري
من السماء إلى الأرض، ومن الأرض نحو السماء
وكنت تقولين: «إيه يا إلهي الخفي»

إن الطبيعة هيكل لك
إن العقل ليراك في كل بقعة تتأملها العين منها
إن هذا العالم مرآة لكمالك الذي يحاول العقل إدراكه!
وصورة له وانعكاس عنه!
إن النهار نظرتك، والجمال بسمتك!
إن القلب ليعبدك في كل ناحية!
وإن النفس لتحيا بك!
أيها الخالد الأبدي! أيها القدير اللطيف!
إن جميع تلك النعوت ليست كافية لتصوير عظمتك!
إن العقل ليعنو أمام جوهرك العظيم!
فيمجد عظمتك حتى لدى سكوته!

✡✡✡✡✡

إلا أنه وهو ذاك العقل المنهزم يا إلهي
حينما يشعر أن الحب سر وجوده
يندفع بذاك القانون الجليل نحوك
متشوقًا إلى حبك ومتحرقًا إلى معرفتك

✡✡✡✡✡

لقد كنت تقولين، وقد وحد قلبانا زفراتهما المتصاعدة
نحو هذا الكائن المجهول الذي نمت عليه آمالنا!
كنت تقولين ونحن جاثون أمامه وقد أجبناه في خلقه
وحمل إليه الفجر والعشاء تمجيدنا إياه!
كنت تقولين وقد أخذت عينانا المنتشيتان
تارة تتأملان الأرض: منفانا نحن!
وأخرى تتأملان السماء مقامه هو! :
«آه لو أن الله يستجيب دعواتنا في هذه الساعة

التي تحاول بها نفسنا الغرارة خلاصها وتحطيم قيدها وإسارها!
فيرسل علينا من علياء سمائه طعنة تحررنا كلينا!
إذًا لرجعت روحانا نحو منبعهما دفعةً واحدةً!
ولصعدتا على جناح الحب في ثنايا اللانهائية
كأنهما خيط من نور!
حتى تصلا، وقد اجتازتا في سيرها العوالم معًا.
أمام الله، وقد ذهلتا عن ذاتيهما
فتعيشان إلى الأبد ممتزجتين فيه!

☆☆☆☆☆

أترينا مخدوعين بهذه الآمال؟!
أصائران نحن إلى العدم؟!
أمقدرٌ على أرواحنا الفناء؟!
أتقاسم الروح الجسد مصيره بعد خلاصها منه!
فتفنى معه في ظلمات القبر
وتتحول إلى غبار؟! أو تتلاشى كما يتلاشى الصوت في الفضاء؟!
أو لا يبقى، بعد الفراق الفادح واللوعة الضائعة
جزء يحبك من ذاك الذي كان يحبك؟!
آه يا ألفير! لا تسائلي سوى نفسك عن ذلك السر العظيم!
وانظري إلى من أحبك وهو يموت
ثم أجيبي![*]

✱✱✱✱

(*) ختمت باسم المترجم الذي وصف بأنه «عضو بعثة أساتذة جمعية المقاصد في مصر».

# الخلـــود(*)

إن الاصفرار يغشى شمس حياتنا منذ فجرها
وعلى جباهنا المتأوهة
تعكس بعض الأشعة الضئيلة
المرتجفة والتي تصارع الظلام،
الظل ينمو والنهار يموت
وكل شيء يمَّحي ويتوارى

☆☆☆☆☆

وَلْيَرْتَعِشْ شقيق أو حبيب ويشفق لهذا المنظر
وَلْيَرْتَعِد مرتجفًا عن شفير الهاوية،
وليعجز عن سماع أغاني الموتى،
وحتى عن بعيد، وهي تهم أن تدوي دويَّها
والتأوهات المخنوقة التي يصعدها
ترود حول سريره الجنائزي
وَلْيَخْشَ قرع النحاس المعول
والذي يؤذن صداه الضائع
للأحياء الهالكين بأنَّ حيّاً ما
زال ولم يعد موجودًا

☆☆☆☆☆

إنى أحييك، أيها الموت

(*) ترجمة إيليا حاوي، ضمن: «الرومنسية في الشعر العربي والغربي» ص٩٨ وما بعدها.

المحرر السماويّ
فأنت لا تتراءى لي بذلك الوجه الكريه
والذي خلعه عليك زمنًا طويلاً
الرعب أو الضلال
فساعدك لا يحمل سيفًا مهلكًا
وجبهتك ليست قاسية،
وعينك ليست مشؤومة،
فإن رَبّاً كريمًا يقودك
لتداوي الآلام
أنت لا تبيد بل إنك تحرر
ويدك هي رسولة علوية تحمل
مشعلاً إلاهيًّا،
والأمل الذي يحلم بقربك
على رمس ويتوكأ على الإيمان
يفتح لي آفاق عالم أجمل
تعال إذن، تعال حرّرني
من سلاسل جسدي، تعال افتح سجني،
تعال أعرني جناحيك.
لماذا تتأخر اظهر
ولأرتحل أخيرًا إلى ذلك الكائن
المجهول
وهو بدايتي ونهايتي
ومن ذا ترى فصلني عنه
ومن عسايَ أكون أو ما ينبغي لي
أن أغدو؟

وها إني أموت لا أعلم
ما معنى الولادة
أنت أيها الروح الذي أخاطبه
عبثًا، أنت أيها الضيف المجهول
أين كنت وفي أيّ سماء قبل أن تحل بي
وتحركني؟
وأية قوة رمتك على هذه الكرة
السريعة العطب؟
وأية يد أسرتك في سجنك الترابيّ؟
وبأية عقدة مدهشة يتعلق بك الجسد
كما تتعلق أنت به؟
وأيّ نهار يفصل الروح عن الجسد؟
وإلى أيّ قصر جديد تغادر الحياة؟
وهل أنك نسيت كل أمر فيما وراء القبر؟
وهل أنك سوف تبعث في نسيان جديد؟
وهل ستباشر من جديد حياة أخرى؟

☆☆☆☆☆

أم أنك ستفرح بحقوقك الأبدية في
أحضان الله الذي هو مبعثك ومآلك
بعد أن تتحرَّر من قيودك الإنسانية؟...
أمل عبثيٌّ سيصرخ الأبيقوريون
فليرد عليكم سواي يا حكماء الأرض
إن عقلنا يضطرب ويلتبس
بلى العقل يصمت فتجيب الغريزة.

✱✱✱✱

# الخلـــود(*)

إن شمس أيامنا شحبت منذ فجرها
وعلى جباهنا الراهنة تكاد ترسل بعد
بعض الأشعة المضطربة التي تقارع الليل
ويعتقد الظل أن النهار قد مات،
وأن كل شيء قد انمحى، وكل شيء قد انهزم
وإن شيئًا آخر في هذا المشهد يرتعد ويخشع
ويرجع القهقرى، ويزلزل حواشي الهوة
ولا يستطيع أن يسمع من بعيد بدون ارتعاش
النغم الحزين للأموات المشرفين على الاختطاف القريب
والتنهدات المكبوتة لمحبة أو شقيق
المخيمة على حواشي سريره الجنائزي
أو الصدى الحسير الحائر رنينه
المعلن للفناء، أن تعسًا لم يعد شيئًا مذكورًا
أحييك، أيها الميت! المتحرر العلوي
إنك لن تتراءى لي قط تحت هذا المشهد المشؤوم
الذي أعارك طويلاً الهلع أو الخطيئة
إن ذراعك لم تعد مجهزة بسيف مدمر
إن جبهتك لم تعد قاسية. وعينك لم تعد غادرة
لإسعاف الآلام سيتولاك إله واحد...

(*) ترجمة محمد أسعد ولاية في «مختارات...» ص٢٤ وما بعدها، يتصدرها «إن هذا التخيل في مصائر الإنسان كان قد وجهه لامرتين في أكتوبر عام ١٨١٧ إلى حبيبته إلفير المتوفاة».

إنك لن تفنى، إنك تسلم يدك
إلى ملك سماويّ يحمل مشعلاً إلهيًّا
عندما ينطفىء سراج عيني المتعبة
ستأتي ذات يوم أكثر صفاء تغمر جفني
والأمل قريبًا منك سيتراءى فوق قبر
مستندًا إلى الإيمان، ويفتح لي عالمًا أكثر جمالاً

✡✡✡✡✡

تعال إذن، تعال وحلَّ قيودي الجسدية!
تعال، افتح سجني، تعال وأعرني أجنحتك!
لماذا تبطىء؟ اظهر فإنني اتجهت أخيرًا
حيال هذا المصير المجهول، مبدئي ومنتهاي!
من ذا الذي أطلق سراحي؟ من أنا؟ وماذا يجب أن أكون؟
إنني أموت، ولا أعلم لماذا خلقت
وأنت، عبثًا أسأل روحًا في علياء مجهولة
قبل أن تشعريني أيّ سماء تسكنين
أية قدرة ألقت بك فوق هذا الفلك السريع التحطم؟
أية يد حبستك في سجنك الصلصالي؟
بأيّ طلسم عجيب، بأية أسرار متصلة؟
هل يتمسك بك الجسد كما تتمسكين أنت بالجسد؟
ترى في أيّ يوم ستنفصل الروح عن المادة؟
إلى أي مقام جديد قد غادرت الأرض؟
هل نسيت كل شيء؟ من وراء القبر.
هل ستخلقين بعد في مجهول جديد؟
هل ستبدئين حياة مماثلة؟
أم في كنف الإله منبعك وموطنك؟

تحرري أبدًا من قيودك البائدة
هل ستتمتعين أخيرًا بحقوقك الأزلية؟
نعم، هذا أملي، واهًا يا نصف حياتي!
بذلك ما لبثت روحي أن تطهرت
وتمكنت بدون وجل أن ترى فوق سهامك الراقية
تلاشي الألوان اللامعة في الربيع
وبذلك نفذ السهم الذي يمزقني
صغيرة بعد، عند موتك، لقيتني باسمة
وإن عبرات السرور عند وداعنا الأخير
عند نظرتك الأخيرة ستشع في عيني
أمل باطل! «سيصرخ فريق الأبيقوريين الشهوانيين»
وهو العالم الذي يشرح الطبيعة بيده
في زاوية من عقل خسر سمعته مؤخرًا
والذي يرى التفكير في المادة. وينسى الروح
سيقولون، غير معقول أن كثرة الخيلاء توقع في الزلل
تلفتي حولك، كل شيء يبتدي، وكل شيء يزول
كلٌّ يسير إلى أجل، وكل ولد ليموت
في هذه العاجلة المصغرة ترين الزهر يذبل
إنك ترين في هذه الغابات، الأرز في الجبهة بهيجًا
وتحت ضغط أعوامه يسقط ويزحف تحت العشب
وسترين البحار النازفة في مخادعها اليابسة
وهذا الكوكب الذي أخفى الزمن مولده
الشمس، تسير مثلنا إلى زوالها
سنبحث عنها ذات يوم ولن نراها بعد!
إنك ترين حولك في الخليقة عامة

الأجيال تكدس ترابًا فوق تراب
والزمن بخطوة واحدة يقلب كبرياءك
ومن جميع ما يحدث يأتي التابوت
الإنسان، والإنسان وحده، واهًا يعظم الحماقة!
وفي صميم قبره يعتقد أنه سيجد الحياة
وفي الزوبعة أخذ إلى الفناء
وصرعه الدهر وهو يحلم بالخلود!
يجيبك آخر، أيها الخاضع للأرض
تجاوز عن زلتي، إنني أحب، يجب أن آمل،
إن عقلنا الضعيف يضطرب ويفقد وعيه
نعم، العقل يصمت ولكن الغريزة تجيبك
أما أنا، عندما أذهب إلى المستوى السماويّ
ستبتعد الكواكب عن طرقها المعينة
في ميادين الهواء الصافي التي يستبد أحدها بالآخر
نطوف صدفة بالسماوات الفزعة
وعندما أسمع الزفير وتتحطم الأرض،
وعندما أرى كرتها غير مستقرة ومنعزلة
خائضة بعيدًا عن الشموس، باكية الإنسان المحطم
الضائع في ميادين الليل الأبدي
وعندما يصبح آخر شاهد لهذه المسارح الجنائزية
محوطًا بالفضاء وبالموت وبالدياجير
سأكون واقفًا وحيدًا، وحيدًا رغم ذعري
مصير لا مفر منه وحسن، سيكون أملي فيك
وأنا واثق من عودة الفجر الأبدي
على العالم المحطم سأنتظرك بعد!

أحيانًا تذكرين، في ذلك المقام السعيد[1]
حيث اختلسنا، نظرة لحبنا الخالد
قريبًا من مشارف هذه الصخور التاريخية
قريبًا من حواشي صحارى البحيرات الساهمة
وفوق جناح الرغبة، بعيدًا عن العالم الذاهب
كنت أتعمق معك في هذه المعميات
الظلال ذوات الثنيات الطويلة النازلة من الجبال
تلك لحظة تختفي فيها عن أعيننا الرياض
ولكن تتقدم سريعًا بدون ضجة ولا جلبة
الجوقة الخفية لنجوم الليل
وتعيد لنا الأشياء مخفية عن نظرنا
ومن هذا الضياء المسترخي يتشح الفضاء
وكذلك في معابدنا المقدسة يضيئها النهار
عندما تشحب أشعة المساء تدريجيّاً
ينشر المصباح ضياءه الناسك
في يوم أكثر تجمعًا يملؤه التقديس
وفي نشوتك إذن تجتذبين ناظريَّ
وسماوات على الأرض وأرض في السماوات
أيها الإله المحجوب، أكنت تقول إن الطبيعة معبدك!
تراك الروح في كل مكان عندما تتبصر أعيننا
ومن بدائعك التي تحاول العين أن تضمرها
هذا العالم هو المرجع، والصورة، والمرآة
النهار نظرتك، والجمال بسمتك
كل قلب يعبدك، والروح تلهج بك

(١) المقام السعيد هو جبال سافوا لو بان وحولها (المترجم).

أزلي لا نهائي، قادر على كل شيء، وكل شيء حسن
هذه الخصائص الواسعة لا تفي باسمك
والروح التي أصابها الضنى تحت جوهرك السامي
تسبح بعظمتك حتى في صمتها
وفي غضون ذلك أيها الإله! بناموسها السامي
هذه الروح الصريعة ما زالت متجهة نحوك
وهي تشعر أن الحب هو نهاية وجودها،
عدم الصبر على الحب يلهب لنعرفك

✲✲✲✲✲

إنك قلت، وقلبانا الموحدة حسراتهما
حيال هذا المصير المجهول ما الذي يحقق رغباتنا؟
ركع المحب أمامه في مبتدعاته
والفجر والمساء يقدمان له خضوعنا
وأعيننا النشوى المتبصرة تارة بعد تارة
الأرض منفانا والسماء مستقرنا.

✲✲✲✲✲

آه لو في هذه اللحظات حيث الروح تحاول الشرود
يشفها الألم وتريد تحطيم الصدر الذي يأسرها
هذا الإله من علياء السماء أجاب رغباتنا
وبسهم محرر أصاب كلينا
أرواحنا بقفزة واحدة يصعد بها إلى منبعها
سيثب الخلق معًا في طريقهم
حيال اللانهاية، على جناح الحب.

✱✱✱✱

# الــوادي (*)[1]

إن قلبي المكلوم المتقطع حبل رجائه حتى من الأمل
لن يزعج الأقدار بعد الآن بابتهالاته كما كان يزعجها من قبل.
ولكن أيها الوادي
يا مأواي في أيام طفولتي
افسح لي مجالاً – ولو ليوم واحد –
فأعيش في ربوعك في انتظار المنون

☆☆☆☆☆

ها هي ذي الطريق الضيقة المؤدية إلى ذلك الوادي المظلم:
هنا، في أحضان هذه الروابي
تقوم أشجار تلك الغابات الكثيفة
فترسل ظلها على وجهي الشاحب
وتحوطني بسكون مسكر

☆☆☆☆☆

وهناك جدولان يجريان تحت «جسور»[2] من الأعشاب المخضوضرة
فيرسمان في انسيابهما تعاريج الوادي ومنحدراته
وتراهما بين الفينة والفينة

---

(*) ترجمة محمد كزما (بيروت)، ونشرت في الرسالة بالعدد الخامس من السنة الأولى (١٥ مارس ١٩٣٣). وراجع التعليق على ترجمة أسعد ولاية.

(١) نظم لامرتين هذه القطعة الشعرية الممتازة في أواخر عام ١٨١٩، بعد أن أقام في الوادي الذي يعنيه férouillet سنة كاملة (المترجم).

(٢) أصل هذه الكلمة Ponts وقد احتفظنا بمعناها الصريح (المترجم).

يمزجان تموجاتهما الفضية بألحان خريرهما العذبة
ثم يتلاشيان قريبًا من المنبع، بعيدًا عن أعين الناس.

✲✲✲✲✲

وأيامي في انسيابها أشبه بهذين الجدولين!
فهي تمضي وتتلاشى دون أن يشعر بها الناس
ودون أن تحدث ذلك الخرير العذب!
أما نفسي الكئيبة الملتاعة
فهيهات أن تعنى بحياة يوم جميل من أيام حياتي

✲✲✲✲✲

إن خمائل الوادي الفينانة. بظلها المخيم
دفعتني لقضاء النهار[1] كله على ضفاف جداولها
فنفسي الحساسة تغفو على أنغام خرير المياه
كما يغفو الطفل في مهده على صوت المناغاة
هناك تحوطني الطبيعة بأسوار من العشب الأخضر
وبأفق محدود، لكنه فسيح لناظري
إنني أحب أن أثبت قدمي وأن أبتعد عن الناس لأسمع خرير المياه
ولأتمتع برؤية السماء

✲✲✲✲✲

لقد رأيت في حياتى أمورًا كثيرة
وشعرت بإحساسات جمة
وملأت أيامي عشقًا
والآن جئت أستوحي الطبيعة في هدوئها الشامل
أيتها الأماكن البهيجة الجميلة !

---

(١) هنا يتذكر الشاعر يومًا مشئومًا كاد يموت فيه غرقًا في بحيرة صغيرة لولا نشاط إيمون فيربو أحد أصحابه (المترجم).

كوني لي تلك الضفاف التي ينسى الإنسان بقربها كل شيء
فقد أصبح سر سعادتي في النسيان
هنا يطمئن قلبي : هنا ترتاح نفسي :
هنا تلفظ ضوضاء العالم البعيد أنفاسها الأخيرة
كما يلفظ الصوت البعيد أنفاسه حين تبعد به الشقة
قبل أن يصل مع النسيم إلى الأذن الحائرة.

✲✲✲✲✲

من هنا، ومن خلال هذه الغيوم الصافية
أرى ماضي حياتي يختفي في ظلام دامس
تاركًا في نفسي ذكريات حية لحبي
كما تترك اليقظة في نفس المستيقظ صور خيالات جميلة
لحلم لذيذ قد استفاق منه.

✲✲✲✲✲

يا نفسي ! خذي حظك من الراحة في هذا المنزل الأخير
كما يأخذ المسافر الطافح قلبه بالآمال
حظه من الراحة، قبل أن يدخل أبواب المدينة
يستنشق هنيهة نسيم الماء المعطر.
ولننفض نعالنا كما يفعل هذا المسافر
لأننا لن نمر ثانية في هذه الطريق
التي اجتزناها مملوءة بالغبار
ولنتذوق مثله أيضًا، في آخر مرحلة من طريقنا
هذا الهدوء الذي يبشرنا بضجعتنا الأبدية.

✲✲✲✲✲

أيها الإنسان ! إن أيامك المعدودة
التي تشبه في حلكتها وقصرها أيام الخريف

تنحدر بك كما ينحدر الظل على جوانب الهضاب
فالصداقة تخونك، والرحمة تعرض عنك
إلى أن تتركك في طريق القبر وحيدًا.

✡✡✡✡✡

ولكن الطبيعة هنا تدعوك إليها
لتبثك أشواقها، فارتم في أحضانها
عندما يقلب لك كل شيء ظهر المجن
عندما يخونك كل شيء ويعرض عنك
ترى الطبيعة على حالها المعهودة
فالشمس نفسها تشرق طيلة أيام حياتك.
إن الطبيعة لم تزل كما كانت عليه بالأمس
ترشدنا تارة بنور حقيقتها
وتضللنا أخرى، فلا تأسف أيها الإنسان
لكل ما تضيعه من متاع الحياة الدنيا
وتعال نعبد ذلك الصدى وألحان الموسيقى العلوية
كما كان يتعبدهما «فيثاغورس»[1] من قبلك.

✡✡✡✡✡

دع الطرف يناجي الغزالة في سمائها نهارًا
والأشباح في محرابها ليلاً
واسبح مع الغيوم على بساط الريح
واخترق غابات الوادي الظليلة
مع أشعة ذلك الكوكب الخفي

✡✡✡✡✡

(١) هو عالم وفيلسوف يوناني، عاش في القرن السادس قبل الميلاد، تعلق بالطبيعة، وهو مدين لها بكثير من بحوثه العلمية، كسرعة الصوت في الهواء، وأسباب حدوث الصوت ... إلخ.

إن الله خصك أيها الإنسان بالعقل والفطنة
لكي يتحقق بهما وجوده
فاستجله في صحيفة الطبيعة
فإن في سكونها وهدوئها صوتًا يهتف باسمه
من منا لم يسمع هذا الصوت يدوِّي في أعماق قلبه ؟

✷✷✷✷

# الــوادي (*)

تعب قلبي من كل شيء حتى من الأمل،
فلن يثقل بعد اليوم بأمانيه على القدر
فأعرني يا وادي صباي وأحلامي
ملجأ يوم انتظر فيه موافاة حمامي

✲✲✲✲✲

ذلك هو الشعب يضرب في حشايا الوادي،
والغابات الكثيفة تقوم على سفوح الربى،
وأدواحها الحانية تلقي الظلال على جبيني
فتملأ شعاب نفسي بالسكون والغبطة

✲✲✲✲✲

وهناك جدولان اختفيا تحت أعراش الخضرة،
يرسمان في انسيابهما منعطفات الوادي،
ثم يمتزج منهما الموج بالموج والخرير بالخرير،
ويفنيان وهما من المنبع على مدى قصير

✲✲✲✲✲

كذلك جرى نبع أيامي جريان هذين الجدولين،
ثم ذهب من غير هدير ولا سمة ولا رجعة !

---

(*) ترجمة أحمد حسن الزيات في الرسالة، العدد (٨٣) من السنة الثالثة (٤ فبراير ١٩٣٥) ص (١٩٦) وما بعدها تم نشرها في: في الأدب الفرنسي (ضوء القمر ص (١٩٦) وما بعدها) ويلاحظ أن هذه الترجمة تحمل عنوان الوادي بينما ترجمها محمد أسعد ولاية الوادي الصغير، استنادًا إلى أن العنوان الفرنسي للقصيدة : .Le Vallon

ولكن ماءهما كان صافيًا شديد الصفاء،
أما نفسي فلم يتراء في كدرها صفو ولا هناء !

✲✲✲✲✲

إن طراءة الجدولين وبرودة الظلال ،
تعقلانني طيلة النهار على ضفافهما الخصيبة،
أهدهد نفسي على خرير مائهما السلسال،
كما يهدهد الطفل على المناغاة الرتيبة

✲✲✲✲✲

آه! حبذا المقام هنا بعيدًا عن الناس وحيدًا مع الطبيعة!
يحيط بي سور أخضر من رياض الأرض،
ويقوم حواليَّ أفق محدود فيه مجال للبصر،
فلا أسمع غير همس الموج ولا أبصر غير وجه السماء

✲✲✲✲✲

لقد رأيت كثيرًا وأحسست كثيرًا وأحببت كثيرًا
ثم جئت هنا حيّاً لأبحث عن هدوء (ليتيه)[1] !
فيا أيها الوادي الجميل !.. كن لي ذلك
النهر الذي يُذهب بالنسيان هموم القلب،
ففي النسيان وحده منذ اليوم سعادتي ونعيمي

✲✲✲✲✲

إن قلبي في رخاء ونفسي في سكون،
إن ضوضاء العالم لتفنى قبل أن تصل إليّ،
كالنغم البعيد يخفت على طول المدى،

---

(١) L'éthé فيما تزعم الأساطير الوثنية نهر من أنهار الأنفير Les enfers وهو مقام الأرواح بعد الموت، تشرب منه هذه الأرواح فتنسى ماضيها، وليتيه معناها النسيان (المترجم).

ثم لا يقع منه في الآذان إلا صدى

✡✡✡✡✡

من هذا المقام ومن خلال ذاك الغمام
أرى الحياة حولي تغوص في غيابة الماضي
فلم يبق ماثلاً غير الحب يقوى ويتجدد،
كالصورة الكبيرة تبقى على اليقظة من حلم تبدد

✡✡✡✡✡

استروحي يا نفس في هذا الملجأ الأخير،
كالمسافر اللاغب يجلس على باب المدينة ،
وقلبه زاخر بالأمل والطمأنينة،
فيستثنى قبل أن يدخل نسيم المساء العبق

✡✡✡✡✡

فلننفض عن أقدامنا الغبار كما نفض هذا الرجل المجهود،
فإنا لن نسلك هذه الطريق مرة أخرى؛
ولننشق مثله في آخر المدى المحدود،
نفحاتِ الهدوء المبشر بالسلام الدائم

✡✡✡✡✡

إن أيامك الكئيبة القصيرة كأيام الخريف،
تنقبض انقباض الظلال عن حوادر الهضاب؛
فالصداقة تغدر بك، والرحمة تتخلى عنك،
وتقطع وحدك الدرب إلى عالم القبور

✡✡✡✡✡

ولكن الطبيعة هناك تُهيب بك وتحنو عليك؛
فألق نفسك في أحضانها التي لا تتجافى عنك،
فإن كل شيء يتنكر لك وينزوي عنك إلا الطبيعة،
فجوُّها هو الذي ينضح على آلامك،

وشمسها هي التي تشرق على أيامك

✡✡✡✡✡

بالأشعة والظلال لا تزال تحيطنا الطبيعة
فطهر قلبك من الغرور الباطل والمتاع الزائل،
واعبد هنا الصدى الذي كان يعبده فيثاغورس،
وأرهف أذنك مثله لموسيقى السماء.

✡✡✡✡✡

ثم اتبع الشمس في السماء والظل في الأرض،
وطِرْ في السهول مع ريح الشمال،
وجُسْ مع شعاع هذا الكوكب الهادي
خلال الغابات في ظلال هذا الوادي ..

✡✡✡✡✡

إن الله خلق العقول لتدركه،
فاكتشف في الطبيعة خالق الطبيعة،
فإن صوتًا لا يني يحدث المرء عن ربه ..
ومن ذا الذي لم يصغ إلى هذا الصوت في قلبه ؟

✷✷✷✷

# الـوادي الصغير (*)

أيا قلبـــــــيَ المكدود من كل وجـــــهـــةٍ
لقــد ضــقت حــتى من أمـــانـــيّ كـــلـهـا
ألا مـــخـــرجٌ مما أعـــانـي يبـــيـــن لي
فـتـمـضي الأمـاني المزعـجـات لحـالهـا
أعـــرنـي أيـــا وادي الطفـــولة ملـجـأً
أعـــدُّ به نفـســـي ليـــوم رحـــيـــلـهـا
فـــهـذا صـــراطٌ ضـــيـــقٌ فـــيـــك راق لي
وخـــيّـــمت الظلمـــاء فـيـــك بظلهـــا
وهذا هـــدوءٌ في نـــواحـــيـــك صـــامتٌ
وحـــولك غـــاباتٌ بـــدت مـن خـــلالـهـــا
على جـــبـــهـــتي تجـــري الظلال تماوجًـــا
فـتـــغـــمـرني بالصـمـت فـورًا بفـضـلـهـا

☆☆☆☆☆

هـنـــــاك تـــــراءى جـــــدولان لـنـاظـري
وفـــوقـــهـــمـــا جـســـرٌ من الزرع ناضـــر
إذا بهـــمـــا حـــول المكـــان تعـــرَّجـــا
وقـــد تَجْـمَـع الفـرعـيـن حـينًا مـعـابر

(*) ترجمة «محمد أسعد ولاية» في «مختارات ..» ص (٣١) وما بعدها، يتصدرها «الوادي الصغير المقصود هنا يقع في جبال (دوفينيه) حوالي (جراند لامب) حيث كانت تقطن أسرة (فيريو) وقد أقام لامرتين هناك ستة أسابيع عام ١٨١٩، وفي تلك الحقبة أنشأ لامرتين هذه القصيدة التي كتبها إلى «إيمون ده فيريو». إن العواطف التي ذكرت فيها إذن هي عواطف متبادلة بين صديقين». وراجع تعليقنا على ترجمة الزيات: الوادي.

فـــتـــخـــتـــلط الموجـــات إثر اصطدامـــهـــا
وتســـــمـــع أنغـــام الخـــريـــر الهـــوادر
وليس بعـــيـــــدًا عـــن منابع مـــائهـــا
تلاشـــت وقـــد مـــضّت نداها الحـــوافـــر

⁂⁂⁂

ومنبـــــع أيـــامي كـــذلك قـــد مـــضى
ومـــرَّ ولم يُحْـدِث ضـــجـــيـــجًـــا ولا رعـــدا
ولكنمـــــا مـــــوج الجـــداول رائـــــــقٌ
وروحـي تـعـــــاني الاضطراب ولا تهـــــدا
فـــهل من ســـبـــيلٍ لاجـــتـــلاءٍ مـــحـــبـــبٍ
بإشـــــراق يومٍ بالجـــمـــــال قـــد ارتدَّا ؟
تقـــيّـــدني طـــول النهـــار نضـــــارةٌ
لمرقـــد هذيـــن الغـــــديرين في الوادي
كطفلٍ قـد اســـتـــهـــواه لحنٌ منسَّـــقٌ
وروحي يغـــفِّـــيـــهـــا الخـــرير كـــإنشـــاد

⁂⁂⁂

هنـــاك أرى حـــولي نضـــارة خـــضـــرةٍ
ويكفـي لـعـــــيـنـي أن ترى قطرة الكـــونِ
وإنـــي لتـــوّاق لتـــحـــديد مـــســـلكي
وأبقى وحـيـــدًا في الطبـيـــعـــة، في ركـــن
فـــلا مـــســمـــعي يصـــغي لغـــيـــر تجـــاوبٍ
من الموج يبـــديه التـــوائب، في لحـــن
ولا شـــيء يغـــــريـنـي برؤيـــة منـظـــرٍ
ســـوى القـــبـــة الزرقـــاء ترنو لهـــا عـــيني

رأيت كـــثـــيـــرًا في حـــيـــاتـــي ولـهـــوهـا
وأحـــبـــبـــت تكرارًا، فـــخـــيـــبني ظنـي
وجـــــئـــت إلى وادي الطفـولـة باحـــــثًـــا
أروم مـع الـسـلـوى هـدوءًا، فـــــــهل يُـغـنـي؟
أناجـــيـك يا مـــهـــد الجـــمـال، فلبّنـــي
وكن مـــرتـع النسـيـــان، والصـــفـــو والأمـن
فليـــس ســـوى النسـيـــان يبـــرئ عِلَّتي
وفـــيـــه هنائي، فـــاســـتـــجبْ لي بلا ضَـنِّ

⁂

أرى أنّ قـــلبـــي في اســـتـــراحـــتـــه غـــدا
قـــريـرًا، وروحـي فـي سـكـون رجـــــوتـــه
وبُـعْـدي عن الضـــوضـــاء أضـــعفَ وقـــعـــهـــا
وأضـحـــت صـدى صـوتٍ عـمـيقٍ سـمـعـتـه
ويحـــــمله نـحـــوي الـهـــواء كنبـــرةٍ
وفي ســـمـــعيَ المرتـــاب همـــسًـــا وعـيـتـه

⁂

هنا أجـــتلي صـــور الحـيـــاة خـبـيـئـةً
خـــلال غـــمـــامٍ ثم يمضـــي تلاشـــيـــا
خـــيـــالٌ من الماضي يـــزول وينمـــحي
ولكن يظل الحُـــب حـــيًّـــا وباقـــيـــا
فـــهـــيّـــا أيَـا نفـسي اســـتـــريحي بملجـأ
أخـــيـــر كـــجـــوّاب يخـــالجـــه الأمـــل
ويـبـــــــقـى عـلـى بـاب المـديـنـة لحـظـةً
ليـــرتـــاح من كـــد الطريق مـــتى وصـل

ويســـتنشق النســـمـــات تحـــمل عطرها
مـــســـاءً، ليُـــقْصِ عن خـــوالجـــه الملل
وأقـــــدامنا هذي تقلقـــــل تربـــــةً
كـــأقـــدام جـــوّاب تـدب بضـــغطهـــا
ولم يألف الإنســـان ســـيـــرًا بأرضـــهـــا
ســـوى من أحـــاطتـــه الحـــيـــاة بشـرّها
فـــهـــيـــا بنا ننأى عن الهـــم مـــثله
ونأوي لميـــدان الهـــدوء بســـاحـــهـــا
ونهـــجـر ضـــوضـــاء الحـــيـــاة ولهـــوهـــا
ونســـبق إســـراع الوفـــاة وركـــضـــهـــا

ولا ننس يا خلّي الحـــقـــيـــقـــة مطلقًـــا
فـــأيامك الغـــبـــراء تمضـــي قـــصـــيـــرة
وكـالظل إذ يمحـــو التـــقلص رســـمـــه
تـــزول كـــأيـــام الخـــريف ســـريعـــة
وتبـــدو صـــداقـــات الأحـــبـــة خـــدعـــة
بهـــجـــران عـــاطفـــة الحنان مـــريبـــة
وأنت تـــوارى حين تقـــضـي بحـــفـــرة
وحـــيـــدًا وتبـــقى للفنـــاء فـــريســـة

ولكن ســـتـــلقى في الطبـــيـــعـــة ملجـــأ
وتحظـــى بمن يدعـــوك حِـــبًّـــا، فلبِّـــه
وفـــي الكنـــف المفـــتـــوح دومًـــا هناءة
وراحـــــة بـــــالٍ للمـــــعنًّى، فلُذْ به

وحـــين تـــرى فـي كل شـيءٍ تـغـــيُّـــرا
ينغِّص أســـبـــاب الحـــيـــاة كـــدأبه
تظـل تصـاريف الطبـيـعـة مـثلمـا
عـــهِـــدْت، على ســـيـــرٍ رتيبٍ مـــشـــابه
وأيـــامـك الـغـــراء تحـظـى بـدورهـا
بإشـــراق شـــمسٍ في الفـضـــاء ورحـبـه
ومـــا زلت بين الضـــوء والظل فـــانتـــبـــه
وخـــــلِّص من الأوهام حُـــبَّك ســـالما
وأنـقِـــذْه من زيـــف الأباطيل إنـهـــا
إذا اســـتـــحكمت، كـــانت لزيغك سُلَّمـــا
تهـيـأ هنا واعـبـد صـــدًى لحـقـيـقـةٍ
كـمـا كـان «فـيـثـاغـور» يفـعل، عـالما
أعـــر ســـمـــعك الواعي لصـــوتٍ تتـــابعت
أناشـــيـــده العليـــا ترددها السَّـــمـــا

✲✲✲✲✲

فـــتـــابِـــع إذا حَـــلَّ النهـــار ســـمـــاءه
وتابـــــع على أرض البـــســـيطة ظلـــه
وطـــر فـــوق ريـــحٍ للشـــمـــال كـــثـــيـــفـــةٍ
ودر مـع إشـــعـــاعٍ جـــمـــيـــلٍ وحـــوله
فـــذلك إشـــعـــاعٌ لأســـرار كـــوكـبٍ
وفـــيـــه غـــمـــوض يشـمل الكون كله
وثـــم انزلـق حـــول الحـــدائق عـــائـــدًا
إلى مـــهـــبط الوادي فـــيـــرخي ســـدوله

✲✲✲✲✲

وقـــد خـــلـق الله الذكـــاء لحكمـــةٍ
لأنّ احـــتـــجـــاب الله أمـــرٌ قـــضى به

وتحـــــت نظامٍ للطبـــيـــعـــة مـــفـردٍ
تَجَلَّت خـبـايـــا المعـجـزات لشـعـبـه
ألا إن صـــوتًا تشـــعـــــر النفس أنـه
يحـــــدثهـــا إبَّان صـــــمتٍ خلت به
فـــمن ذا الذي لم يســمع الصـــوت هاتفًـــا
ومـــن ذا الذي لم يلتـــقطه بقلبـــه ؟

✱✱✱✱

## الوادي الصغير (*)

قلبى الذي تعب من كل شيء
حتى من الأمل
لن يزعج القدر بمبتغياته بعد اليوم
أعرني، يا وادي حداثتي
عزلة يوم واحد لأنتظر الموت.

☆☆☆☆☆

هناك جدولان مختبئان تحت الجسور المخضوضرة
ينسابان راسمين ما يحيط بالوادي الصغير
فيمتزج إلى حين موجهما وخريرهما
ويضيعان دون اسم، غير بعيدين عن ينبوعهما.

☆☆☆☆☆

هكذا جدول أيامي جرى
مضى دونما ضجة، ودون اسم، ولا عودة
لكن أمواجه صافية
ونفسي المعتكرة، لن يرتسم فيها ائتلاق يوم جميل

☆☆☆☆☆

هنا، من خلال غمامة
أرى الحياة تتلاشى من أجلي في ظل الماضي
وما بقي إلا الحب، كلوحة كبيرة

(*) ترجمة سليم مكرزل، ضمن كتابه : الشعر العالمي، ص (٤٨) وما بعدها.

تنهد وحدها عند اليقظة من حلم قد امّحى

✡✡✡✡✡

أيامك، المظلمة والقصيرة كأيام خريفية،
تنحني كظل على سفوح التلال
فالصداقة تخونك، وتتخلى عنك الشفقة
وتسلك وحدك طريق القبور

✡✡✡✡✡

ولكن الطبيعة، ها هنا، تدعوك وتحبك،
غص في أحضانها التي تفتحها لك دائمًا
وعندما يتغير كل شيء لديك،
تبقى الطبيعة هي هي
والشمس ذاتها، تشرق على أيامك .

✷✷✷✷

# المســاء(*)

هبــط الصـــــمتُ على الكون مـــســـاءً
وأنا فـــي مــجلسٍ فـــوق الصـــخـــورْ
والهـــواء الرّهـــوُ قـــد عمَّ الفـــضـــاءَ
وركـــابُ الليـــل قـــد غـــذَّ المســـيـــرْ

✲✲✲✲✲✲

هـا هـي «الزهـرةُ» تبـــــدو فـــى الأفـــقْ
بيـــــن أتـــــراب الدراري النيـــراتْ
تبـــعـــث الأضـــواء حَـــيْـــرى تأتـــلقْ
فـــوق أعـــشـــاب المروج النضـــراتْ

✲✲✲✲✲✲

إننـــــى أســـــمعُ أناتٍ الشـــجـــرْ
فـــى دُجـــى أوراقـــهـــا مُـــصَـــفّـــرَهْ
كـــخـــيـــالٍ لدفـــيـــنٍ قـــد ظهـــرْ
راقـــصًـــا فـــى الليـــل حـــول المقـــبـــرَه !

✲✲✲✲✲✲

يطـــلع البـــدرُ كـــروح مـــبـــهـــمـــهْ
مـــرســـلاً فـــوق جـــبـــيـــنٍ نـــورَهُ
ملقـــيًـــا عنـــد عـــيـــوني حُلمَـــهْ
فـــى دعـــابـــاتٍ أبانت سِـــحـــرَهُ

(*) ظهرت في مجلة أبولو، يونيو ١٩٣٤، ص ١٠٤٦ وما بعدها، يتصدرها: «نقلتها نثرًا عن الفرنسية الأديبة الفاضلة الآنسة فاطمة محمد حسن ونظمها الشاعر مختار الوكيل».

يا شـــــعـــاعًـــا هابطًا مِن قُـــرْصِ نـــارْ
وضـــيـــاءً ســـــاحـــرًا، مـــاذا تريـــدْ ؟
أهبطـــــــتَ الآن للصـــــــدرِ المنـــــارْ
حـــــامـــــلاً للروح أضـــــواءَ الخلـودْ ؟

✡✡✡✡✡

أهبطـــــــتَ الآن كي تكشـــــــفَ مِنّي
كـــلَّ مـــا اســـتـــودعـــه الرحـــمنُ خلقـــهْ
كَـــمَـــنَ الســـــرُّ بـأفـــــلاكٍ ودُجْـــــنِ
والليـــــالى ســـوف تُبـــدي لك حَـــقَّـــهْ

✡✡✡✡✡

يـــــا خـــفيَّ الســـرِّ، يا لغـــزَ الوجـــودْ
أوَ مـــا تســـــفـــر للطاويـــــن ليـــلا ؟
أوَ مَـــــا تلمع في الأفـــقِ البـــعـــيـــدْ
كـــشـــــعـــــاع الأمـــلِ الحـــــلوِ أطلاً ؟

✡✡✡✡✡

أوَ هل جـئتَ تـــــرى المســـــتـــقـــبـــلا
لفـــــؤاد المســـــتـــهـــام الضـــجـــرِ ؟
أم تـــــرى أنك فـــجـــــرٌ أقـــبـــــــلا
لـنـهـــــــــارٍ مـــــــا لـه من آخـــــــرِ ؟!

✡✡✡✡✡

أيهـــــا الضـوءُ لقـــد أشـــــعلتَ قلبي
وأثـــــرتَ الروحَ من غـــيـــــر ســـببْ
وبَـعـــــــثـــــــتَ الآن أرواحًـــا تـلبِّـــــي
أتـــــرى أبدعـــتـــهـــــا إذ تنسكبْ ؟!

✡✡✡✡✡

إنهـــا تقـــتـــرب الســـــاعـــة مِنّـــــي
آهٍ ! مـــا أســـــعـــدني إذ تقـــتـــــربْ
ربمـــا تقـــفـــز للدغـــل تـغنّـــــي
فـى ســـــرورٍ وحـنـــــــانِ وطـــــربْ

✲✲✲✲✲

آهِ ! لـو تـأتيـــن لـي كلّ مـــــســـــــاءِ
يـــا خـيـــالاتي وأشـبـاحي الخـفـوقـةْ
نـهـــجـــر الناس بعـــيـــدًا في العـــراءِ
حـيـــث ألقـــاك بأحـلامي الرقـيـقـةْ !

✲✲✲✲✲

أرجـــــعي السـلـمَ لـروحـي والـغـــرامْ
إنّ روحـــى آدهـــــا فـــرطُ اصطبـــارِ
واهـبطى كـــالـطلِّ فـي جـــوف الظـلامْ
بعـد قـيـــظٍ مـحـرقٍ طـــولَ النهـارِ

✲✲✲✲✲

أقـــبلـي بل لـن تجـــيـئي ! إننـــي
أبصـــر - الآن ضـــبـابًا في حـدادِ
مـسـتـفـيـضًـا يغـمـر النورَ السَّـــني
فـــإذا الكون ســـوادٌ في ســـوادِ

✱✱✱✱

# المســـاء(*)

أقبل المساء وهمدت الأصوات
وأنا جالس على الصخور الجرد أتابع بنظري مركبة الليل
وهي تتقدم في معمى الفضاء

☆☆☆☆☆

ثم لاحت الزهرة في حاشية الأفق
وأرسل النجم العاشق على الأرض ضوءه الخفي
فشعشع تحت قدمي خضرة الروض

☆☆☆☆☆

ومن دوحة الزان ذات الورق الفينان واللون الأحوى
أسمع اختلاج الأغصان
كما يسمع خفقان الأشباح بين أجداث الموتى

☆☆☆☆☆

وعلى حين فجأة انفصل من كوكب الليل شعاع
تسلل إلى جبهتي الساهمة، ومس في لين عيني الحالمة

☆☆☆☆☆

(*) ترجمة أحمد حسن الزيات، ونشرها أولاً في الرسالة العدد (٨٢) في (٢٨ يناير ١٩٣٥) (من السنة الثالثة) ص (١٥٨) وما بعدها، كما نشرها في كتابه : من الأدب الفرنسي والذي ظهرت منه طبعة بعنوان (ضوء القمر) ص (١٩٠) وما بعدها، يتصدرها : (قال لامرتين : «كنت منذ شهور قد فقدت ينبوع الحماسة والحب فذهبت أقبر نفسي في ظلام العزلة عند أحد أعمامي في قصر (أروسي) لدى تلك الجبال الموحشة الشجراء من أعالي بورجونيا، وهناك نظمت هذه الأبيات في تلك الغابات التي تحيط بذلك القصر»).

أيهذا الانعكاس اللطيف للسكرة الملتهبة ! ..

أيها الشعاع الباهر ماذا تبتغي مني؟..

أجئت تحمل إلى أحشائي المضطربة

قبس النور إلى نفسي وعيني؟..

✱✱✱✱

# المســـاء (*)

المساء مجلبة للهدوء والسكينة
فكنت آنس بوحشته وأفزع إليه في همومي وأشجاني
ملتمسًا مقعدي فوق الصخور الجرد
وأنا أتتبع في أرجاء السماء
مركبة الليل تتقدم ببهائها وجمالها
لقد بزغت آلهة الجمال في الأفق
وتحت قدمي الكوكب العاشق يتطلع إليها بشغف وهيام
وقد لمع ضياؤها البهي في الفضاء
فبيَّض على الغبراء، بساط العشب الأخضر
وكنت أراعي شجر الزان ذا الورق الأكمد الداكن
وأسمع حفيفه، والرعدة التي تتمشى بين أغصانه
فيخيل إليَّ، أني محاط بأجداث عدة
قد رفرفت حولها أرواح الموتى، وأشباح الدُفناء
فانفصل من السماء فجأة، شعاع من كوكب الدجى
منسلاً على جبيني المغضَّن
حتى مس عيني بلينه ولُدونته
أيها الشعاع الزاهي، لأنت انعكاس فتان لنور الكرة الملتهبة
فماذا تبغي من مجيئك إليَّ ؟
أأتيت لترفِّه عني بعض ما بي ؟

(*) ترجمها جورجي نيقولاوس، ونشرت في المقتطف بالجزء الأول من المجلد السادس والثمانين (أول يناير ١٩٣٥) ص ٩٨ وما بعدها.

أم لتدخل إلى قلبي المهدوم نور نفسي المتلألئ؟
أنزلت من عل، لتكشف لي سر الحياة الخفي
وتبدي ما استتر من أمور ذلك الكوكب
الذي يعيدك إليه أول خيط من خيوط الفجر ؟
أو أن إرادة مضمرة أرسلتك إلى صرعى الشقاء
لتنير دياجير قلوبهم، كما ينيرها شعاع الأمل ؟
أو هل أتيت لترفع حجب الخفاء عن المستقبل المكنون
فتنفس عن القلوب الكليمة التعبة، التي تبتهل إليه وتضرع ؟ ..
أنشدك الله أن تخبرني، أيها الشعاع السماوي
هل أنت فجر اليوم الذي ليس له انتهاء ؟
إن فؤادي يتأجج تحت أضوائك
ومشاعري تفيض من جوانب نفسي
فأفكر والأسى يقطع نياط مهجتي
بالذين رحلوا دون عودة
فهل أنت أيها النور الهادىء رسولهم إليّ؟
أو روحهم السارية أقبلت تعطف عليّ ؟
ما يدريني، قد تكون أرواح الأموات السعيدة عادت إلى الأرض
بعدما هزَّها الشوق إلى من خلفتهم فيها
فتنزلق على أديمها متغلغلة بين الأدغال
ومتجلببة بصورها الأصلية
فيخامرني بقربها مني
هناء يأسر لبي ويستولي على مشاعري
لئن كنت أنت أيتها الأشباح المحبوبة
فعودي كل ليلة، لتنضمّي إليّ في تأملاتي وأحلامي
بعيدًا عن كل بشر
وبمعزل عن كل جلبة وضوضاء

ارجعي الطمأنينة والحب إلى أحضان نفسي المتعبة
وكوني لها بردًا وسلامًا
كما تكون للأرض، نقطة الندى الليلية
التي تسقط بعد حمارّة النهار، ولواذع نيرانه.
هلمي إليَّ .. ولكن ما هذا ؟ ..
غبرة داجنة، وبخار أسود داكن
يتصاعد من حوافي الأفق وأطراف الفضاء
بشكل مرعب مريع
فيحجب ذلك الشعاع الدرّي اللطيف
ويعاود الظلام الأرض والسماء
ويتلاشى كل مرئي في غياهب الحلك
كما تتلاشى الحياة في مهاوي الزمن
أهبطت من السماء لتفضي إليَّ بسر العالم
وتلقي على دفائن هذا الكوكب الذي يعيدك النهار إليه ؟..
هل أرسلتك عناية خفية إلى البؤساء
لتضيء قلوبهم بنور الرجاء ؟..
هل هبطت لتبدد الظلام عن وجه الغد
لتلك القلوب الكسيرة التي تضرع إليه ؟..
أيها الشعاع الإلهي ! ..
أأنت فجر ذلك اليوم الذي لا انقضاء له ؟..

إن قلبي يشتغل في ضوئك
وشعوري يتملكه مرح مجهول
وفكري منصرف إلى أولئك الذين ضحا ظلهم[1] في الحياة

(١) ضحا ظله : مات من قولهم شجرة ضاحية الظل : أي لا ظل لها. (المترجم).

فهل أنت أيها الضوء اللألاء، أرواح أولئك الأحباء ؟..

✡✡✡✡✡

أنا أشعر بأني أقرب ما أكون إليهم !
فلعل أرواحهم السعيدة، قد لبست صورهم البعيدة
ثم عادت تطوف بهذه الربوع
وتجوس خلال هذه الغيضة

✡✡✡✡✡

فإذا كنت أيتها الأشعة أشباح الأحبة
فعودي إليَّ في كل مساء، بعيدة عن الغوغاء والضوضاء
لتمتزجي بأفكاري وأحلامي
وتنيري ظلام لياليَّ وأيامي
أعيدي السلام إلى صدري المضطرب
والحب إلى قلبي الملتهب
واسقطي على كبدي كما تسقط أنداء الليل
على قيظ النهار ولفح الهاجرة

✡✡✡✡✡

تعالي إليَّ وأقبلي عليَّ !...
ولكن أبخرة محزنة تصاعدت من جنبات الأفق
فحجبت ذلك الشعاع اللطيف
ثم غابت هي وهو في ظلام كثيف !

✱✱✱✱

# اليــأس (*)

أيتها القوة الإلهية، هذا هو الشر قد ساد في مملكتك
هذا هو السوء صعد ذروة دولتك
خلق كل ذي فكر، وكل ذي نفس
لأن يلتهمه الألم، ويظفر به العذاب
بل إن الأرض والسماء والروح والمادة كل يتألم ويتنهد.
هذا صوت الطبيعة لا يخرج إلا نفسًا صاعدًا متراجعًا مستطيلاً
إذن فارفعوا أبصاركم إلى أقطار السماء
ودوروا بعيونكم في آفاق الزرقاء
والتمسوا الله في صنعه،
واستصرخوا من آلامكم وأوجاعكم ذلك المعزّي العظيم
بأيِّ اسم نسميك أيتها القوة الأبدية؟
وبأيِّ لقب نلقبك؟
أنت التي نسميك القدر والطبيعة والعناية والقانون البعيد عن متناول الذهن
العظيم على ملمس العقل
أنت التي نرتجف في يدك ونرتعد في قبضتك
أنت التي ننشق عليك ونتمرد
نخافك ثائرين، ونحبك راضين وغير راضين
أنت أبدًا أمامنا؛ أنت أبدًا أنت

---

(*) لم يذكر اسم المترجم على هذه الترجمة المنشورة في السياسة الأسبوعية بالعدد (١٧١) من السنة الرابعة (١٥ يوليو ١٩٢٩) ووردت بالهامش إشارة إلى أن النص مترجم عن مجموعة التأملات Méditations وأيضًا جملة: «اضطررنا أن نحذف من القصيدة كثيرًا من الآراء الداعية للكفر والإلحاد»!
méditation Clixiéme collection mené Vaubourdolle.

أية جريمة ارتكبنا حتى استحققنا الحياة، واستوجبنا الوجود؟
هل طلب العدم الظهور، أم هل رضي بالخروج؟!
إذن فابعثوا صوب السماء ببخورها الذي تحب
وانفذوا إلى الأعالي التي تستطيب، بتنهداتكم
وأناتكم وعبراتكم، وسخطاتكم، وإلحاداتكم
وأنت أيها الأصوات المتهدجة المحتبسة الدامية،
وأنت أصوات الموتى، وأجراس الهلكى، وصرخات المرضى، ورنات الثكلى
اصعدي فاطرقي تلك الأبواب المقفلة،
ودقي منافذ قصر الأقدار، ومغاليق مداخله.
ألا فارفعي أيتها الأرض صراخك، وأنت يا سماء رددي،
ويا أيتها الهاويات الدامسة[1] أيها الإقليم الأسود المظلم،
حيث يركم الموت فرائسه،
لا تخرجي من أعماقك إلا أنة واحدة، شكاة أبدية،
تكون شهيدًا على تهمة الطبيعة؛ وظلم الأقدار،
بل إن الحزن ليجعل الخليقة تبث الطبيعة صوتًا منتحبًا مجهشًا.

✱✱✱✱

(١) هي القبور.

# اليــأس(*)

عندما صدرت الكلمة الخصبة من الخالق
في ساعة التقدير، خلق العالم من بذور خالية
ومن صنعه الذي لم يكتمل أحاد وجهه
وبركلة احتقار قذف به إلى الفضاء
ثم عاد إلى ملكوته.
وقال: اذهب لقد أسلمتك إلى بؤسك الخاص
أنت غير جدير البتة بنظرات حب مني أو غضب
لست شيئًا مذكورًا أمامي:
طف كما تشاء الصدفة في مجاهل الفضاء
وليس بعيدًا عني مطلقًا، سيكون القدر قائدك
والبؤس مليكك!

☆☆☆☆☆

يقول، كنسر يحلق فوق فريسته،
البؤس في هذه الكلمات ويدفع في سيما سرور
زفرة طويلة،
ويضغط العالم بقبضته القاهرة

(*) ترجمة محمد أسعد ولاية في «مختارات» ص٣٥ وما بعدها، يتصدرها «إن استهلال تسمية هذه القصيدة يشير إلى التعاسة، وهي تشتمل على أبيات جميلة للغاية أنشأها لامرتين في مطلع يأس وتمرد، كما تكون أحيانًا القلوب الأكثر انقباضًا والنفوس الأكثر تقى، ولقد اعترف الشاعر على الفور بعد أن أنشأها أنها كانت (تتراوح من طرف لآخر) ولم يتحدث إلا عن الفناء، ولقد حفظها إلا أنه طبعها فيما بعد، بعد أن أضاف إليها جبهة مضادة».

لشرابها السام:
إنها هي التي تدفع خطواتنا إلى المهالك
وتكلل الضحايا أكاليل وأزهارًا
حيث تسلمها إلى الشقاء

✲✲✲✲✲

لو كانت على الأقل تقتل الناس عرضًا
أو لو كانت تسقط يدها على الجميع كيف كنا
مع شرائع متماثلة !
ولكن الأجيال رأت الأرواح المتصفة بالشهامة
الجمال، والعبقرية، أو الفضيلة السامية
ضحايا باختيارها
وكذلك عندما يريد أرباب الدم التضحية
تنفرج في الطليعة قطعان الأبرياء
وفي هياكلها القاسية
مئات مختارة من الأثوار يكون بها هيكل المذبح
والمسن بدون خطيئة أو الورقاء البيضاء
تتخم مذابحها.

✲✲✲✲✲

أيها الخالق القادر على كل شيء، ويا مبدئ كل كائن
أنت لوجود الإمكان قبل الخليقة
ملك العظمة
كنت تستطيع إذن طبقًا لمشيئتك
أن تقدر لعبادك السعادة والحياة
في ملكك الأزلي!

ويحتضن للأبد بدائه الأزلي
عنصر الأزل
الألم منذ حكم في ملكه الشاسع
ومن ذلك الحين كل من يفكر وكل من يتنفس
بدأ يقاسي
والأرض، والسماء، والروح، والمادة
جميعها تتحسر، وصوت الطبيعة بأسرها
لم يكن سوى أنين طويل!

✲✲✲✲✲

ارفع نظراتك إذن نحو ملكوت السماء
وابحث عن الله في صنعه، واستعن في متاعبك
بهذا العظيم مسري الكروب
أيها التعس! إن طيبة من صنعه غائبة،
إن كنت تبحث عن دعامتك؟ فإن العالم
يقدم لك مضطهدك؟
بماذا تسمين أيتها السلطة المحتمة؟
أتسمين القدر، الطبيعة، العناية الإلهية
الشريعة التي لا يدركها عقل إنسان
فسواء يرتجف بين يديك، أو يجحد بك
يخضع لك أو يتمرد عليك، يخشى منك أو يحب
فأنت دائمًا أنت على الدوام!
يا حسرتا! كذلك أنت الذي أستعين بك على الأمل
إن روحي المسيئة هدف مع الارتياح
انطلقت من يدك كصنع مرسوم،

فماذا رأيت والحالة هذه
في فوضى الشقاء؟ سادت المادة
جميع الطبيعة البشرية المتحسرة، وأسفاه وجميع الحياة
تحسد العدم!

☆☆☆☆☆

إن ثمة عناصر مضادة للصراع الأزليّ،
الزمن، الذي يذبل كل شيء يجلس فوق الأنقاض
التي تراكمها يداه،
منتظرًا على العتبة أحداثك المتقلبة،
والموت يخنق من أحضان الأمهات،
الناشئين من بني الإنسان!
الفضيلة الساقطة تحت الجرأة بلا قصاص
والغدر في الشرف، والحقيقة الطريدة
والحرية الضالة
قدمت كضحية للقياصر الأحياء في العالم
والقوة المؤسسة على الظلم على العموم
والحكم المطلق!

☆☆☆☆☆

المادة بدون القياصر مصممة على الحروب!
إن «كانون»[1] الذي كان ما يزال حرًا مزق أحشاءه
فوق إيمان «بلاتون»
دون أن ينضب معينك قط، على جميع الطبيعة

(١) كانون: لقد انتحر في أونيك لكيلا يقع بين يدي قيصر (المترجم).

كنت تستطيع في موجات طويلة أن تغدق بلا قياس
سعادة مطلقة.
الفضاء، القدرة، الوقت لا تكلفك شيئًا
آه! يا عقلي الراجف! إنك كنت بلا ريب تستطيع
ولكنك لم ترد.

☆☆☆☆☆

أية جريمة اقترفناها لنستحق أن نولد؟
هل طلب العدم الذي لا يحس أن يكون ذلك،
أم هل قَبِل؟
هل نحن صدفة، صنع رغباتك؟
أم بالحري، كان يجب عذابنا
لهنائك؟
يا صراخ الدم، ويا أصوات الأموات، ويا شكاوى لا يخبو سعيرها
اصعدي
أيتها الأرض ارفعي صوتك، ويا سماوات جاوبي، أيها الخراب
وأيها المقام الأسود حيث يكدس الموت ضحاياه،
إنكما لا تشكلان سوى حسرة!
إن شكوى أزلية تتهم الطبيعة
وإن الألم يمنح جميع الخليقة
صوتًا للأنين!
منذ اليوم الذي اقتلعت الطبيعة فيه من العدم
و«بروتوس»[1] الذي مات لأجل الفضيلة التي يحبها
شك في آخر لحظة في هذه الفضيلة نفسها

(١) بروتوس: مات في ميدان حرب «فيليب» وكانت آخر كلماته ليست الفضيلة سوى كلمة تقال (المترجم).

وقال: إنك لست إلا اسمًا!

✡✡✡✡✡

الثراء دائمًا من زمرة الجرائم الكبرى،
والفواحش المتوجة أصبحت مشروعة
الجاه بثمن الدم،
والأبناء يرثون البغي عن الآباء
والقرن الذي يبيد يروي الشقاء
للقرن الجديد!

✡✡✡✡✡

يا أسفي ماذا! غير الآلام والجرائم والعذاب،
ألم تنشر تضحيات كافية
مذابحك المحزنة؟
هذه الشمس، شاهد قديم لبؤس الأرض
ألا تنشىء مقامًا واحدًا لا تضيء فيه
غصة الأموات؟
يا ورثة الآلام، ويا ضحايا الحياة
لا، لا، لا تؤملوا أن يرقد الشقاء
داؤه المشبع.
إلى أن يفتح الميت جناحه الذي لا حد له
ينغمس إلى ما شاء الله في سكون الأزل
الألم الأزليّ!

✱✱✱✱

# الذكـــرى (*)

عَبثًا تتعاقب الأيام، وتَهْوِي على مَزْلَقَة الزمن
دون أن تترك أثرًا، فلا شيء يمحو من قلبى
آخر حلْم من حبي وغرامي
أرى سِنِيَّ حياتي الرَكُوضْ تتجمع ورائي متَرَاصَّة
كما تتراكم أوراق البَلُّوطة الذابلة حول جِذْعها.
لقد بَيَّض الزمن مفرِقي، وأثلج دَمِي
الذي يَدِبُّ ببطءٍ في عروقي
فأشبهتُ مياه الغَدير السارية
التي تَعْقِلها رياح الجنوب الباردة
ولكن صورتك الفَتِيَّة الساحرة
التى تُزهيها الحَسْرَة واللَّهْفُ، مَصُونة في أعماق فؤادي

(*) ترجمة نصيف جورجي نيقولاس، ونشرها في «المقتطف» بالجزء الرابع من المجلد الخامس والسبعين (أول نوفمبر سنة ١٩٢٩) ص٣٩٧ وما بعدها، يتصدرها: «الأحزان العميقة مَبْعَثها الفؤاد، ومكمنها الحشا، فهى لا تستدرُّ الدموع، بل تستقطر دماء القلوب، وهي صامتة غير صَخَّابة، فإذا ما أَنَّت نفس المرء العادي وتأوَّهت، خرجت على فمه زَفْرة، تَقَطَّع لها نياط الفؤاد، وشِغاف القلب، وتلاشت على شفتيه دون أن يشعر بها أحد. أما الشاعر، فأنةُ نفسه، لهيب عواطفه المحترقة، يصعد على مَتْن الشعر، فيعبر بأزيزه عن ألمهِ وجواه، بكلمات تهز العواطف، وتستثير الشجون، حتى تستعبر منها كل عين، ويدمى لها كل فؤاد.
وكان لامرتين إذا غنى على قيثارة ألمهِ نشيد روحه المحتضرة، هَيَّج مكامن الشجون في النفوس، ورفع هذه من مستقرها الأرضي، الذي ألصقها به شطرها المادي، إلى مستواها العلوي، تاركًا الجسد متخبطًا في ديناميس تألمِه وديناجير إيجاعه.
وهذه القصيدة، نَفْثة من نفثات صدره الكليم، لفظتها نَفْسُه بعد فقد حبيبتهِ التي شغف بها في مدينة أكس. فقد لبث سبعة شهور هائمًا على وجههِ، لا يستقر بهِ النوى، ولا يحيط قلبه إلاَّ بصورة تلك الراحلة العزيزة، حتى إذا ألِف حزنه، وألقى الزمن سِتر الكآبة على ألم نفسه، مُلَطفًا من شدتهِ، مخففًا من حدّته، طفق يرسل شعور روحه وإحساسها، إلى خيال عشيقته، الماثل دائمًا لتصوراته، نجوى وحنينا، هما زفير النفس وتأوُّهها».

لن يمَسَّها كِبرٌ، ولن تتطرّق إليها شيخوخة
فهي كالرّوح لا يُحدُّ لها عمر
كلا إنك لم تَنْأي عن عيني
ولما تَطَلَّبَكِ طَرْفي الحائر، ولم يجدكِ على الأرض
تطلعتُ فجأةً إلى السماء فألفيتك فيها
هنالك بدوتِ لي، كما كنتِ في آخر أيامكِ
بدوت لي زاهرةً زاهيةً، عندما كنت تتحفَّزين إلى الطيران
على مَتْن الفجر إلى مَقرك الأزليّ
لقد تَبِعك جمالك النقي المُسْبي في رحلتك الأخيرة
فكنتِ ساحرة على الأرض، فتانة في السماء
وعيناك اللتان انطفأ فيهما نور الحياة
كانتا تشعان بأضواء الخلود
إني لأذكركِ وقد أطارت أنفاس النسيم المحِبَّة، خُصَلَ شعرك الطويلة
فتلاعَبَت بها ما شاءَت، ثم حطتها على صدرك العاجي
ضفائر متموجّة سوداء، وجدائل أبنوسية لمّاعة
وظِلال ذلك السِتْر المُبْهَم، تُحْلِي صورتك في فؤادي، كما يحلو الفجر المُنْبَثِق
عندما يُطلق من أسْدَال الصبح الأخيرة
إن أشعة الشمس السماوية
تُقْبل مع النهار، وتُدْبِر إذا وَلَّى
ولكن حبي ليس له ليل، ولا يعتريه أفُول
أنتِ دائمًا تُنيرين نفسي، وتُضيئين رُوْحي
فأنتِ التي أراكِ وأسمعك
سواء أكان في الفلاة أو السحاب
فمياه الجداول الصافية، تعكس لي صورتك
وأذين النسيم يحمل إليّ صوتكِ

إذا غَفَتِ الأرض، وطرق مِسْمعَي تأوهات الريح
تبادر إلى ذهني، أني أسمعكِ تُسرِّين في أذني، كلماتك العَذْبَة المقدسة.
كلما تأملت في تلك الشُهُب
المنتثَرة المُوَشّية ليلاً وجه السماء
ظننتُ أني أراك في كل نَجم يَحْسُن في عيني
وإذا ما أسكرني هبوب الهواء، الحامل أرِيْجَ الأزهار
يخيّل إليَّ، أني أستنشق أنفاسك المُعَطّرة، في أطيب عَبِيرٍ يصل إليّ.
إن يدك هي التي تكفكف دموعي.
إذا ما استعْبرت عيناي،
والتجأتُ فريدًا حزينًا، إلى الهياكل المعزية لأرفع صلواتي
وإذا ما غفا طَرْفي سهرت في الخفاء، وظللتِني بجناحَيك
مسندة بهما إليَّ، لتدفعي عني عاديات الأذى
حتى إذا سرت إلى رأسي أحلام، تطرَّقَتْ إليَّ منكِ
فتكون لذيذة جميلة، كنظَرَات الأشباح، أو تطلعات الظلال.
إذا ما ران الكَرى على جفني
وحَللت بيدك لحُمة أيامي
أطير إليكِ لأصحو بين أحضانك
فأنضمُّ إلى شَطْر رُوحي السماويّ، دوَن فرْقة ولا بِعاد.
فإذا ما اتَّحد روحانا، كأنهما ضوءان من ضياء الفجر
أو تنهدان قد تمازجا، حَظيتُ بِلُقياك في دار الخُلد
حيث الراحة الأبدية، والهناء السرمدي
ولكن أنَّى لي أن أفوز بأمِنيتي العاجلة
وعيني لم تزل تَطرِف، وفمي يَتنسَّم الحياة.

✱✱✱✱

# ذكـــرى (*)

عبثًا يتعاقب الجديدان،
فلن يتركا أثرًا في حسِّي،
ولن يمحوا صورتك من نفسي
يا آخر حلم رآه الوجدان

☆☆☆☆☆☆

إنى أرى أعوامى السريعة
تتراكم من ورائي هاوية،
كما ترى السنديانة الرفيعة
أوراقها من حولها ذاوية...
جمتي(١) شيبتها السنون الجاهدة،
ودمي أبردته فلا يكاد يجري،
كأن هذه الموجة الهامدة،
لفحتها ريح الجنوب فلا تسري
ولكن صورتك الوضيئة الحبيبة،
تلك التي يزيدها أسفي جمالا

(*) ترجمة أحمد حسن الزيات في الرسالة، العدد (٨٠) من السنة الثالثة (١٤ يناير ١٩٣٥) ص (٧١)، وما بعدها ثم ظهرت ضمن «في الأدب الفرنسي» الذي ظهر بعد ذلك تحت عنوان «في ضوء القمر» ص(٧١) وما بعدها يتصدرها: «كان لامرتين قد حبس نفسه شهورًا طويلة في شبه ناووس مع صورة من عبدها ثم فقدها ثم «ألف الحزن والألم» وخرج من الفناء الذي ألقاه فيه موت جوليا حبيبته، وراح «يتحدث بالمناجيات والصلوات والأدعية والشعر إلى شبحها الذي لا ينفك ماثلاً في خاطره». وهذه القصيدة قد نظمها في ربيع ١٨١٩، «على مقعد من الصخر حول ينبوع متجمد في الغابات التي تكتنف قصر عمه في (أروسى)».

(١) الجمة: مجتمع شعر الرأس.

لا تدركها في قلبي الشيخوخة الكئيبة،
لأنها كالنفس لا تعرف عمرًا ولا زوالا

✡✡✡✡✡

كلاّ، إنك لم تزايلي بصري،
فإذا حيل بين عيني وبين رؤيتك،
انقطع من هذه الأرض خبري
واتصل نظري في السماء بصورتك

✡✡✡✡✡

وهناك تبدين لي في السماء
كما كنت في يومك الأخير،
حين طرت إلى مقامك الوضاء
مع الصباح المشرق النضير

✡✡✡✡✡

جمالك النقي المؤثر يا حبيبتاه،
يتبعك حتى في ذلك الوجود،
وعيناك اللتان تنطفئ فيهما الحياة،
تشعان ثانية بنور الخلود
وأنفاس النسيم الهائمة،
تحرك أيضًا شعرك الطويل،
وخصله المتموجة الفاحمة،
تعود فتسقط على صدرك الجميل[1]

✡✡✡✡✡

وظل هذا النقاب الحائر،
يحلي وجهك الوضاح،

---

(١) انظر قصة «رفائيل» الفصل العاشر، والفصل الثالث عشر (المترجم).

كأنما سدول الظلام الآخر،
تنحسر عن محيا الصباح

✡✡✡✡✡

إن اللهب السماويّ لهذه الشمس،
يجيء ويذهب مع الأيام،
وأنت تشرقين دائمًا في النفس،
فحبي لا يعرف البرد ولا الظلام،

✡✡✡✡✡

أنت التي أسمعها في الصحراء،
وأنت التي أبصرها في السحاب والماء،
فالموج يعكس صورتك في عيني،
والنسيم يحمل أصواتك إليَّ...

✡✡✡✡✡

وإذا خشعت الأصوات ونام الليل،
وسمعت حينئذٍ همس الهواء،
حسبتني أسمعك تغمغمين في أذني
بكلماتك المقدسة العذاب

✡✡✡✡✡

وإذا ما أعجبت بهذه المصابيح المنتثرة
التي ترصع رداء الليل الساكن،
حسبتني أراك في كل نجمة مزدهرة،
تسترعي بصري بلألائها الفاتن..

✡✡✡✡✡

وإذا ما هب النسيم على الزهور،
فأسكر النفس بنفحات العطور،

كانت نفحتك هي الطيب الذي أنشقه،
فيما يبثه هذا النسيم ويطلقه

✲✲✲✲✲

إن يدك هي التي تجفف دموعي
حين أذهب في حزن وبكاء
لأؤدي في السر صلاتي وخشوعي
في محارب الدعاء والعزاء

✲✲✲✲✲

وإذا نمت سهرت على سهر الخائف،
وبسطت جناحيك على آلامي،
وأوحيت إليّ بجميع أحلامي
وديعة كنظرات الخيال الطائف

✲✲✲✲✲

وإذا قطعت يداك أثناء منامي
مجرى حياتي وأسباب أيامي
فسأصحو - يا نصف روحي العلوي -
بين حضنك الحنون القدسي

✲✲✲✲✲

ثم تصبح نفسانا نفسًا واحدةً،
كشعاعين متحدين من أشعة الفجر،
أو نفسين ممتزجين من الأنفاس الصاعدة،
ولكني لا أزال أردد أنفاس العمر!

✱✱✱✱

## الصـــلاة(*)

أراقب نومَ الشـــمس في خـــدر مـــجـــدها
مـــتى هبطت تخـــتـــال من أُفقِ النصـــرِ
ويحـــجـــبـــهـــا عنَّـــا الغـــمـــامُ بظله
وتبـــقى خطوطٌ في الســـمـــاء من التـــبـــر
ويمتـــد فـــيض الانعكـــاس بحـــمـــرةٍ
كـــقـنديـــل إبريـــزٍ تعلّق بالســـتـــر
إلى أن تهـــادى البـــدر في الكون مـــرسِـــلاً
شـــعـاعًـا ضـعـيـفًـا فـوق أبسِـــطةٍ خـضْـر
وقـــد بسط الليلُ الحـــجـــابَ على الذرى
وحـان اجـتـمـــاعٌ للنقـيـضين في يسـر
فـــفـــي لحظةٍ يســـتـــفـــتح الليلَ دوره
وتذهب أطيـــافُ النهـــار إلى الخـــدر
كـــأنـــي بأحـــداثِ الطبـــيـــعـــة قـد عَنَتْ
إلى خـــالق الأحـــداث ذي النهْي والأمـر
وأَفْـــضَتْ بلفظٍ ثاقبٍ باسْـــمِ خلقـــه
عظيـــمَ خـــضـــوعٍ ردَّدته مع الشكر
وهـــذي بلا ريـــبٍ تمثل صـــورةً
لتـــضـــحـــيـــةٍ عظمى تلوح لمن يـــدْري !
فـعـالـمُنـا في واقـــع الأمـر مـعـبـدٌ
وهيـــكلُه في الأرض يبـدو لذي خُـــبْـــر

(*) ترجمة محمد أسعد ولاية في مختارات ص (٤٤) وما بعدها، يتصدرها: «أنشئت هذه القصيدة في سافوا في الجبال التي تشرف على شامبيري في شهر أغسطس عام ١٨١٩ ولقد سمّاها « لامرتين» نفسه: «تسبيح لعبادة عقلية». (المترجم).

وقـد خـيَّـمت فـيـه السـمـاءُ كـقـبـةٍ
عليـهـا زرافـات من الأنجـم الزُهْر
ومـا هـذه النيـرانُ يحـجب نصـفـهـا
وشـاحُ ظلال كـالمصـابيـح في النهـر
وتبـدو مـوشـاةً بأبـدع صـورةٍ
على القـبـة الزرقـاء كـالزرع والبـذر
سـوى مـوكب فـيـه المشـاعلُ أَشـرقت
قـداسـتـهـا في مـعـبـد الأرض إذ تجـري
وهـذي غـيـومٌ صـافـيـاتٌ تميـزت
بقـربِ زوال اليـومِ في حللٍ حُـمْـر
وحـيـن تبـث الشـمسُ نفـثـةَ مـصـبحٍ
رقـيـقـة أنفـاسٍ على مطْلع الفـجـر
وترسـلهـا عـبـر الهـواء وتنثـني
وتبـدو حـواشـي الكونِ حـمـراء كـالجـمـر
فـمـا ذلك الإشـعـاع إلاّ كـمـوقـدٍ
يثـيـر بخـورًا إذ تماوج في قـدر
وقـد صَـعَـدت مـوجـاته وتبـخـرت
إلى عـرش مـعـبـودِ الطبـيـعـة ذي الخطر
ولكـنْ، ألاَ صـوتٌ يذاع بمعـبـدٍ
وأيـن ترانيـم القـداسـة والطهـر
ومَنْ يـرفعُ التـسـبـيـح للخـالق الذي
له الكـون يعنـو بالجـلال وبالذِّكْـر
يضـايقنـي صـمـتٌ تفـاقم أمـرُه
من الخلق ملحـوظًـا، ومـا زال يسـتـشـري

أرى أنَّ قلبـــي وحـــده مـــتـــجـــاوبٌ
أراه قـــؤولاً في الســـــكوت الذي يزري
وهذا ذكـــائي منحـــةٌ قـد منحـــتـــهـــا
فكـــان كـصـــوتٍ للخليـــفـة في دهري
وأرْفـعـــه فـــوق الشـــعـــاعِ عـشـــيـةً
فـيـــرْقَى عـــلى مـتْن الهـواء، على أمـر
ويَصْـــعـد للمـولى كـعطـــرٍ مـعـبّـرٍ
ويفـضـــي بشـــعـري للخليـقـة أو نثـري
يكـــرِّسُ روحـــي للعـــبـــادة ذاكـــرًا
عطـــايـــا إلهٍ في الطبـيـــعـــة والبـــر
ويبـــدو وحـــيـــدًا راجـــيًـــا منه نظرةً
تفـيـــض حنانًا، وافـتـــداءً من الضـيـر
مـــلأتُ الصـــحـــارى باســـمـــه جلَّ شـــأنه
ومن فـيـضـه الســـــامي يجلُّ عن الحـصـر
فـــلا عـــدَّ يحـــصـــيـــه فـيـدرك شـــأوه
وقـد سَـــمِعَتْ أفـلاكُـه الحـمـدَ من شـــعـري
كـمـــا ســـمـعت عـقلي يُسَـــبِّح باسـمـه
بكل خـشـــوعٍ دافق النبـــع من صـــدري

☆☆☆☆☆

تبـــارك اللـه، منـه الكـــون قـــد بدأت
أيامـــــه ثم منـــه منتـهـــى العـمـــر(*)
يـــا من بنظرته يمســـي الفـضـــاء وقـــد
أصـــابه الخـــصـــب من زرع ومن زهر
يـــا روح عـــالمنا قـــدمًـــا وخـــالقنـــا
إنـــي لأؤمـــن في ســـري وفي جـهـري

(*) هذا البيت والتسعة التي تليه من البسيط، بينما القصيدة من الطويل.

إيمان مـــقـــتنـــع بالمعـــجـــزات ولم
يَعُـــزْهُ قـــول، كـــمـــن يرتاب في حـــذر
إنـــي لأقـــرأ في صـــدر الســـمـــاء مـــتى
خـــلوت، رمـــزًا عظيـــم الشـــأن ذا غـــور
رحب الفـــضـــاء لعـــيني وحي ذي ثقـــة
ينـــم عن قـــدرة عظمى عـــلى الفـــور
الأرض من طيـــبـــة المولى مـــهـــيـــأة
ســـناؤه مـــائـــل في الشـــمس والبـــدر
في صنعـــه الســـاطع المنظور تبـــصـــره
فـــيـــهـــتـــدي للذي أرســـــاه بالحـــجـــر[1]
العـــالم الشـــاســـع الفـــتـــان قـــاطبـــة
يـــرنو لذاتـــك بالتـــقـــديـــس والفـــخـــر
وإن روحـــي لتـــمـــضـــي في تأملهـــا
مـــعـــالم الكـــون من بـــر إلى بحـــر

☆☆☆☆☆

يعـــانـــق تفكيـــري خـــصـــائصَك التـــي
تبـــاين في الأرجـــاء قـــدرًا على قـــدر
تَنُمّ عـــن المعـــبـــود جـــلّ جـــلاله
وتعـــبـــده حـــتـــى التـــأهـــب للقـــبـــر
كـــمـــا أنَّ هذي الشـــمس في أُفق العُـــلا
تشعُّ على الجـــوزاء في لونهـــا الخـــمـــري
وترسل في الأفـــــلاك نظرة نـاســـــكٍ
فـتـغـمـر عـيـنيَّ ارتسـامًـا على ثغـري

قـلـيـــــلٌ إذا قـلـنـــا بـأنَّـك طـيـــــبٌ
جـــمـــيـــلٌ جليـــلٌ، أنت أســـمى بلا نُكْر

(١) الحجر : العقل.

وإنـــــي أُوالي البـــحث عنك منقـــبًـــا
فـــقلبـــيَ تـــواقٌ إليـــك، وذا عـــذري
وروحـــي شـــعـــاعٌ من ضـــيـــاءٍ قـــبـــســـتـــه
ومن نور حـــب الله في اليـــســـر والعـــســـر
وتفنى مـــيـــــول المغـــربات وتنقـــضي
وأُخـــلِصُ للمـــولى، فـــيـــغـــفـــر لـــــي وزري
وتشـــتـــاق روحـــــي للصـــعـــود قـــريرةً
إلى المنبـــع المشـــبـــوب والموقف الوعْـــر
أصـــعِّـــد أنفـــاســـــي وأشـــعـــر دائمًـــا
وأشـــحـــذُ تفكيـــري وبحـــثيَ في الأمـــر
أرى عـــالمًا رحـــــبًـــا وفـــيـــك أحـــبـــه
لعـــينَي شـــفّـــافًـــا وإن غـــام عن غـــيـــري
تَعَـمّـقـت في هـــذي الطبـيـعـة باحـثًـا
فكان اكـتـشـــافًـــا للحـقـيـقـة والســـــر
رأيتُكَ في هـــذي الطبـــيـــعـــةِ مـــبـــدِعًـــا
فـقـدسْـتُ خـــلاَّق الطبـيـعـة والسـحـر
وطاب اعـــتكافي في الصـــحـــارى تقـــربًا
إليك، فـــإنـــــي للتـــقـــرب في أســـــر
مـتى حـرّك الفـجـر البـهـيج وشـاحـه
وأقْـــبل يـــومٌ في خـــضـــابٍ على الأثر
ورصَّـــــع أكـــــام الروابـــــي بـــلؤلؤ
وحـــلّى بـــه الإصـــبـــاح من ذلك الدُّر
فـــإنَّ اعـــتـــقـــادي أنَّ نظرة خـــالقي
تجـــلّت على الدنيـــــا لتـــأْذَن بالنَشْـــر

وحين تكون الشمس في صدر سيرها
معلقةً مثل الرصيعة في الظهر
تفيض على الدنيا الحياة بنورها
وتملؤها دفئًا، فتختال بالبِشْر
شعاعاتها الحَرّى تثير مشاعري
وأشعر يا مولاي بالفضل والخير
وحين يسوق الليل موكب أنجمٍ
على العالم النعسان في نومه المُغري
ويرخي سدولاً قاتماتٍ على الورى
أكون وحيدًا في الصحارى بلا إزر
وروحيَ من عَلْياك يكْثر قربها
فتعبد مولاها على الأنعُم الكثر
أحِسّ شعاعًا قد أنار بصيرتي
وأسمع صوتًا بالتفاؤل لي يسري

نعم أيُّها المولى أنا متفائلٌ
بظل جلالٍ منك يا كاشف الضر
ونعماؤك الغراء في الكون أغدقت
بكل سخاءٍ للبرية كالبحر
ولن تك أيامي القصيرة في الدنا
وقد عُكِّرت بالهم، خاتمة السير
أراك إلهي في الوجود ورحبه
حفيظًا عليه منتجًا عاليَ القدر
ومن يستطع خلق الوجود بقدرة
يهون عليه دك قاطبة القصر

لقـــدرتـــــك العظمى شَـــهِـــدْتُ، تيـــقنًـــا
وطيـبـتـــــك العليـــــا تحـبِّب لي صـــبـري
ســـــأنتظر اليـــــوم الذي قـــد جـــعلتـــه
خـــــلودًا وبعـــثًـــا للبـريـــة في الحـشـــــر
يحـــيـــــط بذاتي الموت في الأرض عـــابثًـــا
ويرخـــــي ظـــلالاً مـــن جـــنائزه الغُـبْـر
ويَـــلْمح عـــقلي مـــن خـــلال ظلامـــهـا
نهـايـــــة ترحـــــال التـقـــرب والبـشـــر
ويســـــــقط إذ ذاك الغـــشـــــاءُ وينجلي
فـيشـــــرق وجـــــهُ الله في المرتـــعِ النَّضْـر
فـيـــــا ربّ عـــجـــل بي إلى خـــيـــر لحظةٍ
أتوق إليـــهـــــا، إنهـــــا منتـــهـــى ذخـري
وإن كـــــنت في مكنـــــــون علمك لم تزل
تؤجلهـــــا، فـاســـــمع تضـــرُّع ذي فـقـر
عنايتـــــك العظمى على الكون خـــيَّـــمت
بمجـتـمـــــع جـــــمٍّ، ومـفـــــرده الـــذّرِي
ويا ربّ غـذِّ الجـســـــم بالخـبـز منعـمًـا
ويـــا رب غـــــذِّ الروح بالبِشْـــــر والصـبـر
ويا رب دَفِّئْ هـــــــذه الـــــروح إنـهـــــا
بظـــل شـــــعوري في احتجاب وفي حصـر
كـــمـــا أنَّ شـــمس اليـــــوم تمتص هاطلاً
مـــــن الظل في صـــــبح تنفَّـــــسَ عن در
ســـــتـمـــتص تفكيـــــري ليـومٍ مـحـددٍ
وفي مـــلكـــوت الله يَشْـــرد بـي فكـري

****

# الصـــلاة(*)

إن ملكة النهار المُنيرة، الغَاربة في مجدها وعليائها
تنحدر بتَمَهُّل من محفَّة غلَبَتها
والسحاب الزاهي الذي يحجبها عن أنظارنا
يحفظ آثارها في السماء أخاديد ذهبية
وقد غمر الفضاء بانعكاس أرجُواني خلاَّب
والقمر المتخطّر في حوافي الأفُق
أشبه بقنديل من عَسْجَد معلق في السماء
وقد غفا ضوءُه السقيم على العُشْب
وانتشر سُدْل الليل على الآكام والأودية
فدنت الساعة التي ترتفع فيها، إلى فاطر الليل والنهار
الطبيعة المسترسلة إلى السكون والتأمل
في الفَتْرة التي ما بين الليل المُقْبِل والنهار المُدْبِر
كأنها تقدم إلى العلِيِّ
فى لغتها البَهِيَّة
احترام الخليقة وإجلالها
ها هي الضَحِيَّة العظيمة الشاملة
فالكون هو المَعبد، والأرض هي الهيكل والسماء القُبَّة
والنجوم التي لا عِداد لها، تلك النيران المُتَلَفِّعة، حِلية الظلام الشاحبة
المنتثرة بترتيب واتساق في القبة الزرقاء

(*) ترجمة جورجي نيقولاوس، ونشرت بالمقتطف بالجزء الثاني من المجلد السادس والسبعين في (أول فبراير ١٩٣٠)، ص (١٥٤) وما بعدها.

هي المشاعل المقدسة الموقودة لهذا المعبد.
وتلك السحب الصافية، التي يلونها النهار المائت
والتي تدفعها في سهول الهواء نسمة خفيفة
منذ تخييم الغسق إلى زر الشفق
والتي تدور كتلاً قرمزية في جوانب الأفُق
هي لججُ البخُور المُتبخرة الصاعدة نحو عرش الله
الذي تعبده الطبيعة جمعاء
ولكن هذا المَعْبَد ليس له صوت يَجْهَرُ بالدعاء
فأين الموسيقى المقدسة؟
ومن أين ترتفع التسابيح إلى ملك الكون؟
فكل شيء ساكت صامت
وقلبي وحده الذي يتكلم في هذا الهدوء الشامل
فصوت العالم هو إدراكي
فأرفعهُ إلى الله على أشعة المساء، وأجنحة الهواء، كأنه عِطْرٌ حيٌّ
يكسب الخليقة كلها، لسانًا للشكر، وبيانًا للحمد
ويُعير روحي إلى الطبيعة لتعبد الخالق، وتقدس له.
وأنا وحدي هنا، أملأ الفضاء باسمه الأزلي
متوسلاً إليه ليُلقي عليَّ نظرة عطف من نظراته الأبوية.
وذلك الذي من أعماق مجده الأزلي
يُصغي إلى نشيد العالم المُسَيَّر بأمره
يستمع أيضًا صوت عقلي الوضيع
الذي يتأمل عظمتهُ وجلاله
ويتمتم باسمه صباح مساء
سلامًا يا مبدأ ونهاية كل شيء
حتى نفسك السرمدية

أنت الذي بنظرة واحدة، تكْسِب اللانهاية الخِصْب والنماء
يا روح الكون، أيها الإله، أيها الأب، أيها الخالق
إني لأؤمن بك تحت كل هذه الأسماء والنعوت
وأقرأ في جهة السماء قانون إيماني المجيد
دون أن أجد حاجة لسماع كلمتك المُبَجَّلة
فالفضاء يُبدي لعيني عظمتك
والأرض تُوحي إليَّ صلاحك
والكواكب تظهر لي عزتك وجلالك
فلقد أنشأت نفسك في صنْع يديك البديع الكامل
فالكون قاطبة يعكس صورتك
وروحي بدورها تعكس الكون بأسره
وفكري الذى يسع خصائصك العديدة، يكتشفك في كل ما حولك
ويَخُرُّ لك ساجدًا
وإذا ما أدام النظر إلى نفسه ألفاك فيها
فهكذا يشرق كوكب النهار في الآفاق، فينعكس نوره على صفحات الماء
ثم يبدو مرتسمًا في عيني
إنهُ لقليل أن يُعْتَقدُ بك
يا ذا الصلاح والبهاء المتناهي
وإني لأبحث عنك في كل مكان وأتوق إليك وأحبك
فروحي شعاع من النور، ولهيب من الوجد
قد انفصل ليومٍ واحد من مَوْقِده الإلهيّ
وهو يتَّقِد رغبةً ويحترق جوًى، ليعود إلى منبعه المضطرم
فإني أستنشق وأشعر وأفكر وأحب، دون أن أخرج عن دائرتك
فكل ما يبدو مني مبدأه منك ومرجعهُ إليك
وهذه العوالم التي تُخفيك عن نظري، هي شفافة أمام بصيرتي

ترقُّ حتى أرى ما تُبْطنهُ
فأنت الذى أبصره في جوف الطبيعة
وأنت الذي أباركهُ في كل خليقة
وكلما رُمتُ الاقتراب منك يممت هذه الفلوات
فهنا إذا ما نفض الفجر ستره في الهواء
شاقّاً الأفُقَ الذي يلوّنه النهارُ الناشئ
وناثرًا على الجبال لآلئ السَّحَر
بدا لي أن بصرَك من مقرك العلوي، هو الذى يُشرف على الكون
ويُفيض عليه الضياء والبهاء.
وإذا ما كوكب النهار، توقف عن سيره
وغمرني بالحرارة والحياة والنور
أشعر أيها الإله القدير، أن هذه الأشعة القوية، التي تُنعش حواسي
هي قوتك ونسمتك
وعندما يُرشد الليل موكب النجوم، ملقيًا سدوله المُعْتِمة على العالم الغافي
أقف وحيدًا في قلب البيداء، يحوطني الظلام
متأملاً في عظمة الليل الهادئة اللطيفة
وقد تسربلتُ بالهدوء والسكون والظلال الداكنة
فتعبد نفسي عن كَثَب، وجودك السامي
وأنا مستشعر بنهار داخلي يُنير حواسي
وسامع صوتًا يهتف بي أن اؤْمل.
نعم. إني آمل أيها المولى
وأثق بعظمتك وجَبروُتك
ففي كل مكان، تجود يداك بالحياة
وفي كل موضع، أراك تُبقي وتُحيي
لأن من في قدرته الخَلق والتكوين، يحتقر التخريب والتدمير

فأنا الشاهد بقوتك
الواثق من محبتك
أنتظر يوم الأزلية الذي لا انتهاء له.
فعَبَثًا يُحيطني الموتُ بأشباحه السوداء المحزنة
فعقلي يرى النور من خلال هذه الظُلُمات
لأن انقضاء الأجل، هو الدرجة الأخيرة التي تقربني منك
وهو الستار الذي يَسقط بين وجهك الكريم وبيني
فعجِلْ لي يا إلهي، بهذه البُرْهة التي ألتمسها
وإذا شاءت إرادتك تأخيرها
فاستجب من أعلى السماوات، صوت عَوَزي واحتياجي
فالذرَّة مع حقارتها
هي موضع عنايتك، مثل الكون على سعته
فغذّ جسمي بالقوت، ونفسي بالأمل
وأدفئ بنظرة من عينيك القديرتين نفسي
التي كسفتها ظلالُ حواسي الجسدية
وكما تَسْتَنْشِي الشمسُ ندى الصباح
استغرق في أحضانك فكري وعقلي وإدراكي
لتحظى نفسي بمن طالما اشتاقت له ونَزَعتْ إليه.

✱✱✱✱

# الخـريـف (*)

سـلامًـا على الغـابات كَلَّل دوحَـهـا
قليـلُ اخـضـرارٍ مـؤذن بصـفـارِ
سـلامًـا على الأوراق جـفّت وبعـثـرت
على العـشبِ واصـفـرّت من الأقـدارِ
سـلامًـا على الأيام يبـدو جـمـالُهـا
وإن آذنـت بالظعـن والتـسـيـارِ
يـلائم آلامـي حـدادُ طبـيـعـةٍ
يصـاحـبـه ظرف يروق لأنظـاري

☆☆☆☆☆

تتـبـعتُ في سـيـري بخطوة حـالـم
مـسـالكَ في الغـابـات منعـزلاتِ
ويحلو لعـيني أن ترى شـمـسَـهـا وقـد
عـلاها شـحـوبٌ باهتُ القـسـمـاتِ
على قـدميَّ الضـوءُ أرخى شـعـاعـه
خـلال ظلامٍ سـاد في الغـابـاتِ

(*) ترجمها محمد أسعد ولاية في الرسالة، العدد (٤٣٦) من السنة التاسعة، ص ١٣٧٩ وما بعدها (نوفمبر ١٩٤١) ثم ظهرت في كتابه (مختارات) ... ص (٥٦) وما بعدها يتصدرها :
«أنشأ لامرتين هذه القصيدة في خريف عام ١٨١٩ في وقت من أوقات التألم والقنوط، وهي حافلة بمرارة طريفة تصور الصراع بين الميل الغريزى إبان الكآبة الذي يحبب الموت، والميل الغريزى إبان الانشراح الذي يوحي بالأسف على الحياة !...
ويظهر أن الشاعر حين أنشأ هذه الأبيات كان يستذكر القصيدة المشهورة (سقوط أوراق) Chute de Feuilles للشاعر الفرنسي «ميلفوا» Millevoye » المترجم.

نعم، فيك أيام الخريف مواعظٌ
تنبهني من غفوتي وسباتي
كأني بأنفاسِ الطبيعةِ أدبرت
وكادت تولّي آخرُ النفثاتِ
وفي نظرات الكون وهي تَبين لي
مقنّعة، تُنبيي عن الحسناتِ
أرى أن قلبي في انجذابٍ لشجوها
كمرحلةٍ من آخرِ الرحلاتِ

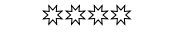

وتبدو وداعًا من صديقٍ لآخرٍ
يودّعه يوم الفراق العاتي
وتبدو ابتسامًا من شفاهٍ ضعيفةٍ
سيطبقها الترحال في لحظاتِ
وبينا أنا مُتْأهّبٌ لترحّلٍ
عن العالم الفاني لضيق حياتي
وأبكي على الأيام طال أوانُها
بخيبة آمالي وسوء صلاتي
تلفَّتُّ أدراجي بنظرةِ حاسدٍ
وشاهدت حولي أنعمًا نضراتِ
فعزّ على نفسي الرحيلُ بحسرةٍ
ولما أذق شيئًا من الخيراتِ

فيا أرض يا وديان يا شمس أنصتي
ففيك جمالٌ للطبيعة فتانُ
وإني مدين فاذرفي حول مضجعي
ندى دمعةٍ فيها أسى وحنانُ

هـواء لـه عـطرٌ غـــــزيـرٌ مـن الشَّـــــذى
وضـــــوءٌ نـقـيٌّ زانـــــه لمعـــــانُ
وشـــــمس يراهـا مـن يعـــاني منيَّـــةً
وفـــيـــهـــا رواء بالبَـــهـــا يـــزدان

أريـد إذن أن أفـــــرغ الـكـأس كلَّـهـــا
بما اشـــــتـــملت من سلسلٍ ومـــرارِ
عـــســـــاي أرى فـي هـذه الـكأس قـطـرةً
من الشَّـــهـــد مـــا زالت بركـن قـــرارِ



فـــرُبّ زَمـــاني مـــا يـــزال مـــخـــبـــئًـــا
لمســتــقــبلي حظًـــا ســـعـــيـــدًا يعـيـدهُ
وقـــد ألتـــقي وسط الزحـــام بصـــاحبٍ
جـــهلت ســـجـــاياه فـــأكـــشـــف أمـــرهُ
ويجـــمع نفـــســـينا انســـجـــام تفـــاهمٍ
وســـوف يـــلبّـــيني فـــأعـــرف قـــدرهُ



إذا ســـقطتْ من قـــمـــة الغـــصن زهرةٌ
أشـــاعت شـــذاها في النســـيم تبـــرّعـــا
وهـــذا وداعٌ للحـــيـــاة وشـــمـــسِـــهـــا
يتم كـــومض البـــرق في الكون مـــســـرعـــا
مـــتى زهقت نـفـــسي فـــمتّ إذا بهـــا
كلحنٍ حـــزينٍ ذي انســـجـــامٍ تضـــوعـا

# الخـريـف(*)

(١)

سلام عليك أيتها الخمائل المكللة بفَضْلة من الخُضرة !
ويا أيتها الأوراقُ المصفرّةُ المتناثرة على العشب،
سلام عليك أيتها الأيام الأخيرة الجميلة !
إن حداد الطبيعة يلتئم وألمي، ويتفق ومشاربي

(٢)

وهأنذا أسير في الطريق المنعزل حالمًا مفكرًا
ويحلو لي أن أرى ثانية وللمرة الأخيرة، الشمس الكاسفة
وقد أخذ شعاعها الواهي الضئيل يكشف الطريق بعد لأْيٍ لقدمي
وسط ظلمة الخمائلِ الحالكة

(*) ترجمة محمود فهمي إدريس، ونشرت في الرسالة بالعدد (١٣)، السنة الأولى (١٥ يوليو ١٩٣٣) يتصدرها: «لامرتين شاعر رائق الفكر، سليم الأسلوب، رقيق العبارة، وهو واحد من شعراء فرنسا المجيدين في القرن التاسع عشر، وإليه يعزى الفضل في إحياء الشعر الغنائي الفرنسي الحديث». ثم عرض لحياته وشعره ومؤلفاته وختمها بقوله :

«والقطعة التي أعرض لترجمتها اليوم هي قطعة من مجموعة أشعاره التأملات الأولى، وقد كتبها في خريف عام ١٨١٩، ولم تكن حالته الصحية وقتئذٍ على حال من الثبات والاستقرار، فقد كان نهبًا لشتى آلام وعلل، هذا إلى جانب صدمة تلقاها من قبل، إذ رفضت خطبته الآنسة ماريان اليسا بيرسن الإنجليزية التي أصبحت له فيما بعد زوجة، وهو يشير في الفقرة السابعة إلى هذا الأمل الضائع.

وقد أوحى بها إلى لامرتين نوبة حادة من الحزن والكمد وقد صار موضوعها من الموضوعات التي يتميز بها شعر جماعة (الرومانتيكيين)، فالخريف، صورة من الفناء والموت، يحمل بين طياته الحسرة والندم على السعادة الذاهبة.

وقد كتب في هذا الموضوع نفر من الشعراء الإنجليز والفرنسيين إلا أن لامرتين أسبغ عليه فيضًا من التعبيرات الدقيقة استخلصها من حس رقيق وخيال واسع وقريحة خصبة.

(٣)

حقّاً إني أجد في لحاظ الطبيعة المحجبة
حين تقضي في أيام الخريف جاذبيةً وسحرًا
إنها وداع صديق، بل هي ابتسامة لشفتين
سيلجمهما عما قريب الموت إلى الأبد

(٤)

وهأنذا وقد شارفت أفق الحياة
ما زلت أتلفت وأنا أبكي أمل أيامي الطويلة المتلاشي
وأنعم نظري في حزن وحسرة في محاسن الحياة
التي لم أتمتع بها بعد

(٥)

يا أيتها الغبراء
ويا شمس، ويا وديان
ويا أيتها الطبيعة الجميلة الحلوة
إني مدين لك بدمعة وأنا على حافة قبري !
ما أعبق النسائم بالعطور!
وما أنقى الضوء!
وما أجمل الشمس في نظر المحتضر!

(٦)

كم أود الآن أن أستشف هذه الكأس
وقد امتزج فيها الرحيق بالمر
فلربما تبقى لي في هذه الكأس
التي أتناول فيها الحياة، قطرة من الشهد.

(٧)

ولربما أخفى لي في المستقبل أيضًا في ثناياه

أوبة لسعادة ضاع الأمل فيها!

ولربما تفهم نفسي؛ من بين الصفوف، نفس أجهلها فتجيبني!...

(٨)

تسقط الزهرة تاركة عطرها للريح الدبور

وهذا وداعها للحياة وللشمس

وهأنذا أموت! وروحي حين تفيض تتصاعد

كرجع صوت حزين شجي[١]

****

(١) جاء هذا التعليق في ختام الترجمة: (الرسالة) نشرنا هذه المقالة تشجيعًا لشبابنا الناشئين في الأدب، ولعلهم قبل أن يفكروا في الكتابة يستكملون أداتها الضرورية من نحو وبيان، فإن إهمال ذلك شر ما يؤاخذ به الكاتب.

# سقوط ملاك(*)

علِّموا أبناءكم اسم اللهِ السماوي
كما تسقونهم قطراتِ الحليب عندما يجوعون
حتى يذوقوا عذوبةً ولذةً قبل مرارة الحياة !
سيكون اسم الله غوث البريء في محاكمته
ونيران المجرم في تخفيه !
سيكون اسم الله صديق الأجذم، وقاضي العبد، ووصي الأرملة والقاصر

(*) الياس أبو شبكة : لامرتين، ص (٥٨) وما بعدها، وقد صدرها بمقدمة طويلة عن أثر الشرق في أدب لامارتين، ومنها :
ولم تكن «سقوط ملاك» أيضًا سوى هيكل قصيدة رحبة حلم به الشاعر في طريق فلورنسا قبل سفره إلى الشرق، على أنه لم يكد يطوف في أرض الأنبياء حتى نضجت تلك القصيدة في مخيلته وقلبه فتلك الطبيعة المسيحية التي أبرزها الشاعر في جوسلين بشكلها الحديث وبكل ما فيها من التنازع والتضحيات أراد هذه المرة أن يبرزها هي نفسها بشكلها الإنساني الذي يمت إلى العصور الأولى، فسيدار الملاك ودائيده الابنة التي تنتسب إلى إحدى قبائل البشر الأولى، هما البطلان اللذان ذهب لامرتين لكي يبحث عنهما في بلاد الطوفان وبالقرب من مصادر الزمان.
تعرّف سيدار، الملاك الساقط، ودائيده وأحب كل منهما الآخر على مرتفعات لبنان أولاً ثم انتقلا إلى شواطئ العاصي، ولقد صوّر لامرتين حولهما تقاليد القبائل الرحالة التي تعودت الخضوع إلى عنف غرائزها الأولى، ثم مضى بهما إلى بابل، قاعدة الحضارة البشرية التي تقدمت الطوفان، وكان ثمة شعبٌ وديع خانع تسلط عليه قوم رفعوا نفوسهم إلى مصاف الآلهة، فوقع الزوجان بين أيدى هؤلاء الظالمين وراحا يذوقان من العذاب ما لا يقوى عليه الإنسان، إلى أن قدر لهما الهرب إلى مجاهل الصحراء حيث قضى عليهما العطش والجوع.
وكان سيدار ودائيده قد فرا من وجه القبائل المنتشرة على شواطئ العاصي قبل أن يقعا في قبضة الجلادين الجبابرة، آلهة بابل، وراحا يهيمان على وجههما في مرتفعات جبل الكرمل حتى اهتديا إلى مغارة يقيم بها ناسك متعبد لله الحقيقي.
وكان هذا الناسك الصالح الوحيد في ذلك الزمن الطافح بالمفاسد والموبقات، فأخذ يقرأ عليهما شذرات من السفر القديم.
وهذه الشذرات أو هذا الإنجيل الفلسفي إنما هو مختصر الشرائع الدينية والاجتماعية التي أراد الشاعر أن يبثها في البشر، ولقد استوحاها من أسفار التوراة ومن سفر تثنية الاشتراع بنوع خاص.

سيراه البائسون والمنقطعون من أعماق أوجاعهم

يضيء كالشعاع خلال دموعهم.

«لا تضع حدّاً بين أمة وأخرى

وإذا قيل لك إن هذه الذرية لشرسة

وهذا النهر يفرق بينك وبينها

أو إذا قيل لك إن هذا الجبل يفصلك عنها

فقل لمن يقول لك ذلك

إن الله يرانا جميعًا ويباركنا

والفضاء يجمعنا، والسماء تسترنا».

«لا تنزع الغصن مع الثمرة

فطوبى لليد التي تزرع، وعارٌ على اليد التي تسيء!

لا تترك الأرض عارية قاحلة

فآباؤك رأوها خصبة عند مجيئهم

«لا تشمت بالتراب الذي تحت قدميك

فسوف تجد فيه مرقدك الأخير، واقتسم الأرض بينك وبين إخوتك

فالله لم يتقاض منك ثمنًا لها

تعاضدوا في المصائب وكونوا إخوة وآباء

ولتكن الرحمة عدلاً بينكم!

تلفظوا بالحقيقة دائمًا فلا تحتاجوا إلى القسم

دعوا خبزكم على عتبة كهوفكم للجائعين

واتركوا بعض ثمار على غصونها لعابري الطرق

لا يكن عندكم شرائع ولا مجالس لمحاكمة المذنب

ولا تبيحوا للقاضي حق القتل لينتقم للموت بالموت!

لا تجلسوا بينكم قضاة يرتكبون الإثم خفية ويعاقبونه جهرًا!
بل هذبوا نفوسكم وأخلاقكم بالعلوم
فتشعروا بالقاضي والجلاد في ضمائركم!
لقد وهبتكم السماء عاطفة الغفران فاغفروا
إن هبة الغفران لأعظم هبات الله للإنسان»(*).

✱✱✱✱

(*) ختم إلياس أبو شبكة النص بهذا التعليق :
«وهذه اللهجة التي خاطب بها لامرتين أبناء جنسه في فم الناسك هي التي خاطب بها الله بلسان موسى جميع شعب إسرائيل في عبر الأردن في البرية، خاطب موسى شعب إسرائيل في الإصحاح الأول من سفر التثنية قائلاً :
«اسمعوا بين إخوتكم واقضوا بالحق بين الإنسان وأخيه ونزيله، لا تنظروا إلى الوجوه في القضاء، الصغير كالكبير تسمعون، لا تهابوا وجه إنسان لأن القضاء لله».
وخاطب موسى شعب إسرائيل قائلاً : «إذا خبطت زيتونك فابق على غصونه بعض ثمار لعابري الطرق، وإذا حصدت حقلك ونسيت فيه بعض رزم فلا ترجع لتأخذه، إنه لليتيم والفقير والأرملة يكون».

# هبوط ملاك(*)

يا عظمة الصحارى، والليل والسموات،
من ذا الذي كان يستطيع أن يشدو لك كما أنت ترين عيني،
إذا كنت ما زلت تحتفظين لتبصرة الإنسان بعد تدميرك بالطوفان
بطابع إلهي
إذا كان الليل المشع وأفلاكه غير المستقرة أظهرت له العالم اللانهائي
من تحت هذه السماوات الشفافة،
وماذا كان الحال قبل اليوم الذي ألقى المخزون من الموج فيه فوق أرضنا
جوه القذر؟
ماذا كان عندما احتجب العالم العظيم نهارًا واقترب منا القدر بالظل
وكان يتركنا نقرأ بنظرة شاردة في هذه الطرقات وهذه القباب
للشمس فوق قباب أخرى،
وهذا الخيط للسماوات والغشاء الفسيح، الذي كانت
كل حلقة منه شمسًا مزبدة ؟
ماذا كان عندما العبقرية الكامنة لم يكن لها جو بعد ينبثق
منه انسجام الألحان بسبب الشقاء،
وأن هذا العالم الأرضي كان ما يزال هو
حيث النظام والجمال في القسوة كانا لديه هو ؟

(*) ترجمة محمد أسعد ولاية في «مختارات» ص (١٢٧) وما بعدها، يتصدرها : «رجل ناسك جاوز المائة عام يعيش معتكفًا في كهف على قمة جبل لبنان، وقد نال درجة التنبؤ، ولكن على العكس، بمعنى أنه يرى الماضي بدلاً من التنبؤ بالمستقبل، وقد استحضر أمام عيني الشاعر التخيل البديع للأيام الأولى للعالم». وأعطى لها عنوانًا ثانيًا هو : أرز لبنان.

وأن كل ما هو خارج من جنات عدن كان ما يزال يُذكِّرُ
بالخلود منذ فجره الأول،
وأن كل شيء وكل مكان في العالم
منذ النشأة الأولى كان مفعم الشعور بالله ؟
آه! إذًا من كل ما يذوي لم تكن متعجلا،
أيها الموت ! إذن لما عرف قط اسم لكافر،

✡✡✡✡✡

والحالة هذه في هذه الأيام يا بني، جميع الكائنات الحية ،
التي تسبح في المياه أو التي تطير فوق الهواء،
من الشمس إلى العثة، ومن البهيمة إلى النبات،
كانت جميعها ذات حيوية بروح ناطقة،
والإنسان لم يكن قد سمع بعد هذا التسبيح
الصادر من ألف صوت
الذي يصعد من المياه، ومن الأعشاب، ومن الغابات
من هذه الألسن بدون كلمات، منذ انحدارها
هو الوحيد الذي فقد الذكاء الرفيع
والرأي الخاطئ الذي كان وما يزال مسيطرًا مثل اليوم
على أن الروح كانت قد ابتدأت وانتهت فيه،
يدخر التفكير في إفاضة الحياة ،
وكما لو كانت للحياة وظيفة أخرى،

✡✡✡✡✡

يا إلهي، إن إدراك الحقيقة يكون بالتقرب إليك،
ولكن الكثيرين من الرجال الصم لا تبدو لهم أصوات
الطبيعة هذه إلا كعباب وهمهمة حمقاء
والملائكة المنتشرون في أثير الليل

كانوا ينشرون الدوي بمسمع خفي ..
في هذه الساعة حيث يهمد الدوي من النهار
ليسمع في المساء الزفير اللاشعوري،
وينتقل بعضهم في هذه الدياجير النصفية،
حيث كانوا يبثون فوق ذرى الأرز،
نجومًا للبحار، كمشاعر مفعمة،
ولم يكن الجبل إلا بمثابة روح ذات
ألف من اللهجات،
ولا يستطيع إلا الله نفسه، والأذن التي لا حد لها
التمييز بين أصوات الأنغام الشاسعة
وكان الملائكة والصمت والليل يسمعون
هذه النوبة الموسيقية النباتية الكبرى
والأرز كان يغنيها.

****

## تراتيل أرز لبنان

سبحان، سبحان، سبحان المولى الذي تعبده الرابية !
خلف هذه الشموس، التي نراها من هنا
عندما تغمرنا نفثة الليل العاطرة،
وتنطوي تحت يده كأعواد خاشعة،
ولكن لماذا تنطوي! ذلك لأننا نرجوه !
ذلك لأن قطرة محبة صادقة من الإيمان الإلهي
تجعل جذوعنا ترتعد من القمة حتى الجذور،
كريح غضب التي تجعل أنوفها تحمر
والتي تغط في صدورها،
وتجعل الذؤابات تموج فوق أعناق الأسود

✡✡✡✡✡

انزلقي، انزلقي، أيتها النسمات الشاردة،
وبدلي بأوتار ذات رنين
الورق والألياف في الغابات !
نحن الآلة الموسيقية الرنانة
حيث الاسم الذي يعبده القمر
في جميع اللحظات يتلاشى ليضيء
تحت ارتعادنا الجهير،
تعالي، أيتها الليالي ذات النسمات الفاترة،
اهبطي من السماء، واصعدي فوق السهول

ففي فروعنا ينتشر الاسم العظيم انتشارًا مفعمًا
مري وعودي للمرور ألف مرة !
إذا كنت تبحثين عمن يعان،
واتركي هناك الضوء والشعلة !
اتركي هناك البحر والفصل !
ونحن أليست لنا روح
كل ورقة منها هي صوت ؟
أنت تعلمين، يا سماء الليالي، لمن تتحدث ذرانا،
وأنت أيتها الصخور التي تذرعها أقدامنا حتى الأعماق
لنبحث فيها عن ماء النبات والمراشف المغذية،
والشموس، التي نشرب منها السهام المشعة،
إنك تعلمين ذلك، أيتها الليالي التي تتلهف
فيها أوراقنا على امتصاص القبلات الغضة
واللآلئ الرطبة،
قولي إذا كانت لنا مشاعر !
مشاعر غير معزوة إلى أية خليقة،
التي تنبثق من هنا من جميع الطبيعة ،
والتي تتنفس بدون شفة، وتتبصر بدون أعين،
التي تشعر بالفضول قبل أن تقبل،
المشاعر التي تحس بالهواء والتي تحلله
من حياة دائمة أيها العملاء الغامضون !
ولمن إذن ستكون هذه الأجيال من الوجود ؟
ولمن ستكون إذن الروح والذكاء ؟
هل هي للشجيرة القزم ؟
هل هي للحشرة والذرة ؟

أم للرجل، ذي الشبح الخفيف،
الذي يجف عند أقدامي كساق زرع مقطوعة ،
الذي يقول إن الأرض مملكته،
والذي كان يختفي ذات يوم قبل أن تتناثر
أوراقي من قمتي حيث كانت تغطي الطريق بخطواته ؟
حيث إن الأجيال بالنسبة لنا، هي الأمس
والغد !!!

✲✲✲✲✲

أوه! المجد لك يا إله الأشياء !
قل أية إصبع مرعبة تضعها
فوق أضعف البراعم،
لكي تنطوي أجسامنا الشاسعة
في تفاحتنا السريعة العطب ،
التي ستسحقها قدم الإنسان !

✲✲✲✲✲

ولكي يمد هذا الصنوبر السريع العطب
النابت في قليل من الطين الدعائم العالية
التي تجلب طبقاتها الضخمة الظلال بالسحاب
والعصافير بالآلاف !

✲✲✲✲✲

وأية خميرة فعالة للحياة
في ماء النبات، قطرة مطر
التي يشربها منقار طائر ،
لكي تتكاثر في عروقنا ينابيعها الفياضة على الدوام

شافية غلة التربة جميعًا !

✡✡✡✡✡

لكي يتجدد هذا المنبع الأزلي في جميع الجداول،
هذا السيل الذي لا يعوقه شيء،
ومن الذروة حتى الجذور
يجعل الهضبة الفسيحة مخضرة
التي تنبت في جذع واحد !

✡✡✡✡✡

قولي في أي يوم من ذات الأيام ولدت جذورنا،
أيتها الصخور التي تخدمنا من الأساس ومن التغذية !
ومن قبابنا الطافية أيتها الجبال المتوجة
يا من تعيشين ما لا يدخل تحت حصر،
ويا نجوم السماء المنتشرة بأمر الله،
تكلمي، هل تعرفين اللحظة ؟
لو فتحت جذورنا الأكثر صلابة من الماس
لوُجدت مئات وآلاف السنين
مسطَّرة في قلب أليافنا ذات العروق الممتدة !
كما لو كانت في مراقد عنصر !

✡✡✡✡✡

أيتها النسور التي تمر فوق رؤوسنا
هيا قولي للرياح الطليقة
بأننا نتفادى زوابعها
بسارياتنا الخالية من العروق
فلتصعد هذه الرياح، جبابرة الكون
وليثر ذيلها وليزمجر

لمهاجمة أذرعنا العصبية،
هيا، فإن أقصى ثورتها المترنحة
لن تفعل سوى هز قضباننا
والصفير في شعورنا،

☆☆☆☆☆

إن أبناء الصخر ولدوا منا نحن
ويده الإلهية زرعتنا
نحن الإكليل الأخضر
الذي ألقاه من قباب جنات عدن
وعندما يموج طوفان الماء،
ستكون جوانبنا الجوفاء هي المعتصم
من جميع ذرية آدم
وأبناء البطريرك
سيقطعون في غابتنا القنطرة
المقدسة لإله إبراهيم،

☆☆☆☆☆

إننا نحن عندما تتاح للأسباط الأسرى
رؤية مرتفعات «هرمون»[١]
سنغطي بأخشابنا
القنطرة الفسيحة «لسليمان»[٢]
وإذا فيما بعد، يخلق رجل ذو اسم
أكثر قداسة فإنه يعبد ويذكر
إلهه من فوق صليب

---

(١) هرمون : (جبل الشيخ) وهو يقع في شمال فلسطين (المترجم).

(٢) القنطرة الفسيحة لسليمان : هي المعبد الذي بناه سليمان واستحضر أخشابه من أرز لبنان (المترجم).

هياكل هذه التضحية العظمى
من جهاز عذابه
وأغصاننا ستقدم الخشب،

☆☆☆☆☆

ولبيان هذا العطاء السخي ،
سيأتي رجال وقد أحنوا جباههم
ليعبدوا آثار أقدامنا،
ويلصقوا شفاههم بجذوعنا ،
القديسون والشعراء والوديعون
سيسمعون في أوراقنا
دويّاً مماثلاً لمياه عظيمة
وتحت ظلالنا النبوية
سينظمون أجلَّ أناشيدهم
من هدير أغصاننا

☆☆☆☆☆

انزلقي كَيَدٍ فوق ربابة تهتز
فينزلق وتر فوتر، منتزعة
في وقت واحد
في كل وتر روح، وفي كل روح صوت،
انزلقي يا نسمات الليالي،
وإن في كل من الألياف رعشة مقدسة
تنفجر تحت أصابعك !
وإن ذيولك التي تمس أقواس قبابنا
وإن دموع السماء التي ترن قطراتها
وإن تغريد البلبل في عشه،

وإن اهتزاز البحر في مهده،
والماء الذي يترقرق والعشب الذي ينثني
وماء النبات الذي يسيل بالمطر،
والبهيم الذي ينبح أو الذي يصرخ،
كل هذا الدوي من قوة ومن حياة
الذي يتعدد في الكون،
وهذا الهدير من عالم النبات
الذي يرتجف تحت أقدامنا غرسة أو معدنًا،
إن هذه الأصوات التي تجمعها نوبة موسيقية عظيمة
في هذا الهواء الذي يرتجف فيه ظلنا
تتصاعد وتنشد معًا
لذلك الذي صنعها، وذلك الذي يسمعها،
ذلك الذي يبسط نظرته لاحتياجاتها
الله، الله، الله، بحر بدون شواطئ
الذي يشتمل على كل شيء فيها،
موقد كل حياة هي الشرارة الصفراء منه
كتلة كل الوجود جزء خاضع منها،
الذي يعيش حياته الأبدية
كامل، فائق الحد، شامل
الذي يعيش دون أن يولد،
قبل الطبيعة، وبعد الطبيعة
الذي يعيش والذي يتجدد،
وكل زفرة للساعة التي يدعوها
تصعد إليه، من حيث كل يهبط !!!
هكذا كانت تغني جوقة الأشجار والملائكة

وكانت تكرر هذه التسابيح بتبصر،
وجبال وبحار، ونيران ، ورياح
من كل نوع كائن ومن ذرات حية ،
هذه النغمات الإجماعية من الكائنات البديعة،
لكي ترفع إلى الله كانت تمر بآذانها
وهذه الآلاف من الأصوات من جميع من يعرف الله
ويفهمه، أو يعبده، أو يشعر بوجوده في كل مكان،
كانت تدور في الكون بأنغام عظيمة ،
بدون ألفاظ ذات مقاطع، وبدون لغات محددة ،
شبيهة بأنين هذا العباب الأصم ،
وإن حبّاً وثيقًا يعتمل في قلب المحب
والذي تدل الهمهمة الخفية
على حب أكثر من مئة كلمة يقولها
الإنسان في غير تمتمة !
عندما يتصاعد تسبيح ألف صوت
يحمل الأرواح، المفعمة بالاسم الذي
كانت تعبده ،
من فلك إلى فلك، حين استبدالها واختطافها
الصدى المطرب لهذه الترانيم من الأرض.

✱✱✱✱

# المعبـــد(*)

ما أحْلَى ما يبدو للإنسان في المساء
عندما يرتفع ببطء في قُبَّة السماء الكوكب الغرد
متقدمًا محفَّة الليل الصامتة
وقد تنازع الأرض الضياء والظلام
بل ما أُحَيْلى ما يشعر به
عندما يَنْقُل خطواته المقدسة، في مُسْتَقَرّ الوادي
مُيمِّمًا صوب المعبد الخلوي
وقد غطى الطُحْلُب رواقه البسيط
حيث السماء لم تزل بعدُ، تخاطب القلوب التقيَّة
سلامًا أيتها الغابة المقدسة!
سلامًا أيتها المفازة المحزنة!
أنتِ الأمينة على مقابر القرية البسيطة
إني أبارك، حينما أمرُّ بك آثارِكِ الخالية من كل زخرُف
والويلُ لمن تحدثه نفسه، بتدنيس تراب الموتى
فإني لأجثو خاشعًا، تجاه أنصابهم التي لا رُواء لها
وأعفر خدي بثراهم، الذي هو أجسادهم الباقية
ما أشدَّ رَوْعةَ الليل في جَوْف الهيكل!
وما أرهب ذلك السكون الشامل! والعين لا تكاد تميز في الظلام
نور ذلك القنديل المرتَعِد، المُشتعل قُبالة المذابح المقدسة

(*) ترجمة جورجي نيقولاوس فى مجلة المقتطف بالجزء الثاني من المجلد السادس والثمانين (أول فبراير ١٩٣٥) ص (٢٢٥) وما بعدها.

إنهُ يتلألأ وحيدًا والخليقة جمعاء نائمة
فهو رَمْزٌ مُعَزٍّ للعناية الساهرة
تتقبَّل في هذا المكان، تنهدات الأنام وتأوهاتهم.
لنتقدم، لا يطرق أذُني صوت حيٍّ
فالسكوت شامل، والفِنَاء وحده يرتعد تحت خطواتي الموزونة
فقد تعدَّيت درجات المذبح
وها أنا واقف، والمهابة تتملَّك كل مشاعري
فقد سموت برُوحي إلى علوٍّ
مشتغلاً عن دنياي بديني
فيا أيتها الحيطان المُهيبة في وَحْشتها
وأيتها الهياكل الناطقة في سكوتها
إني لديْك وحيدٌ منفرد
ونفسي الحزينة تتئد في تقرُّبها خشيةً ورهبة
لتسكب أمامك آلامها، وما تفيض بهِ جوارحها
وتُسر إلى السماء بمكنون سرها
الذي تطلع عليه وحدها، ولا يسمعهُ أحدٌ سواكِ
ولكن ماذا! أَأَجرُؤ على الدُّنُو من هذه المذابح دون خوف ولا وَجَل
أَأَجرُؤ يا إلهي أن أقدم في هذه الحظيرة المُبَجَّلة،
قلبًا ما فتىء مشتعلاً بالألم والحب؟
دون أن تأخذني الرعْدة، ويتملكني الهلع
مخافة أن تنتقم جلالتك المقدسة
للاحترام الواجب لمقرك السامي؟
ولكن لا، إني لا أحمرُّ خجلاً من النار التي تتأكَّلُني
فالحب يكون طاهرًا نقيّاً، إذا ما أضرمته الفضيلة
طاهرًا كالذات التي تَسيَّمَني هواها

إن حبي يشغل فؤادي، ولكن بنار مقدسة
فالثبات يَدْعمه، والمصائب تنقيّه من كل شائبة
فأبوح بهِ للأرض وللطبيعة بأكملها
وأمام هياكلك المقدسة، أردده دون خوف ولا حياء
وأذهب إلى أبعد من ذلك فاجْتَرئ أيها الإله القدير،
على ذكره بحضرتك العليّة
فرغمًا عن الرعب الذي يُوْحِيه إليَّ مَعبدُك
فقد تمتم فمي بخُفُوت اسم مالكة قيادي
وهذا الاسم الذي انتقل صداه من قبر إلى قبر
قد عكر هدوء الفلاة الحزينة
كأنه أنَّة شكية لشبح يتأوَّه
وداعًا أيتها الآثار الباردة
وداعًا أيتها المساكن المقدسة
لقد ردَّد الصدى الليلي الساعات مرتين
وأنا واقف أمامك خاشعًا ذاهلاً
أبكي بعين سَجُوْم، وقلب كَلِيم
وأني أغادرك متأَسِّيًا مُعزَّى
لأن السماء رأت عبراتي، وأبصرت ذلي وإماتة نفسي
وقد تكون تلك التي أندب فقدها، ساهرةً في هذه اللحظة
على شاطئ آخر، مع صورتي وقد جَثَتْ على درَج هيكل
والدموع تنهمر من مآقيها
لتبوح بذات صدرها، وتُسرِّ بآلامها وأشجانها.

✱✱✱✱

# الهيـكـل(*)

ما أحيلاه حين يصعد كوكب الشفق إلى القبة الزرقاء
وقد سبق محفة الليل الهادئة الوادعة
وحين يتنازع النور والظلام عرش الغبراء
ما أحيلا أحيلاه إذا ما ضرب في أعماق الوادي،
والقلب عامر بالتقوى، زاخر بالورع
موليًا وجهه شطر الهيكل القروي
حيث تخلع الطبيعة على أروقته الساذجة ثوبًا من الأشنة(١)
وحيث تزال الحجب وتكشف الأغطية
وحيث تتحدث السماء إلى قلوب طفحت بالتقوى

☆☆☆☆☆

تحية أيتها الغابة المقدسة!
تحية يا أيها الحقل الذي رفرف الحِمام فوقه
يا حارس أجداث القرية! إني لأبارك أرماسك المتواضعة في غدوي ورواحي
ويح الألى مشوا على رفات العباد اختيالا!
جثوت على ركبتي أمام قبورهم إجلالاً
وقد رنت أقدامي فى صخرة الهيكل
الليل ساجٍ داج، والضوء خافت مرتعش في المحراب

(*) ترجمة عارف قياسة (حماة - سوريا) ونشرت بالعدد بالرسالة العدد ٢٢٣ (أكتوبر ١٩٣٧) ص١٦٦٥، وصدّرها بأنها «مهداة إلى أستاذنا الزيات اعترافًا بما لترجمته من فضل على المترجمين»، ثم قوله «ولج الشاعر ذات مساء بيعة قرية، فإذا ضوء خافق ينير ظلمتها، وإذا نفسه الطاهرة تجيش بالخواطر، وإذا قلبه الخاشع يفيض بالشعر، وإذا هو يخرج من البيعة ويمتشق يراعته ويسجل هذه القصيدة فى صفحة الخلود».
(١) قشور لطيفة تلتف على بعض الأشجار، لها رائحة طيبة (ن).

ينبعث من سراج وهاج، تألق قرب (المذابح) المقدسة، سراج
يتلألأ حين يبسط الكرى أجنحته على الكون رمز الإحسان الساهر
ماسحِ مدامع البؤساء، وجامع آهات الأشقياء.

☆☆☆☆☆

دلفت إلى الهيكل، فلم يرن في أذني
غير اهتزاز فِنائه تحت وقع أقدامي الموزونة
أيتها الجدران المباركة ! أيتها المذابح المقدسة !
إني لفريد وحيد، وإن نفسي لتود لو سكبت أمامكن آلامها الممضة
وغرامها المضني، وأودعت السماء كلمات خفية،
ستدرك كنهها هي وحدها، وستسمعنها أذنتن وحدكن.
ولكن لِمَ أزحف إلى تلك المذابح غير هياب ولا وَجِل؟
أي ربي العظيم ! إني لأجرؤ أن أحمل في هذا الهيكل الخاشع
قلبًا يرمضه الألم، ويضنيه الغرام.
رحماك ربي ! إني لأحس بالرعدة تسري في كياني !
اغفر ما اجترحت فى بيتك من خطايا وآثام.
كلا ! إن نار الجوى التى تلتهمني لا تصبغ وجهي بحمرة الإثم.
الحب طاهر ما أذكت الفضيلة لظاه
نقيٌّ نقاوة من أخلصت لها الوداد.
إن غرامي ليلذع قلبي ولكن بجذوة مقدسة
فالصبر يشرفه، والشقاء ينقيه ويطهره

☆☆☆☆☆

لقد ذكرته إلى الغبراء، وإلى الطبيعة الحسناء
ذكرته أمام مذابحك المقدسة فى غير وجل ولا إشفاق
وإنى لأجرؤ على ذكره أمام عظمتك أيها الرب القدير!
أجل! لقد تمتمت شفاهي باسم «إلفير ELVIRE»

برغم ما قذفه هيكله من الروع في فؤادي
إن ذلك الاسم الحبيب الذى تعيده الأجداث إلى الأجداث
وتهمس به الأموات في آذان الأموات
ليكدر سكون المقبرة الرهيب كما يكدره شقي زفر آهة معولة

☆☆☆☆☆

تحية أيتها الرموس المقرورة !
تحية أيتها المنازل المقدسة !
لقد أعاد صدى الليل سويعاتنا السعيدة وأويقاتنا الحبيبة
حين أذريت دمي أمامكن.
شاهدت السماء مدامعي المسفوحة
فقرت عيني وطابت نفسي
لعل «إلفير» التي تساهر وحيدة صورتي الحبيبة
تدلف في تلك اللحظة إلى معبد داج، مخضلة العينين بالدموع
وتجثو أمام المذابح القفرة تودع آلامها وأشجانها كما أودعت آلامي وأشجاني.

✱✱✱✱

# الحســـرة الأولى(*)

هناك على سيف المحيط المصطفق ،
حيث يقذف بحر « سورانت» بأمواجه الزرقاء ،
فتنكسر تحت قدمي شجرة البرتقال ، وثم صخرة صغيرة ،
ضيقة الحجم، متساوية الطول والعرض
وكانت قريبة من الطريق اللاحب ،
تحت الصباح العبق بشذى الأزهار
فكانت للغريب الهائم منتدى ومزارًا.
وأزهار الخيري الباسمة قد سترت تحت أغصانها اسمًا منقوشًا على هذه الصخرة ،
نعم ! قد سترت اسمًا لم يردده الصدى قط فلم يك معروفًا عند أحد !
ولكن المسافر الذي أنهكه السير يجلس هناك أحيانًا ليستريح ،
ثم يزيح الحشائش عن الصخرة ،
فيقرأ عمرها وتاريخ وفاتها ويقول وعيناه تشرقان بالدمع أسفًا وحزنًا.
لقد عاشت ستة عشر عامًا !
ولعمري إنها سن مبكرة إلى الموت ولكن ! ليت شعري

(*) ترجمة «أديب لجمي»، (كما جاء على غلاف الرسالة) العدد ٦٨١ من السنة الرابعة عشرة (٢٢ يوليو ١٩٤٦ ولم يجئ اسم المترجم بعد ذلك لا في أول النص ولا في آخره ؟) ص ٨١٥ وما بعدها، ويتصدر النص «قال لامرتين: « في أحد الأيام بينما كنت داخلاً كنيسة في باريز، إذ بصرت هناك بتابوت فتاة أنطفأ سراج حياتها ولما تزل صبية، قد حمل على الأيدي وأسدلت عليه ملاءة بيضاء، فذكرني هذا التابوت بموت غرازيلا Graziella وأهاجت الذكرى شجني، فطفقت أبكي وأنشج نشيجًا محزنًا، ... ثم عدت إلى غرفتي ونشرت بين يدي مذكراتي عن تلك الحادثة، ونفثت هذه المقطوعة التي ستقرؤها الآن - وكتبتها في دفتري ، والقلب واجف، والدمع واكف، وسميتها الحسرة الأولى Le premier Regret وها هي ذي».

لِمَ أحمل نفسي على استذكار تلك الذكريات الغابرة ؟
فلندع الهواء يجف ، والنسيم يرف ، والموج يصطخب ،
وتعالي هنا ، أيتها الخواطر المضطربة ، والعواطف الملتهبة !
عودي إليَّ قليلاً ،
لعلي أرغب في التأمل والعزاء،
ولا أجهش فى الحزن والبكاء ! .
إن القارئ ليقول ! « لم تعش وا أسفاه إلا ستة عشر عامًا» !
أجل ! لقد عاشت كذلك ! ولكن هذا العمر القليل ،
لم يسطع قط فوق جبين أزهى من جبينها
ولم تتأمل قط عين – حبيبة إليّ كعينها – إذ تنظر إلى سناء الشاطئ الملتهب ،
وجلال الخضم المضطرب ! .
لقد أبصرتها أنا كذلك ،
حتى إن وجداني قد طبع شخصها الحي في نفسي ،
تلك النفس التي تحتفظ بكل شيء ،
فلا تموت صورتها فيها ولا تمّحي.
نعم لم تزل حية في نفسي ! فكأن عينيها الساجيتين ترمقان عينيَّ بنظراتهما ،
وكأننا كنا سوية نلقي بأحاديثنا الأولى في اليم ،
وشعرها المغدودن[1] الفاحم يستسلم إلى أنفاس النسيم ويسترسل معها ،
فتداعبه تارة، وتستخف به أخرى، ثم يلقي هذا الحجاب الهائم ظله الكثيف ،
على وجهها اللطيف.
وإذ كانت ترهف أذنيها ،
لنسمع أنشودة الصياد الذي يتخبط في ظلام الليل ،
ولتنصت إلى أنفاس النسيم العبقة ،
حيث تنثر نضارتها وزهوها ، ولقد أرتني القمر المبتهج وهو يصعد في السماء ،

(١) المغدودن : من صفات الشعر الأسود الناعم (Z).

كأنه زهرة جميلة في الليل ،
ترقب فجرها الجميل ،
وإلى الزبد الفضي المتلألئ.
كنا ننظر سوية ، فتلتفت إليّ، وبحنان تقول :
« أخبرني ، لماذا أرى كل شيء يضيء في هذا الفضاء ،
فيتشعشع في نفسي بمثل هذا السناء ؟
إن هذه الحقول اللازوردية، وقد ملئت بالنيران المتوهجة ،
وإن هذه الرمال الذهبية، وقد تكسرت فوقها أواذي المحيط ،
وإن هذه الجبال الشماء إذ تضارع بعليائها أذن الجوزاء ،
وهذه الخلجان المكللة بتلك الغابات الصماء ،
وهذه الأضواء التي تنبعث من ضفة الدأماء ،
وتلك الأنغام التي تقذف بها الأمواج ،
إن كل ذلك لا يثير نفسي ،
ولا يهيج حسي بلذة مهمة ،
أو سرور لا عهد لي بمثله !.
ليت شعري ! كيف لا أحلم بمثل هذا اليوم ،
وكيف لا أبتهج بهذه المناظر ؟ هل صعد إلى قلبي ذلك الكوكب الدري ،
فأنار ظلامه ، بدد أوهامه ؟ .
وأنت أيها القمر اللألاء ،
سل الليالي الحلوة الظلماء ،
وقل لها : هل تضارع ليالي بلادك –
إن غبت عنك – هذه الليالي في البهاء ؟.
– وإذ ترمق بنظرتها الوديعة أمها الرؤوم ،
حيث كانت على كثب منا ،
ثم تنطرح على نفسها من السقم ،

وتلقي بجبينها فوق ركبتي أمها ،
فيعقد الكرى الهنيء،
أهداب عيونها الوطف ،
ولكن ، ليت شعري؟ كيف أحمل نفسي على استذكار هذي الذكريات الغابرة ؟
فلندع الهواء يجف والنسيم يرف، والموج يصطخب ،
وتعالي هنا ، أيتها الخواطر المضطربة،
والأفكار الملتهبة ! عودي إليَّ قليلاً ،
لعلي أرغب في التأمل والعزاء ـ ولا أجهش في الحزن والبكاء !
لله ما أصفى أديم عينها الساجية ! وما أحلى حمرة شفتها المغترة !
ولشد ما ترد عينها نظري خاسئًا وهو حسير !
إن بحيرة «نيمي» Nemi لجميلة المنظر ،
لا تستخف بأديمها نسمة ،
ولا تعبث بسطحها نأمة[1]
ولكنها رائقة السطح ، لازوردية الماء ،
تشبه بزرقتها أديم السماء !
كنت تستطيع أن ترى أفكارها الساهمة ،
من خلال نفسها الحالمة ،
قبل أن نتعرف إلى شخصها ،
فجفناها الفاتران ، لم يغمضا قط على عينيها الوديعتين ، فيحجبان
عنا نظراتها البريئة ، وجبينها المشرق ، ولم تغضنه تباريح الهموم ،
ولم تضغطه آلام أو شجونٌ فالكل يظفر مرحًا في نفسها وحسها :
أما هذه الابتسامة العذبة الفتية ،
فلقد ماتت على فمها البارد
وكانت من قبل تغمر شفتيها المفترتين

(١) في الأصل : بسطها تأمة.

كأنها قوس قزح ، صافي اللون ،
مبشر بيوم صحو جميل !
إن من القسامة البارعة ،
والجهارة الرائعة ،
أن يكون هذا الوجه الفاتن مرئيّاً من كل عين ،
لا يحجبه ظل ، ولا تخفيه ظلمة .
فلقد كان هذا القاع اللطيف ساطعًا ، لا تمر بسمائه سحابة.
مضيئًا في كل نفس ، حبيبًا إلى كل قلب !
وخطاها الحائرة المترددة ،
كانت تسترسل هائمة أو تعدو راكضة ،
كأنها موج مستبد ،
هدهده النهار واستخف به ،
وصوتها الرنان العذب ، كان صدى صافيًا وترحيبًا نقيّاً لنفسها الوليدة ،
وطالما كان موسيقى حلوة لتلك النفس التي يغني فيها كل شيء.
فيشرح الصدر، ويبهج النفس
حتى يصعد إلى طبقات الأثير
حيث يذوب ويتلاشى.
ولكن ليت شعري ! لم أحمل نفسي على استذكار هذي الذكريات الغابرة ؟
فلندع الهواء يجف، والنسيم يرف والموج يصطخب ،
وتعالي هنا أيتها الخواطر المضطربة ، والعواطف الملتهبة !
عودي إليّ قليلاً. لعلي أرغب في التأمل والعزاء ،
ولا أجهش في الحزن والبكاء!
كما ينطبع نور الصباح على العين ،
كذلك انطبعت صورتي في قلبها ،
ولكنها لم تَرْنُ بعينها أبدًا ذاك اليوم .

وفى الساعة التي أحبت فيها ،
رأت العالم كله فيضًا من الحب والحساسة !
ولقد امتزجت معها في حياتها الخاصة ،
وتطلعت من نفسها إلى ذلك الذي استقله الطرب ،
فأخذ يمر أمام عينيها وإلى تلك السعادة الزائلة ،
والأمل المقيم في السموات العلى !
لم تفكر قط في مرور الزمن ،
أو ضياع الوقت ،
فساعة واحدة كانت تشتف وجودها، وتضيق بها ذرعًا ،
وحياتها قبل أن يجمعني الدهر بها، لا تحتاج إلى ذكرى .
إن مساء أحد تلك الأيام الجميلة كل حظي من الدنيا ونصيبي من الحياة !
لشدّ ما كانت تركن إلى الطبيعة الضاحكة ، إذ تبسم إلينا ،
وتفتر عن ثغرها الضحوك أمام ناظرنا ،
ولشد ما كانت تسكن إلى الصلاة الهادئة ، والدعاء البريء ،
وما أكثر ما كانت تأخذ طريقها إلى المذبح المقدس ،
حيث تنثر فوقه الأزهار الفواحة بالأرج ،
وقلبها يطير فرحًا ،
عكس ما يكون باكيًا منقبضًا ،
إذ تجتذبني لألحق بها إلى هيكلها ، فأقفو أثرها ،
كأنني غلام رضيع ، أو طفل مطيع ، وصوتها الخافت يناديني ويقول :
«لنصل معا يا أخي، فإنني لا أفهم للصلاة معنى بدونك !
ولا أستطيع أن أخبت لك إذا لم تكن حاضرًا بقربي ! »
ولكن ليت شعري ؟ لم أحمل نفسي على استذكار تلك الذكريات الغابرة ،
فلندع الهواء يجف... والنسيم يرف والموج يصطخب!
هلا نظرتم يا صحابتي إلى الماء النمير ،

يتدفق في حوضه كأنه ينبوعٍ لا يفور ؟
هلا أبصرتموه وقد عقد نطاقًا مستديرًا كما تفعل البحيرة بشاطئها الضيق الصغير ؟
هلا نظرتم إلى زرقته الصافية ،
وهو في ذمة الهواء الساري وفي كنف الشعاع الملتهب ،
الذي جفف ماؤه، وأضوى معينه ؟ وإذ ذاك يقذف الأوز بنفسه في جوفه ،
ليعوم فوق أديمه الرجراج ،
وهو يغمس عنقه بين ثناياه المتموجة ،
فيزين تلك المرآة السائلة ،
دون أن يكدرها، أو يمسها بسوء ويهدهد نفسه وسط الماء ،
الذي يعكس النجوم المتألقة في كبد السماء .
ثم يضرب الماء المصطفق بجناحيه المبللتين ليأخذ سمته ،
مسقاً نحو نبع آخر ،
فيمحو بطيرانه صفحة السماء المنعكسة ،
في جوف الماء الصقيل ،
وتسقط منه ريشة ، تكدر صفاءه ،
وتنزع عنه رواءه ، كأن نسرًا كاسرًا ، وهو عدو جنسه الألد ،
قد بعثر رفاته الممزقة، ورمى بها إلى كل موجة ،
فذهبت بها أباديد، وإذا باللازورد الساطع ، للبحيرة المرحة ، يغدو موجة قاتمة ،
تصعد فوقها الرمال الميثاء[1] ! وأنا شبيه بذلك الطائر يا صحابتي !
ولقد ذوى كل ما في نفسها ،
عندما بعدت عنها وشط بي النوى ،
فخبا ذلك الشعاع المضيء في نفسها ،
وصعدت جذوتها الهامدة الأخيرة سريعة نحو السماء ،

(١) في المعاجم : انماث الشيء في الماء : اختلط وذاب.

كيما تعود أبدًا بعد ذلك ! .
لم يكن في أملها ولا في مرجوها أن تنتظر ثانية أملاً بعدها ،
ولم تكن لتدوي أملها بالريب ،
أو لتطغى على ألمها بالحياة.
لقد تجرعت كأس الألم دهاقًا فغرق قلبها بأول دمعة حرى سقطت من عينها ! .
ما أشبهها بذلك العصفور الصغير !
إنهما يتفقان في الدعة والهناء ،
وإن قل عنها ذاك في الحسن والبهاء ! .
أتراه عند المساء وقد غشى جناحه عنقه لينام نومًا هادئًا لذيذًا ؟
وكذلك هي : فقد رقدت مثله ، يغشاها بأس قاتل ، وضنى مبرح ،
إلا أن رقادها كان مبكرًا. فلم يكن لليلها صباح ،
ولا لنومها يقظة !
ولكن ليت شعري ؟ لِمَ أحمل نفسي .. على استذكار تلك الذكريات الغابرة؟..
خمسة عشر عامًا قضتها تحت التراب ،
وما رثى مصيرها أحد، ولا بكت ملجأها عين ،
فسرعان ما غسى[1] النسيان – وهو ثاني كفن للموتى –
تلك الطريق التي تؤدي بنا إلى شاطئ الحياة ،
لم يزر أحد واأسفاه هذه الصخرة التي طمسها الدهر ودرسها ،
لم يفتكر بها أحد، ولم يندبها باك
إلا مخيلتي فقد قضت لبانتها من حق الذكرى وحق الدعاء !.
إذا ما قضيت موجة أيامي الأخيرة ،
فأحسست بدنو أجلي ،
رأيتني أستذكر قلبي جميع من فقدهم فنسيهم ،
ثم أرسل عيني نحو تلك الأطلال الخاشعة والآثار الدارسة ، فأذرف الدمع ،

(١) غسى الليل (وكذلك غسم) أظلم (ح).

وأسكب العبرات حزنًا على تلك النجوم النيرة ،
التي خبا ضوؤها المشتعل ،
وانطفأ سراج حياتها من سمائي المتعذرة !.
ولقد كانت هي أول الشهب الآفلة ، من نهار بهي جميل ،
فضوؤها اللألاء لايزال ينير ظلام قلبي ،
ويضرم ما بقي من جذوة حبي !
ولكن ليت شعري ! لم أحمل نفسي على استذكار تلك الذكريات الغابرة؟.
كل حظها من الحياة شجيرة شائكة ذات خضرة باهتة
فحطمتها رياح البحر الشديدة، وهشمتها أشعة الشمس المحرقة.
ورغم هذا بقيت ضاربة بجذورها تحت تلك الصخرة ،
دون أن تخلع عليها ظلها ، كأنها حسرة مضنية ، تأصلت جذورها في القلب
وغبار الثرى كسا أوراقها طبقة بيضاء ، فاستقلت على الأرض ،
وانعطفت أفنانها ، فجذمتها أسنان الماعز الحادة .
ثم تتفتح زهرة ناصعة في فصل الربيع ، كأنها رضاب الثلج ،
فتفخر هذه الشجيرة يومًا أو بعض يوم ،
ولا تلبث الريح بعد ذاك أن تطوقها ،
وتنثر ورقها ،
قبل أن ينتشر عرفها الشذي، وعصفور صغير ، شجي اللحن ،
حزين النفس ، يقع على غصن الشجيرة المنعطف فيغرد تغريدًا شجيّاً ،
هو إلى الحزن والبكاء، أقرب منه إلى الترجيع والغناء !

****

# ندمـي الأول(*)

عند الشاطئ الرنان حيث تهدر أمواج
بحر « سورنت » الزرقاء وأمام شجرة البرتقال
قرب المقابر ذات الرائحة النفاذة
هناك حجر صغير ضيق مجهول
تطؤه أقدام الأغراب اللامكترثة
تحمل نقوش الشاهد اسمًا واحدًا.
اسم لم يردده أبدًا أي صدى
يتوقف أحد المارة أحيانًا ويزيح العشب
ليقرأ العمر والتاريخ

(*) د. رائف بهجت : «روائع الشعر الفرنسي : دراسات في الشعر الفرنسي خلال القرن التاسع عشر » القاهرة ١٩٨٤ ص ٤٤ وما بعدها، مسبوقة بـ : من ديوان الهارمونيات نترجم القصيدة الرائعة « ندمي الأول» التى تحكي حب لامرتين الأول، حبه جرازييلا الإيطالية تلك العذراء البريئة التي ماتت في السابعة عشرة لكنها بقيت حية ضمن ذكريات لامرتين.
إن قصيدة «ندمي الأول» لتعد من أروع قصائد الحب الرومانسي وتتكون القصيدة من سبعة مقاطع تتضمن ١٦٤ بيتًا تنتهي كل مقاطعها بنفس التساؤل الحزين « لكن لِمَ انقاد نحو تلك الأحداث التى مضت ، لنترك الهواء يئن .. والأمواج تهمهم .. أتعودين تعودين يا ذكرياتي الحزينة أريد أن أحلم لا أن أبكي»!
وجمال القصيدة أوضح في لغتها الأصلية الفرنسية، وتعد هارمونية موسيقية هادئة يغلب عليها صوت الكمان الذي يماثل التغريد الحزين للطيور وتتضمن صوت هدير موج البحر .. وقصف الريح .. كذلك هي لوحة زيتية رسمت بعناية بريشة شاعر كبير تتضمن شاطئ بحر سورنت وبحيرة نيمي الهادئة، وقبر جرازييلا المنسي والخضرة الممتدة من زرع وشجر. ومن أروع أبيات القصيدة وقوف أحد المارة أحيانًا ليزيح العشب ويقرأ الشاهد ثم يتساءل « كان لها سبعة عشر ربيعًا! يا له من عمر مبكر للموت». كذلك مشهد جرازييلا وغلالتها تكسو جبينها بينما هي تصلي وتمد إليه يدها قائلة « صلِّ معي فأنا لا أفهم السماء ذاتها دونك» إنها المقدرة الشعرية الرائعة للامرتين الشاعر المحب».

فتدمع عيناه وهو يتساءل ..
«كان لها سبعة عشر ربيعًا
يا له من عمر مبكر للموت » !

لكن لِمَ أنقاد نحو تلك الأحداث الماضية
لنترك الريح تئن والأمواج تهمهم
أتعودين تعودين يا ذكرياتي الحزينة
أريد أن أحلم لا أن أبكي !

تصور كان لها سبعة عشر ربيعًا
وهذا العمر كله لم يتألق أبدًا
على جبين أروع من جبينها
وكل اتساع ذلك الشاطئ المحرق
لم ينعكس أبدًا كما انعكس بعينها الحبيبة
أنا وحدي أراها[1]
كذلك لها الحياة في ذاكرتي
في الروح حيث لا شيء يموت
حية هي. حية ! كما كانت عينانا تتقابلان
فتطيل أول لقاءاتنا عند البحر
وشعرها الأسود متروك للريح لتبعثره
وظل غلالتها يظلل وجنتها.
كانت تنصت لغناء ذلك الصياد الليلي
ذي الصوت المعطر ،
كانت تريني في السماء القمر الساطع، المتفتح

(1) Mol seul je la revois, telle que la pensée

كزهرة الليل التي تبتهج بالغروب
بينما تسألني « لماذا ؟ لماذا ؟ »
«لماذا تلمع الأشياء هكذا في الهواء وبداخلي» !
أبدًا هذه الحقول الأزوردية[1] لم تشع بهذه الشعل
أبدًا هذه القمم التي تهتز سطوحها عند قمة السماء
هذه الخلجان المتوجة بالغابات الصامتة.
هذه الأضواء عند الشاطئ ، هذه الأغاني للأمواج.
أبدًا – لم تهتز أحاسيسي بنشوة هكذا غريبة !
لما بمثل هذه الليلة لم أحلم أبدًا
فهل بزغ نجم قلبي !
«وأنت يا ابن الصباح أترى جمال الليالي
أكانت ليالي بلادك تشبهها دوني ؟»
– ثم كانت ترمق أمها المجاورة لنا
والتي كانت تسند جبينها فوق ركبتها لتنام
«لكن لِمَ أنقاد إلى تلك الأحداث الماضيات
لنترك الريح تئن ... والأمواج تهمهم
أتعودين تعودين آه يا ذكرياتي الحزينة
أريد أن أحلم لا أن أبكي »

كم كانت عينها نقية وشفتها بريئة
وسماؤها تشع بروحها الشفافة
كبحيرة « نيمي» الجميلة دون أي رياح تجعدها
وحاجباها المتدليان يضفيان البراءة لنظرتها

(١) كذا في الأصل، والمقصود : اللازوردية، ويلاحظ أن الكلمة الفرنسية Azur مأخوذة من الكلمة العربية (اللازورد) – Z وقد وقع المترجم في أخطاء لغوية كثيرة، ولم نصلح إلا الضروري منها.

لم يترك أي حزن تجاعيده على جبهتها
وابتسامتها الساذجة تلك
التي كانت تتألق في حزن فوق ثغرها
وتطفو فوق شفتيها المنفرجتين
كقوس قزح صاف يشع في النهار
«لكن لِمَ تعاودني تلك الأحداث الماضية
لنترك الهواء يئن والأمواج تهمهم
أتعودين تعودين يا ذكرياتى الحزينة
أريد أن أحلم لا أن أبكي»

حفرت صورتي بقلبها أصبحت الأولى
كما يتألق الضوء صباحًا في العين المتفتحة
منذ يومها لم تعد تنظر لسواي
منذ الساعة التي أحبت فيها ، أصبح الكون هو الحب
مزجتني بحياتها الخاصة.
أصبحت ترى كل ما بداخل نفسي وأصبحت أنا جزءًا
من ذلك العالم الساحر المنعكس بعينها
جزء من سعادة الأرض ومن الأمل في السماوات.
اللحظة الحالية وحدها حوت كل وجودها
قبلي: كانت حياتها بلا ذكريات
أصبحت إحدى تلك الليالي الرائعة ، تعني كل المستقبل
وائتمنت نفسها للطبيعة الرقيقة ،
التي كانت تبتسم لنا فى صلاة خالصة
كانت تذهب وقلبها مليء بالفرح لا بالدمع
إلى المحراب لتكسوه بالأزاهير

بينما يدها تجذبني لأسير إلى عتبة معبدها.
كطفل خاضع كنت أتبعها ،
بينما صوتها يهمس لي خافتًا[1]
«صلِّ معي !
فأنا لا أفهم السماء ذاتها – دونك ! »
لكن لِمَ تعاودني تلك المشاهد الماضية
لنترك الهواء يئن .. والأمواج تهمهم
أتعودين تعودين يا ذكرياتي الحزينة !
أريد أن أحلم لا أن أبكي !

ترون بحمامها، ماء نبع صاف
يحيط بالبحيرة ضيقة الحواف
أزرق صافيًا يواجه الريح التي تجرفه
والشعاع الحارق الذي يدفنه.
وبجعة بيضاء تسبح فوق بساطه الممتد
تغمس عنقها المكسو بالتموجات
في تلك المرآة السائلة
تتأرجح بين نجوم الليل
ثم توالي طيرانها نحو منابع جديدة
نافضة القطرات الممتزجة عن جناحيها المبتلين
كما لو كان الصقر عدو جنسها
قد اقتفى على المياه أثرها
لكن الزرقة المشعة من تلك البحيرة الساحرة
لم تعد إلا حفرة مظلمة كستها الرمال

(1) Et sa voix me disait tout bas, " Prie, avec moi Car je ne comprend pas le ciel meme, sans toi !

هكذا عندما رحلت فروحي قد ارتجفت
انطفأ الإشعاع وماتت شعلته
صعدت للسماء ولن تعود
لن تنتظر مستقبلاً آخر
لا تأمل في أمل آخر
تجرعت كل كأس الألم جرعة واحدة
وبدمعتها الأولى أغرقت قلبها
مشابهة للعصفور الأقل منها نقاءً وحسنًا
الذي ينام مساءً واضعًا عنقه تحت جناحه
أحاطت نفسها باليأس الصامت
لتنام أيضًا – لكن واأسفاه ! بعيدًا عن السماء ،

«لكن لِمَ تعاودني تلك الأحداث الماضية
لنترك الريح تئن والأمواج تهمهم
أتعودين تعودين يا ذكرياتي الحزينة
أريد أن أحلم لا أن أبكي»

لقد نامت خمسة عشر عامًا في قبرها الطينيِّ
لم يعد أحد يبكي عند مثواها الأخير
والنسيان السريع هو الكفن الآخر للأموات
كسا الشاهد الدال على حفرتها.
لم يعد أحد يزور ذلك الحجر
الذي انمحى ما عليه
لا أحد عاد يذكره، عاد يصلي من أجله
عدا أفكاري

حينما أعود أدراجي إلى سالف الأيام
وأسأل قلبي عن كل الذين مضوا
بينما عيناي تطوفان بآثار غالية
لأبكي كل تلك النجوم التي انطفأت بسمائي
لقد كانت الأولى وإشعاعها الرقيق
ما زال بنقائه ينير قلبي

«لكن لِمَ تعاودني تلك الأحداث الماضية
لنترك الريح تئن ... والأمواج تهمهم
أتعوين تعودين يا ذكرياتي الحزينة
أريد أن أحلم لا أن أبكي»

شجيرة شوكية باهتة الخضرة
هي الأثر الوحيد الذي أهدته الطبيعة لها.
اقتلعتها رياح البحر وأحرقتها الشمس الناصعة
أصبحت كالندم الحزين بقلب جريح
تنمو وسط الصخور دون أن تظللها.
ورمال الطريق تغبر أغصانها
تميل فوق الأرض ويميل جذعها
والعنزات تقضم أوراقها.
إنها زهرة في الربيع كقرص جليد
تطفو يومًا أو يومين ثم يسقطها الهواء.
يعريها من أوراقها من قبل أن تفوح رائحتها.
كالحياة - قبل أن تبهج القلب -
فعصفور من الرقة والأحزان

يهبط ليغرد على غصنها المنثني.
آه قولي أيتها الزهرة التي أذبلتها الحياة مبكرًا
أليست هناك أرض تعاودين التفتح فيها.

«وأتصاعد أتصاعد نحو تلك الساعات الماضيات
فذكرياتي الحزينة تعينُني على الزفرات
اذهبوا إلى حيث روحي
امضي يا أفكاري
قلبي مليء أريد أن أبكي!».

✱✱✱✱

# خـواطــر الموتــى(*)

ها هي الأوراق الجافة
تتساقط على العشب
ها هي الريح تتحرك
وتتنهد في الوادي
ها هو الطائر التائه
الذي يحرك بطرف جناحه
ماء الغدير الساكن
ها هو طفل الأكواخ
الذي يلتقط من المزارع
الخشب المتساقط من الغابات
هذا هو الفصل الذي تتساقط فيه الأشياء
عند هبوب الرياح
ريح تهب من القبر
فتحصد الأحياء أيضًا
فهي تتساقط بالآلاف
كالريش الذي لا تقع فيه
الذي ينفضه النسر في الهواء
حين يكسوه الريش الجديد
فيدفئ جناحه

(*) ترجمة «عبد الحليم محمد»، ونشرت بالسياسة الأسبوعية العدد ٢٤٢ من السنة الخامسة (أكتوبر ١٩٣٠ ص ١٩).

في الشتاء المقبل
لا تعود أرواحهم إلى الحياة
آه ! عندما نأخذ رياح الخريف
في الصفير على الأفنان الميتة

وعندما يتقصف العشب الجاف من البرد
وعندما يعود الصنوبر إلى نظامه
وعندما يأخذ ناقوس الظلام
في إعلان دقاته الحزينة
وعندما يمر الليل على الغابات
ويمر على كل ريح متحفزة
وكل موجة على القبر
أقول : « أليست هذه أصواتهم ؟ »
قلّما تكون أصواتهم الطاهرة
ظاهرة لحواسنا
أما أرواحهم فتتمتم سرّاً
بأشد العبارات عمقًا
ومن أعماق القلوب الراقدة
تكون ذكرياتهم الحية
منتشرة في الآفاق
كأوراق الأشجار الجافة
التي تقف في وجه العاصفة
التي تكتسحها من جذورها
هذه أم خطفت
من بين أطفالها المشتتين

فهي تسمعهم من الحياة الأخرى
أيتها الأرواح العزيزة يا غراس الدموع !
يا من عفا عليك النسيان حتى أنساك نفسك
أليست معك بقية من قلوبنا ؟
يا إله العفو ! يا إلههم ! يا إله آبائهم !
يا من كانت أفواههم تلهج بذكرك كثيرًا
تقبل منهم دموع إخوتهم !
فلنصلِّ من أجلهم أولئك الذين أحبونا كثيرًا !
مدَّ إليهم يد رحمتك
لقد أذنبوا ولكن السماء إحسان !
لقد تألموا وهذه براءة لهم ثانية !
ولقد أحبوا وهذا طابع العفو !

✱✱✱✱

# اللانهاية في السماوات(*)

آه ما أعظمَ اتساع سَمَاواتِكَ
ولِمَ يَخْنَى العَقْلُ البشريُّ ويَتَضاءَل،
يَا إلَهي حينَ يَذْكُرك
وحِينَمَا يتأملُ الإنسانُ،
وهْوَ تلك الذرَّة الضَّعيفَة
مَلكوت السماواتِ، حيث تتوهُ عينَاهُ،
ثم يعودُ ويقيس نَفْسَه باللانهاية
ويتعرف على عظمةِ عجائِبِكَ
ثُمَّ تأخذُهُ الدَّهْشَةُ ويقول لنَفْسِهِ
مَن أنا ؟
آه من أنا يا إلهي أمام عظمة السماوات ؟
وأمامك ؟

****

(*) نقلنا الأبيات عن د. تاج السر الحسن: الابتداعية في الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢، ص ١٣٠، يتصدرها : «ومن القصائد التي تؤكد هذا الاتجاه الصوفي في الأدب الأوربي قصيدة لامرتين التي يسميها : اللانهاية في السماوات، من ديوانه : الألحان، ومن هذه القصيدة إليكم»، وفي الهامش أن هذا النص ونماذج أوربية أخرى نقلها عن كلٍّ من عبد الحكيم حسان (التصوف في الشعر العربي) ولويس عوض، وعبد الرحمن بدوي، ونرجح أنه هو صاحب هذه الترجمة، خاصة وأن هناك فقرة تتحدث عن الغير - حبيبة لامارتين - وكيف أنها «قد خلّصت نفسها في آخر حياتها من الحب الإنساني بحيث كان الحب الإلهي استمرارًا للحب الإنساني».

# جـرازيـيـلا(*)

على شاطئ البحرِ الخِضّم
الذي ترتسم على صفحاته مباني سورانت[1]
حيث الأمواج الزرق تنبسط تحت أقدام شجرِ البرتقال
قبالة سياج الأجمة العَطِرْ
أقيم نصب صغير، لا رواء له ولا بَهاء
قد غطته الأعشاب، ووارته الزهور
فاختفى تحت أوراقها اسمُ الراقدة
الذي لم يفكر فيه أحد، ولم يردده صدًى
فإذا ما مر عابرُ سبيل
واستوقفته عاطفةُ رأفةٍ وحنانْ
فأزاح بيده النباتات

---

(*) ترجمة جورجي نيقولاوس ونشرت فى المقتطف بالجزء الثانى من المجلد الثالث والثمانين للشاعر الفرنسى دي لامرتين (أول يوليو ١٩٣٣) ص (١٥٠ ) وما بعدها، وكانت قد نشرت قبلاً تحت عنوان : الإيطالية الحسناء» بواسطة المترجم ذاته في مجلة العصور بالعدد السابع والعشرين (نوفمبر ١٩٢٩) ص (٢٠٠) وما بعدها، يتصدرها :

«جرازييلا فتاة إيطالية من سكان نابولي كان أهلها صيادي سمك فقطن في منزلهم الفونس دي لامرتين في أثناء سياحته في البلاد الإيطالية، وكان وقتئذٍ في الثامنة عشرة من عمره فأحبته الفتاة حبًا تملك كل مشاعرها وتسلل إلى سويداء قلبها، لكنه سلاها عندما غادر إيطاليا عائدًا إلى موطنه تلبية لنداء أمه. فماتت تلك العاشقة حزنًا وكمدًا بعد شهور من فراقه، حتى إذا كانت سنة ١٨٣٠ أي بعد الحادثة باثنتين وعشرين سنة تذكرها وهو في إحدى كنائس باريس يحضر جنازة فتاة تماثلها سنًا. فبكى بكاء مرّاً، وتمثل له غدره وخيانته لتلك التي قتلها صده وبعاده، فيمم صوب إيطاليا وزار نابولي باحثًا عن قبر تلك التي ذهبت ضحية على مذبح أنانيته حتى عثر عليه فى مكان موحش فجثا على أديمه وبلل ثراه بدموعه مستغفرًا عما جناه، ونظم هذه المرثية التي هي بلسم للجرح، وندى للقلب، وعطر الزهور التي تنبت على أرماس المحبين».

(١) مدينة في إيطاليا على خليج نابولي (المترجم).

مستطلعًا طلع ساكنة الرمس
استعبرت عيناه، وفاضت مدامعه
فكفكف عبراته، وعاود سيره آسفًا حزينًا
وهو يتمتم: ستة عشر ربيعًا ! لم تستتمها !
لقد ماتت قبل أوانِها
أجل ! ستة عشر ربيعًا غير كاملة
عمرٌ قصير الأمد، لكنه لم يسطع ألبَتة على جبهة أجمل من هذه وأبدع
ولم ينعكس بهاء هذا الشاطئ المحرق
في عين أشد صبابة ولا أكثر هيامًا
إني أراها وحدي، كما تركتها الذكرى حيةً فى النفس،
حيث يبقى الشيءُ دون أن تنال منه يد الموت
أراها حية كما كانت في تلك الساعة
والفُلك يسري بنا على متن الأمواج
وقد علق نظرها بنظري، فتكلمت عيناها، وصمتت شفتاها
مخافة أن يقطع الكلام لذيذ هنائتنا
وشعرها الأسود الفاحم، مستسلم إلى الهواء يحله ويداعبه
وظل الشراع يتيه على خدها الجوري[1]
وهي تستنشق عبير النسيم العليل
فأشارت ببنانها الوردي إلى القمر المتلألئ
ثم إلى زبد الماء الفضيِّ، وصاحت بتدلّهٍ :
لماذا كل شيء يسطع في الفضاء وفي نفسي
فهذا الحقل السماوي، ذو اللون الأزرق السمنجوني، المنزرع شهبًا منيرة
وهذا الرمل الذهبي حيث تتكسر الأمواج
وهذه الجبال التي ترتعد قننها في أقصى الفضاء

(١) نسبة إلى الورد الجوري (المترجم).

وهذه الخلجان المتوَّجة بالغابات الهادئة الساكنة
وهذه الأصوات على الساحل، والأغاني على الأمواج
لم تهيج قط حواسي، وتملأها لذة مبهمة
وحبورًا خفيّاً، مثلما فعلته الآن.
«لماذا لم يذهب بي التأمل فيما مضى مذهبه الآن !
فهل اعترى حياتي حدث رقق من شعوري، ولطف من إحساسي
وهل بزغ في فؤادي كوكب، مثل ذلك البازغ في السماء؟»

✲✲✲✲✲

وكانت عينها صافية نقية، وشفتها طاهرة عفّة
وجفناها لم يكونا ليحولا بين نظرها الملوء عفافًا وقدسًا
وكانت السماء تغمر نفسها بالضياء
وروحها أشبه بتلك البحيرة
التي لا تجعّد سطحها نسمة، غير نسمة الشفوف والنقاء
وجبينها البديع لم يصل إليه الهم ليسمه بميسمه
فكل شيء فيها بطرٌ مرحٌ، وهذا الابتسام اليافع
الذي مات بعدئذٍ بحزن على فمها
كان دائمًا طافيًا على شفتيها المنفرجتين
كأنه قوسُ قزَح نقي، في يوم بهيّ ذي سناء
وذلك الوجه الفتّان لم يستره ظل، ولم يحجبه حزن
لأن هذا الشعاع لم ينفذ بعد خلال الغمام
وكان صوتُها الذي يحاكي رنين أكواب الفضة
صدًى نقيًّا صافيًا لنفسها الطِّفلة
وموسيقى لتلك الروح
تنشد على قيثارتها أغاني العواطف
فتسبي العقول، وتأسر الأفئدة

وتبهج حتى الهواء الذي تصعد على جناحيه.
لقد كانت صورتي هي الأولى التي حفرت في قلبها
فتقبَّلتها كما تتقبل العينُ أول شعاع من ضوء النهار
فتغدو لا ترى غير ذلك النور الذي فاض عليها
فملأها من سنائه وضيائه
فعندما أحبَّت، أصبح العالم كلّه لها حبّاً وصبابةً
فامتزجت بي، وامتزجت بها
فنبذت الماضي، وأشاحت بوجهها عن المستقبل
ولم تعُد تهتم إلا بالساعة التي هي فيها
فتلاقٍ من تلاقينا الليلي هو كل مُنى نفسها
بل هو حياتها وروحها وريحانها
فكانت تستسلم إلى الطبيعة الهادئة
فتبتسم لها هذه، عندما تقوم بصلاتِها الحارّة الورعةْ
فتقصد صوب الهيكل المقدس، حاملة بيدٍ أزاهير التقدمة
وقابضةً بالأخرى على يدي
فأسير معها طائعًا كطفل
حتى أقف في أسفل الدرج، فتُسِرّ إليَّ بصوتها الملائكي:
«صلّ معي، لترتفع نفسانا إلى السماء
لأني لا أصبو إلى جنة الخلد
ولا أتمناها، إذا كانت خُلْوًا منك».

☆☆☆☆☆

غاب شخصي فارتعد كل شيء في أعماق تلك النفس
وانطفأت تلك الشُّعْلة مصعدة لهيبها المائت إلى السماء
وتغلغل فيها دون أن يُرجَى له عَوْد
ذهبت تلك الحبيبة ولم تُضْنِ فؤادها بالتعلة والأمل

ذهبت ولم تنازع الآلام حياتها
بل شربت كأس المرارة والأحزان نهلة واحدة
فأغرقت قلبها في أول دمعة ذرفتها عينها
فحاكت ذلك الطائر الذي إذا جن ليله
لوى عنقه تحت جناحه ونام
فالتحقت باليأس الصامت
ونامت هي أيضًا نومها الأبدي
ولكن قبل أن يزرَّ غسق حياتها
وتبدو طلائعُ ليلِها
نامت خمس عشرة سنة في مرقدها الصلصاليّ
ولا أحد يَبِلُّ بدموعه ثرى ملجئها الأخير
فالنسيان السريع الذي هو كفن الميت الثاني
قد غطى الممر المؤدي إلى تلك الحفرة
فليس من يزور ذلك الحجر الذي محت نقوشه يدُ الزمن
لا أحد يفكر بها ويصلي لأجلها
غير ذهني الذي علقت به كل ذكرياتِ الماضي
فإذا ما صعدت على أمواج أيامه السالفة
وساءلت نفسي عن الذين رحلوا من هذه الفانية
وطفَّت عيناي على آثارهم العزيزة
وبكيتُ في سماء حياتي، على نجوم عِدّةٍ غارت وخبا ضياؤها
كانت تلك الحبيبةُ أول الكواكب التي أندب خسوفها
مع أن ضوءها الهادئ اللطيف
لم يزل يُنير قلبي بنور التقوى والخشوع

☆☆☆☆☆

نسيها الناس طُرّاً، لكن الطبيعة لم تَنْسَها

فقد حَلّت قبرها بشُجيرة شائكة صفراء الورق، يابسة العروق
امتصَّت عصارتها رياحُ البحار
وأوقفت نموها حرارة الشمس فدبَّت على الصخر دبيبًا
دون أن ترفع رأسها، فأشبهت تلك الحسرة المميتة
التي تتسلل إلى القلب وتتأصل فيه
ولا تزال تتغلغل في صميمه حتى تأتي عليه
فإذا ما أقبل الربيع، وبسمت الطبيعة
نبتت على ذيَّاك القبر زهرة بيضاء، كأنها الثلجُ في نقائها ونصوعها
فتحاصرها الريح، وتضيق عليها من كل جانب
ولا يدور الفلك دورة أو دورتين
حتى تنتثر أوراقها، قبل أن يُعطر أريجُها الفضاء
فما أشبه هذه الزهرة بساكنة الرّمس
التي هُصر غصنها الغض، قبل أن تُبهج الحياة فؤادها
وتسرها بنيل المنى وإدراك الأماني ...
ألا بالله خبريني أيتها الزهرة الذابلة
ألا يوجد مكان غير دنيانا
تزدهر فيه الأشياءُ ازدهارًا
لا يصيبه ذبول، ولا يعتريه أفول؟.

✱✱✱✱

# موت سقراط(*)

ماذا ؟! أتبكون أيّها الأصدقاءْ؟!
أتبكون وقد تحررت روحي من أثقالها الجسدية الدنيئة
فهي كالبخور تحرقه الكاهنة
على وشك الطيران نحو الآلهة ؟!
أتبكون أيها الأصدقاء
حينما ترحب روحي بهذا اليوم الطاهر
الذي كانت تطمح إليه ؟!
حينما توشك على السفر في رحلة مقدسة
تبحث فيها عن الحقيقة
فتعثر عليها، وتتعرف إليها ؟!

إذًا علام الحياة إذا لم يكن مصيرُنا للموت ؟!
علام أحببت الألم في سبيل العدالة ؟!
علام كانت نفسي الحبيسة

(*) ترجمة السيد أحمد عيتاني، ونشرت بالرسالة العدد ٢٤٢ من السنة السادسة (٢١ فبراير ١٩٣٨)، ص (٣٠٤)، يتصدرها:
«تذكر لنا الرواية اليونانية أن سقراط حينما حكم عليه أشار عليه أصدقاؤه بمغادرة أثينا والنجاة بنفسه، فأبى عليهم ذلك، وآثر الموت على الفرار، ولما قدمت إليه كأس السم تجرعها بجرأة ورباطة جأش، ولم يكد يفرغ من تناول ما فيها حتى أجال نظره بين أصحابه، فلمح عبراتهم تتساقط على وجناتهم حزنًا عليه، وألمًا لما حل به؛ فألمه هذا المشهد ووقف في أصدقائه خطيبًا وهو في نزعه الأخير، يشرح لهم الموت ونظرته إليه، ويطلب إليهم أن يكفوا عن البكاء وقد نظر الشاعر الفرنسى الكبير لامارتين إلى هذه الرواية، فنظم حوادثها في شعر يفيض رقة وعذوبة وجمالاً وسلاسة، وجعل عنوانها «موت سقراط»، وفيما يلي خطبة سقراط بعد تجرعه السم، وهي من أروع ما جاء في هذه القصيدة الفذة».

تقاوم حواسَها وميولها الدنيئة العنيفة
أثناء تلك الميتة التي تسمونها الحياة ؟!
ماذا عسى تكون الفضيلة بغير الموت أيها الأصدقاء؟!
ذاك ثمن المعركة، ذاك تاج سماوي
يمنحنا إياه حكم زكي في نهاية المرحلة

✲✲✲✲✲

إن صوت «جوبيتر» يدعوني إليه
ألا فلنقدسه أيها الأصدقاء
فإني أستمع إليه الآن!
لقد كان بوسعي، لو رغبت في بقية من الأجل
أن أحمل السماء على ترديد ندائها إليّ
ولكن، لتحفظني الآلهة من هذا !
فأنا حين تدعوني إليها ألبيها عبدًا مطيعًا !

✲✲✲✲✲

وأنتم أيها الأصدقاء: إذا كنتم تحبونني
فأريقوا على رؤوسكم العطور،
شأنكم في أبهج أعيادكم،
وعلقوا على حائط سجني قربانًا،
ثم خذوا بيدي نحو ذراعي الموت،
وقد توجتم جباهكم بأطواق الرياحين
كما يؤخذ بيد العريس الشاب إلى سرير زفافه،
وقد أخذت الجموع المتدافعة
تنثر أمامه الأزهار، أمام عتبة عروسه !

✲✲✲✲✲

وبعد، فما الموت ؟ إن هو إلا تحطيم هذه العقدة الدنسة؛

إن هو إلا فسخ هذا الاقتران الشائن بين الروح والأرض؛
إن هو إلا إزاحة عبء ثقيل ترمي به في القبر!
إن الموت انتقال أيها الأصدقاء، وليس فناء!
والإنسان ما دام رازحًا تحت هذا الجسد المقيد به
يزحف بعناء عظيم نحو الخير الحق
وما دامت رغباته السافلة تقطع عليه هذا المسير
فسيسير وراء الحقيقة بخطوات راجفة، وربما أضاعها أيضًا !
ألا إن من يصل إلى آخر حياتها التي يرجوها
ويبدو له شعاع فجر يومه الأبدي
ليعودُ ثانية نحو السماء، وكأنه شعاع من أشعة المساء !
ويرتدُّ ثانية إلى جوار الآلهة، بعدما أُقصي عنها
حيث يحتسي بشرَهٍ ذلك الرحيق المسكر
ويبدأ حياته من ذلك اليوم الذي يقضي فيه !

✡✡✡✡✡

ألا إن الموت ألم، والألم شر أيها الأصدقاء !
ولكن ما يدرينا ذلك ؟!
ولو كانت ساعة الموت الرهيبة
ساعة يتألم فيها جسمنا الفاني
كما تتألم الضحية الذبيحة
أو ليس عن الشر يصدر كل الخير ؟!
إن الشتاء ليتمخض عن الصيف، وإن الليل لينكشف عن النهار!
لقد وضع الله تعالى بنفسه هذه السلسلة،
ونحن، وقد جئنا إلى هذه الحياة على الرغم منا؛
فليست هذه الميتة الهانئة التي يرهبها ضعاف النفوس
إلا ابتداء حياتنا في العالم الخالد !

✡✡✡✡✡

ولكن، أيكفي أن نموت لنبعث ثانية ؟!
لا ! بل يجب أن نحرر أنفسنا من نير حواسنا
ونعمل لنصرتها على ميولنا الفانية !
يجب أن تكون حياتنا هذه موتًا طويلاً !
إن حياتنا معركة، والموت انتصار لنا فيها !
إن الأرض لدار يطهر فيها الإنسان نفسه؛
فعليه، وهو فيها على عتبة الموت قد تجرد عن حواسه،
أن يقذف إلى النار بثوبه المدنس
قبل أن يتقدم بروحه، ضحيةً طاهرةً
إلى الآلهة الزكية في الدار الصالحة !

☆☆☆☆☆

إنهم (الأشخاص الصالحين) يُلْحَقُون بالأبطال والآلهة
لدى الإشارة الأولى!
يلحقون بهم في السماء حيث لا يوجد موت !
إنهم يلحقون بهؤلاء الذين دمروا شهواتِهم إبان حياتهم القصيرة
فأخضعوا المادة للعقل وأذلوها له.
هؤلاء الذين خضعوا للشرائع والقانون،
وأصغوا إلى صوت ضميرهم الداخلي،
واتبعوا طريقًا سويّاً بعيدًا عن الناس،
وخدموا الآلهة وعبدوها، وفي ذلك أصل الفضيلة،
وأحبوا الحقيقة، وتأملوا للفضيلة،
فاستعادوا حريتهم من الآلهة ابنة السماء.

✱✱✱✱

# الاستيقاظ(*)

بزغت الشمسُ على ذُرَى (هيميت)[١]
من معبد (تيزيه)[٢] فأضاءت العيد،
وقذفت بنيرانها حوائط (البارثينون)[٣]
كوداع خفي زلق في السجن
وكان يرى فوق البحار مؤخر سفينة مذهب

---

(*) ترجمة محمد أسعد ولاية في «مختارات ...» ص (٥٩) وما بعدها، وسبقت النص صفحة تحمل عنوان «ممات سقراط وتاريخ ١٨٣٢ (وقد طبعت بشكل يوهم أنها قصيدة مستقلة، وليس هذا صحيحًا، وتشمل هذه الصفحة على التعليق التالى :

«استقى «لامرتين» البيانات التي ضمنها قصيدة (الاستيقاظ) "Le reveil" من (فيدون) «Phédon» وهو صديق وتلميذ لسقراط. حيث قص عليه اللحظات الأخيرة لأستاذه؛ وقد أنشأ «لامرتين» هذه القصيدة في (بلانون) ومن المعلوم أن سقراط وهو في سن السبعين كان ضحية لتهم مفتراة، وقد حكم عليه بالإعدام كمرتكب للخيانة العظمى للدولة. وهؤلاء الذين اتهموه وشوا به وقالوا إنه أدخل في (أثينا) شرائع لاهوتية جديدة أفسد بها الشباب.

والثلاثون يومًا التي قضاها في سجنه مضت مع أصحابه الذين قبض عليهم، وفي اليوم الأخير حدثهم، مع صفائه المألوف، عن الخلود وعن الروح، ثم أطبق جفنيه ومات بعد أن انتحر بالسم.

إن قصيدة «ممات سقراط» ليست ترجمة، بل هي اختصار وتبديل من (فيدون) ولم يقدم (لامرتين) نفسه قصيدة إلا كجزء مقتطع، ولقد حذف بنوع خاص معظم أجزاء التقدم فى علم ما وراء الطبيعة من المناظرة.

وعلى سبيل الانتقام أعار الشاعر الفرنسيُّ (سقراط) نوعًا من التبتل المسيحي إلى الله، مما لا يتفق بالطبع والأصل، وقد جعل منه مبشرًا بالمسيح.

وبالرغم من أن هذه الكلمة تشتمل على اسم (سقراط) فقد قال الناشرون أنهم شعروا والحالة هذه بفلسفة أكثر تقدمًا، وكتذوق سابق لديانة المسيحية قرب تفتحها».

ثم أضيفت بعدها هذه الفقرة :

إن سقراط لامرتين ليس سقراط التاريخ ولا سقراط المبدل بالقصص الأفلاطونية، إنه سقراط مجدد يتكلم كحكيم وكنبي ويحيله الورع إلى القداسة، ويستطاع إبداء الأسف لعدم بقائه أكثر قربًا من بساطة النموذج التاريخي.

(١) (هيميت) جبل فى الجنوب الشرقى من أثينا (المترجم).

(٢) (تيزيه) معبد قديم العهد يقع فى الشمال الجنوبى للأكروبول (المترجم).

(٣) (البارثينون) معبد متهدم قديم العهد كان مقامًا فوق أكروبول أثينا (المترجم).

ويسمع دويّ أناشيد مقدسة تشد طريقها إلى (بيريه)[1]
وكانت هذه السفينة[2] هي التي يعود معها القدر المحتوم
ولكن القانون كان يحرم انتزاع حياتهم
طالما كانت الشمس الجميلة تضيء (يونيا)
خشية أن تتعرض أشعتها الموجهة للأحياء
الواصلين بأعين ساهمة، للدنس
أو لكيلا يكون التعس عندما يغمض جفنيه
سقراط! إنك أنت الذى ألقيت في القيود الحديدية،
ستموت من أجل العدالة ومن أجل الحقيقة!!

☆☆☆☆☆

وأخيرًا دارت رزات السجن ذوات الضجيج
وبخطى وئيدة، وعيون خفيضة اندفع الأصدقاء
ولكن سقراط، ألقى نظرة على الأمواج
وأشار لهم بإصبعه إلى الشراع نحو جزيرة (ديلوس)
وقال : انظروا! فوق البحار مؤخر السفينة الزاهرة
إنها السفينة المقدسة ذات الفن السعيد !
فلنتخيَّل، هذا الشراع هو الموت !
إن روحي بمجرد أن تلج الباب،
عندئذٍ تحدثوا، وإن هذا اليوم الإلهي
في مستقرنا الحلو سيمضي كذلك أيضًا
علينا ألا نلقي فى الهواء فضلات المأدبة
لنستهلك حتى النهاية عطايا الآلهة المقدسة
السفينة السعيدة التي تصل في موعد الرحلة

(١) (بيريه) أهم موانى أثينا الثلاثة (المترجم).

(٢) (هذه السفينة) (لا جالير) كانت تبحر كل عام إلى جزيرة (ديلوس) وعليها مبعوث لحضور أعياد (أبوللو) وهناك قانون يحرم إعدام أي إنسان بين سفر السفينة وعودتها (المترجم).

لا تعلق رحلتها على مرأى الشاطئ،
ولكنها تكلل بالأزهار والشراع في الهواء
وتدخل مع الأغاني إلى المرفأ الذي يدعوها !

☆☆☆☆☆

يقال إن الشعراء قبل دنو الساعة الأخيرة لأحدهم
يبكي بنغمات موسيقية كنغمات الطائر الجميل،
أيها الأصحاب، لا تصدقوا شيئًا من هذا، فالطائر الغريد
يغرد بفطرة أكثر سموّاً منحت من الآلهة
من نهر (أوروتاس) الضاحك قرب مغادرة الشاطئ
تتقدم روح هذا الجسم الجميل وهي نصف شاردة
عرضة للبكاء مرتين، على الحياة وعلى الضياء
كما أن الرجل المعتقل في موطن أجداده
يرحل قبل أن يضيء الفجر السماوات
فى انتظار استيقاظ ابن (سوفرونيك)[1]
كان بعض الأصحاب المتشحين بالسواد في قلق تحت الرواق
وامرأته واضعة ابنها فوق ركبتيها،
وكانت تشد الطفل الذي كانت يده تلعب بالمزلاج
شاكية من إبطاء السجانين الفاقدي الشعور،
ضاربة بجبهتها نحاس الأبواب الصلب
والجمهور غير المبالي بالصراخ من آلامها
كان يسأل عرضًا إبان مروره عن سبب بكائها،
ويستأنف في الحال سيره المعلق،
وفي الساحات الطويلة من الجماهير المنتشرة
يستخلص من هذا الضجيج الهادر بين الجمهور المحتشد

(١) (سوفرونيك) هو الاسم الحقيقي لوالد سقراط (المترجم).

أنه كان يتحدث عن المذابح المهلكة، وعن الآلهة المسبوبين،
وعن العبادة الجديدة التي أفسدت الشباب،
وعن هذا الإله الذي يدوِّن اسم الغريب في اليونان !
لقد كان هذا من بعض الجهلة وبعض الشواذ المقوتين
وبعض الأورستيين الجدد الذين أعمتهم الآلهة،
بما أدى في النهاية إلى العدالة المتأخرة،
وأن الأرض يجب أن تكون ضحية للسماء،
خطوة فخطوة حيال عالم فاتن ،
وترى بزوغ اليوم الصافي للخلود،
وخلال اختطاف الروح الحلو حيث تتجه هذه النظرة
إلى الأرض يتجلى سرورها إبان الموت
أيها القريبون من القبر، هلموا لكي تسمعوني
إنني طائر غريد أيضًا، إنني أموت، ثم أغني !
ستنفجر تحت القبو لهذه الكلمات زفرات
ومن محيط أكثر ضيقًا سيلتف حولها أصحابه،
بما أنك ستموت أيها الصديق وسترحل سريعًا
حدثنا عن الأمل وعن الخلود،
قال: إننى أريد ذلك كثيرًا، ولكن لنبعد النساء
فإن حسراتهن الخانقة توهن أرواحنا
إذن، يجب ازدراء الذين يخشون القبر
والدخول بقدم جريئة في عالم جديد !

✱✱✱✱

# آخر طلق من بندقيتي (*)

خرجت ذات يوم للصيد
فلمحت على بعد ظبيًا
تلوح عليه دلائل الطهارة والغبطة
وهو يقفز مرحًا فوق الخضرة التي بللها الندى
ويظهر أن الغريزة التي تخلفها العادة
تتغلب دائمًا على الطبيعة النفور من القتل
ولذلك لم أشعر إلا وقد فتَّتت رصاصتي إحدى كتفيه
وعندئذٍ أخذت أقترب منه وقد هرب دمي واضطربت نفسي
لأن ذلك الحيوان الوديع كان ورأسه ملقى فوق العشب
ينظر إليّ بعينين تسبح في مآقيهما الدموع
نعم إنني لن أنسى تلك النظرة التي جمعت بين دهشته وألمه
لأنها كشفت لي عن مبلغ شعوره الناطق وإن كان أبكم
شعرت كأنها توجه إليّ مرير العتب على قسوتي
التي لم تقم على سبب، وكأنها تقول لي :
«من أنت ؟ إنني ما أسأت إليك
بل ربما كنت من الصابرين على حبك
فلِمَ طعنتني تلك الطعنة القاتلة ؟
ولِمَ تطمع في حصتي من السماء والهواء والنور
وتحول بيني وبين الحياة والشباب ؟

(*) ترجمة محمود خيرت، ونشرت بالرسالة العدد ٧٦ (ديسمبر ١٩٣٤)، ص ٢٠٥٧ .

ماذا يكون حال أمي وإخوتي وصغاري وصحبي وهم يرقبون عودتي
إذا لم يروا بعد ذلك إلا بعض نتف مبعثرة من صوفي على أثر اعتدائك
وهذه النقط من دمي الذي لطخت به وجه هذا العشب النضير ؟
أفاتك أن في السماء منتقمًا لي وقاضيًا لك ؟
ومع ذلك فقد صفحت عنك، وهاهما عيناي لم يعد فيهما أثر للحقد
لأنني فطِرت على التسامح، حتى مع قاتلي !».

✱✱✱✱

# الفراشــة (*)

تولد حين يذر قرن الربيع، وتقضي لما يرفرف الموت فوق أكمام الورد :
تسبح وقد امتطت جناح النسيم، في سماء صافية الأديم
وتتأرجح على أكمام أزاهير لا تكاد تتفتح
فيسكرها عَرْف نفاح، ونور لماح، وزرقة بهيجة
تنفض الغبار عن جناحيها والميلاد حديث
وتطير صاعدة إلى السماوات العُلا خفيفة كالنسيم
تلك حياة الفراشة المشرقة
إنها لتحكي الرغبة: تمس كل شيء ولا تقع أبدًا على شيء
ثم تعود أخيرًا إلى السماء تنشد اللذة الفقيدة.

****

(*) ترجمة عارف قياسة، ونشرت بالرسالة العدد ٢٢٥ (أكتوبر ١٩٣٧) ص ١٧٤٨، مسبوقة بترجمة قصيدة من نظم شاتوبريان، وكلتاهما تحت عنوان : قطعتان من روائع أدب الغرب.

# إلى ألفيـــر(*)

« . أما الشاعر فإنه لقادر على أن يترك
لمن يحب ويهوى حياة لا يهرمها العفاء!»

بَلَى إن نهر «آنيو» ليمور وقد استفاضت أثباجه
ورجّع صداها اسم «سنتي»(١) البهي
وكذلك نهر «الفوكلوز» ألا تراه هادرًا دافقًا
يحمل إلى صخور «تيبور» اسم «لور»(٢) المستحب
وإن لنهر «فه رار» مثل هذا الشأن
إذ ألقى في سمع العصور الآتية اسم «ألينور»(٣).

☆☆☆☆☆

يا لهناءة الجمال! وقد عكف الشاعر على عبادته واصطفاه حرمًا ومقامًا!
بل يا لهناءة الاسم الذى يسكن في أغانيه وأناشيده !
أيتها الحبيبة ! إنك لتستطيعين أن تبعثي أنفاسك الأخيرة
أما الشاعر فإنه لقادر على أن يترك لمن يحب ويهوى حياة لا يهرمها العفاء
ألا ترينه وقد سدر في سدفه
يُحلِّق في الفضاء بجناحين من عبقرية وذكاء ؟
إنه ليصعد حتى يلتقي مع الخلود في مصاف واحد

☆☆☆☆☆

(*) ترجمة الأستاذ معروف الأرناؤوط، ونشرت بالرسالة، العدد ١٨٦ من السنة الخامسة (يناير ١٩٣٧) ص ١٤١ وما بعدها

(١) «سنتي» حبيبة الشاعر الإيتالى «بروبه رس».

(٢) «لور» حبيبة الشاعر «به ترارك».

(٣) «ألينور» حبيبة الشاعر «لوتاس».

لَئِنْ كان زورقي، وقد استخذى للرياح البوارح
غَبَرَ يمشي قدمًا إلى شاطئ وادع ساكن
فذلك لأن ريحًا ليِّنَةً سَجْوَاءَ تهافتت عليه
ومشت به إلى نور دافق
إذا كانت هناك شموس أبهر لألاءً استفاضت فوق هامتي
إذا كانت دموع الحبيبة غسلت حوبات قدري العاثر
ورفهت عن جبيني وقد غشيته ظلال الفناء
فربما كان ذلك – عفوك يا صاحب النغم الثائر –
حاديًا بي إلى أمر يتساوى معه تمرّدي بالحب
الذي يستهويني فأصوغ أناشيد الرثاء والنزع
وأترك في معبد الحب القديم نصبًا قائمًا، وأثرًا خالدًا
ألا ترى الرجل الجوَّابة
وقد اعتسف السَّير، وارتاد حمى الوادي
كيف اطمأنَّ إلى الشجرة الفرعاء
ينعم بوارف ظلِّها ثم استفزته نوازع النفس
إلى نقش اسمه على جذعها فترك بذلك أثرًا بيِّنًا

✲✲✲✲✲

أرأيت كيف تنكر كل شيء واستبهم
وكيف غشيت ظلمة الموت حواشي الطبيعة فتعرّت الأرض من روائها
ونَصَل زَبرج الغابات وذوى
واستفاقت أمواج النهر في أعماق الزاخر الهزج
وهبَّت على المروج ريحٌ صرصرٌ عاتية
صوّحت زهرها وأقاحها
ومشت عربةُ الخريف في مزالق السنين
تدفعها إلى المجهول يدُ الشتاء العابثة

إن الزمن والموت حليفان
سلاحهما سيفٌ مُرْهَفُ الحدِّ عَظيم الصليل، إنهما ليطويان العالم الخامد
ويجددانه كرّ الغداة ومرّ العشيّ
ينثال الحصاد في حضيض النسيان الأبديّ
وكالصيف الذي يتساقط عشبه وينهار
وكالكرمة الذابلة المصفرّة إذ ترى الخريف المخصوصب
يلقي بأزهارها إلى القطاف
هكذا ستسقطين وتذبلين يا زهرات العمر القصيرة
وما تمثل فيك غير الشباب
والحب والسرور والجمال الزائل
انظر بعين رأفةٍ وَحُبّ إلى ذلك الشباب الهادر !
إنه يتألق ويفيض جمالاً ثم يمتصه السرور والفرح
وحينما تنصب كأسه المترعة لن يبقى منها إلا ذكرى ضئيلة
فإن القبر الذي ينتظره يبتلعه بأسره
ثم يسود هذا الحب سكونٌ أبدِيّ
ولكن العصور الآتية ستمر فوق رغامك يا «ألفير»
وستعيشين إلى الأبد.

✱✱✱✱

# الروح خالدة (*)

ماذا ! أنتم تبكون أيها الأصحاب !
ابكوا عندما تصبح روحي كبخور نقي تؤججه الكاهنة.
وتحرر إلى الأبد من ثقل جسمها الحقير،
وسوف تطير إلى الإله وفي مقام مقدس
تحيي هذا اليوم الصافي، الذي ربما شهدته
تبحث عن الحقيقة، وتراها وتعرفها !
لماذا إذن نحن نعيش، إذا لم يكن هذا لكي نموت
لماذا أنا لأجل العدالة أحببت العذاب ؟
لماذا في هذا الموت الذي يسمونه بالحياة
نكافح ضد سفاسفه النازلة رغم الاستعباد
فهل كافحت روحي حواسي ؟
بدون الموت، يا أصدقائي، ماذا عساه أن يكون الإيمان ؟
إنه ثمن الكفاح، إنه الإكليل السماوي
فإن على مشارف المرحلة قاضيًا مقدَّسًا يمنحنا
صوت كوكب المشتري الذي يدعونا إليه !
لنباركه أيها الأصدقاء ! إنني أسمعه اليوم،
كنت أستطيع المجادلة في العقبة الباقية من أيامي،
وأقوم بترديد الأمر السماوي مرتين
مستعينًا بالإله على إطالة المرحلة !

(*) ترجمة محمد أسعد ولاية في مختارات ص (٦٣) وما بعدها، يتصدرها : «إن الكلمات الأولى لسقراط أثارت أصحابه إثارة عميقة، بينما هو استرسل وهو يبتسم» .

دعاني الإله كعبد يقظ فلبيت مسرعًا !
وأنتم، إذا كنتم تحبونني انثروا العطور
فوق رؤوسكم يا أصدقائي كما يجري في أجمل الأعياد
وعلقوا قربانًا على حوائط السجن
والجبهة المتوجة بإكليل نضير،
وكعريس شاب ينثر الجمع الحاشد الزهور
الظاهرة على عتبة الحرم، ويوصله إلى سرير الزفاف بعد الحمام
اصحبوني باليد بين ذراعي الموت !..
فما هو إذن الممات ؟ إنه تحطيم هذا القيد المرذول ،
هذا الزواج الفاجر للأرض مع الروح،
بوزن خاسر يُلْقى به أخيرًا إلى القبر،
ليس الممات مماتًا أيها الأصدقاء . إنه تبدّل !
ومهما عاش الرجل متعبًا تحت الجسم الذي يقيده،
فإنه ينسحب بكثير من الضعف حيال الحقيقة،
وباحتياجاته الحقيرة في رحلته التي أوقفت ،
ثم بخطوة مضطربة يصل إلى الحقيقة ،
بيد أن ذلك الذي يصل في الموعد الذي يتمناه ،
يرى من النهار الأزلي الوضاء الفجر،
كشعاع المساء يعود صاعدًا فى السماوات،
ويشرب طويلاً الرحيق الذي يسكره
ومن يوم وفاته يبدأ الحياة !

✡✡✡✡✡

ولكن الممات عناء . والعناء سر
هل نعلم أيان ذلك أيها الأصدقاء ؟ ومتى
تحل لحظة القدر المحتوم

مقدسة بالدم كضحية كبرى
سيكون العذاب قصيرًا لهذا الجسم المضحّى
أليس كذلك، من شر واحد ينتج جميع الخير ؟
الصيف يخرج من الشتاء، والنهار يخرج من الليل،
والله نفسه ربط هذه السلسلة الأزلية ،
نحن ندرج إلى الحياة بتعب،
وهذه الوفاة السعيدة، للضعفاء الوجلين
ليست سوى مولد للخلود.

✷✷✷✷

# قصيدة لم تنشر(*)

عندما كنت فتى، ملء بردي الفخار،
نشرت أجنحتي أمام أرواح البحار
فحملت شُرُع القوارب أفكاري وسارت
وراحت أحلامي تتوثب فوق مُر الأمواج

☆☆☆☆☆

كنتُ أرى في ثنايا الموج الذي يغرق الأفق فيه
عوالم تزخر بالحياة، وجزائر تطفح بالسرور؛
تطفو، موشاة بالياسمين، مزدانة بأغصان الكروم.
وكان الحب يناديني منها، والنصر يمدُّ لي معه اليدين
كنت أغبط كل سفينة يبيض من حيزومها الزبدُ
تسمى جذلانة تبني الشاطىء المجهول
واليوم، أجلس على سيف الخليج الثائر

(*) ترجمة صلاح الدين المنجد (وبعث بها من دمشق، ونشرت بالرسالة بالعدد ٣٤٣ (٢٩ يناير ١٩٤٠ ص١٧١ يتصدرها «عاد لامرتين في عام ١٨٤٤ إلى نابولي، تلك المدينة التي ألقت قدميها في الماء، وتركت البحر يدغدغها والنسيم يقبلها. وكانت زيارته الثالثة لهذه البلدة التي خلّفها في صباه،وخلّف وراءه فيها «جرازيلا» الحبيبة تعاني فجعة البين، ولوعة الحب، وولّه الحنين. وطاب له المقام، فأقام في جزيرة صغيرة بالقرب منها، يرتع بين حُلم موشى، وعيش هادئ، وتذكر قاتل. وطافت به أشباح الأحباب في السنين الخوالي، ورأى جرازيلا تهدهده بالنغم البارع فوق ثبج البحر، وتحزنه بالشكوى المحرقة في ذلك القصر العتيق. فجاش في صدره شعر باك حزين، برغم السنين الأربعين التي عمرها، وبرغم هذه الشعور التي تشبه غبشة الفجر. وماله لا يقول الشعر الحزين وقد مات الهوى وفقد الحبيب، وهو بعيد عن وطنه، وحيد على سيف هذا البحر الهائج كالغلام اليافع، فقال عشرين بيتًا من الشعر عثر عليها منذ حين في مجموعة نادرة مخطوطة لأشعار لامرتين في مكتبة السيد لويس بارتو الخاصة، ولم تكن قد نشرت من قبل. وهأنذا أنقلها للناس».

أذكر الماضي، فأخوض تلك الأواذي ثم أعود

✲✲✲✲✲

لشد ما أحببت هذه البحار التي ما أزال أهواها
كما أهوى حقلاً رفرف الحزن عليه،
دفنت فيه أجنحتي، فمعالمها تنطق في كل مكان:
ذلك،لا كما هويت من قبل عالم المنى والأحلام

✲✲✲✲✲

لقد رقد هذا الشاطىء بحزن، وأذابت هذه الصخرة نفسي،
وذوت سعادتي في هذا الهدوء الخادع.
وهنا، سمقتني صاعقة هبطت من السماء
فولت الموجات تسعى، تحمل كل واحدة منها
قطعة من قلبى المكلوم...

✱✱✱✱

## العودة إلى مسقط الرأس (*)

نعـــم عـــــدتُ يـا دَارِيَ الغـــاليـــةْ
ومـــهـــد طفـــولتـــيَ الخـــاليـــــةْ
أعـــيشُ بظلِّك مـــا قـــد حـــيـــيـــتُ
لأقـــضِـــيَ أيـــــاميَ البـــاقـــيـــه
بعـــيـــدًا عـــــن المدن الصـــــاخـــبـات
فـــثـــروتُهَـــــا خُـــدعـــةٌ فـــانيـــه
نشـــــــأتُ من المهْـــــدِ بين الرُّعـــاةِ
أحِـــــنُّ إلى الغنـــمِ الثَّـــاغِـــيَـــه
وأتبـــع في الســـــهل ضِلَّ الخـــرافِ
على هَـــــدْي آثارها البـــاديـــــه
أُتابِعُـــهَـــــا خُطْـــوَةً خُطْـــوَةً
إلى النجـــم في القـــبـــة الحـــاليـــه
ولي مِـــثـــلـهُمْ في رَوَاح القطيـــعِ
أَغـــانِـيُّ هـــــاتفـــةٌ شـــاديه
وَأغْـــسِلُ من بيـــض أصـــوافِـــهَـــا
على ضـــفَّـــةِ البـــركـــة الجـــاريـــه
وَأصْـــبُـــو إلى هَزَجـــاتِ المســـاءِ
تُبـــدِّدُهَـــــا ريحُـــهُ السَّـــــارِيَهْ
وأصـــغي إلى عـــربـــاتِ الحـــقـول
فـــأســـمعُ ضـــجَّـــتَـــهـــا النَّائيـــه

(*) ترجمة علي شرف الدين، ونشرت بالرسالة العدد ٤٦٧ (يونية ١٩٤٢) ص٦٢ .

قـســا حِـمْلهـا فـــــوق أعطافِـهـــــا
فناحَـــتْ بأحـمـالهـا القـاسـيـــه
أحِبُّ الرَّنيـــــنَ الأصـــــمَّ الجـمـــيلَ
لأِجْـــــراسِ حُـــمْـــلانهـــا الراعـيـــه
تَصِـــــلُّ هُنـــــاكَ بأْعناقِـــهـــــا
مـن الـغـــاب، أو ذِرْوَةِ الـرابـيـــــــــه
فـــيـــــا وطنـــــي، لا عَـــدَتْني بكم
ظِلالٌ مـــقـــدَّســـــــةٌ واقـــيـــــــه
وصـــفـــصـــــــافـــةٌ كُلِّلَتْ بالنَّـــــدى
ظِلالٌ مـــقـــدَّســـــــةٌ واقـــيـــــــه
بكَـــتْ تِرْبَهَـــا حـــيـــنَ طال الغـيـــابُ
فـجـــــادَتْ بأدْمُـعِـهـا شـــــاكـيـــه
فـــيـــا سَـــرْحَـــتي هَوِّني من شـــجـــاكِ
وَأَحْـــمى مِنَ الْغُـــصُنِ العـــاليـــــــه
على غـــائـــــبٍ كنـــــتِ تبكيـــنَهُ
فـــعـــــادَ لأوطانـــــــه ثانيـــــــه!!

✱✱✱✱

# الإنســان (*)

(١)

أنت الذي يجهل العالم اسمك الحقيقي
أيها الروح الخفي الشاك
مهما كنت يا «بيرون» شيطانًا أو ملاكًا
عبقرية ميمونة أو مشؤومة
فإن أغانيك تصوب إلى نفسي بريق الأمل
وتحمل إلى روحي دعة الحمل
أعشق في أشعارك الخالدة أنغامها الغريبة
كما أعشق ضوضاء العاصفة المحتدمة

(*) **ترجمة حسين تفكجي، ونشرت بالرسالة بالعدد ٢٨١ من السنة السادسة (٢١ نوفمبر ١٩٣٨ ثم نشرت بقيتها بالعدد التالى، وتصدرتها مقتطفات مما قيل عن شعر لامرتين ثم هذا التعليق:**

- «آراء متناقضة، سطرتها أقلام كتاب متباينين، لتقدير مزايا ومساوئ شاعر، فمنهم من تأمل في قطعة الخلود، وعرف في شعره معنى الحياة، وفهم بين أبياته مفهوم الحقيقة؛ ومنهم من حمل على هذا الشاعر الباكي الذي لا يرى فجر الحياة إلا من وراء منظار أسود، ولا يتأمل وجه البسيطة إلا بالنشيج والبكاء. فكل ما يقع تحت عينيه يرمز إلى ذلك الحب الذي قضي وحل اليأس مكانه في سويداء الفؤاد.
- نحن لم نأت بهذه الآراء لنوازن بينها، ولنميز بين حسنها وقبيحها، بل أتينا بها لأنها تعبر عن موجة الأفكار التي اجتاحت عصره، وعن الأثر الذي أحدثه كتابه الصغير «التأملات» الذي أصدره الشاعر، فنترجم قطعة من شعره سماها «الإنسان» وأهداها إلى اللورد بيرون الشاعر الإنكليزي الذي قتل في حرب استقلال اليونان، والذي كان لامرتين معجبًا بشعره، مأخوذاً بروعة ألفاظه إذ قال: اللورد بيرون في نظري هو أكبر شاعر عرف الطبيعة في زمننا الحاضر. إن من شعره ما يسكرني، وإن من بيانه ما يسحرني، إذ وجدت في أقواله خيوط أمل تربط أصواتًا تجيش في صدري، وتفور في سويدائي.
- ولكن بالرغم من أن تفاؤل لامرتين يقابله شك بيرون، فإن الشاعر لم يجد مانعًا من أن يرسل هديته إلى نقيضه في أقواله لأنه أراد أن يجره إلى أفكار أقل شيطانية من أفكاره الأولى فهل أصاب أو أخطأ؟ لا نعرف! بل نحكم عليه بعد قراءة الشعر الذي أرسله إلى الشاعر الشاك».

الذي يمتزج بهدير الصاعقة ويعلو مع أصوات الشلالات المنحدرة
إلى الليل تأوي، وإلى الرعب تلجأ
ما أشبهك بجبار الفضاء، وملك الصحاري
بالنسر الذي يكره السهول ولا يهوى سوى الصخور الوعرة
التي ألبستها يد الشتاء ثوبها الناصع
والتي تفتتت تحت ضربات الصواعق المتوالية
يجد لذته على شواطئ غطيت بحطام البواخر الغارقة
وملئت بأشلاء السفن المحطمة
ويذهب عنه حزنه مرأى الحقول المخضبة بدماء المعركة
بينها البلبل الغريد، ينشد أسقامه، ويغني آلامه
وهو يبني عشه على شواطئ السواقي الجاريات
بين الحقول الزاهرات
يجد النسر لذته فوق قمم الأنوس
التي تخترقها الذرى الحادة كأسنة الرماح
فيشق فضاءها بجناحيه
تاركًا ظله يرتسم فوق الهوات الفاغرة فاها
وهناك وحيدًا يصيخ لصيحات الفريسة المتعالية
التي تحيط به أعضاؤها المختلجة
فوق صخور تفطر زواياها دمًا
وعندما تحتدم رياح العاصفة ينام مسرورًا فوق بقاياها

(٢)

ما أشبهك بنسر السماء هذا يا بيرون !
فإن أصوات اليأس أجمل أغانيك
الألم هدفك، والرجل ضحيتك

سبرت بعينك كالشيطان غور الهوة طياتها نفسك
غمرتْ بعيدًا عن الإله والأضواء
بعد أن ودعت أملاً راحلاً
فأنت مثله اليوم تسيطر على الأرجاء المظلمة، والأصقاع المعتمة
فاجعل عبقريتك التي لا تقهر تعلو بلحن جهنمي
وتنشد أنشودة الظفر تحت ظلال عرش إله الشر

(٣)

ولكن أية فائدة تجني من نضال النهاية المحتمة؟
بأي شيء يدفع العقل العنيد القدر؟
ليس له كالعين، إلا أفق محدود!
فلا تسدد جميل أنظارك إلى أبعد من هذا المدى
ولا تقدح زناد فكرك دون نفع وسدى
فتجد كل شيء منا يفر. الكل ينطفىء كالشمع
الكل يمحي من الوجود
ولكن كيف؟ ولِمَ؟ من يعرف؟
فإن يديه القادرتين قبضتا على الوجود والبشرية
ونشرتا في حقولنا الغبار، وجعلتا الأهواء والظلام والأنوار
فهو يعرف ما يعمل
وهذا يكفي فالكون تحت إمرته ويده
وليس لنا سوى اليوم الذي نعيش فيه
إن جريمتنا هي أننا بشر، فينا فضول المعرفة
ولكن الجهل والخضوع هما قانونا هذا الوجود
بيرون ! إن هذه الكلمات قاسية عليك
ولكن لِمَ التراجع أمام الحقيقة؟

إن شرفك أمام الإله هو أنك صوغ يديه
فاشعر واخضع في سجنك المقدس
أنت ذرة محمولة، تموج في هذا النظام العالمي
فتمم إرادته بطاعتك، لأنك مخلوق بإرادته
وحياتك تمجد هذا الوجود الذي تموت فيه، حيث مصيرك.
أواه بعيدًا عن الاتهام
قبِّل ذلك الرسف الذي تحاول تحطيمه
واهبط من صفوف الآلهة التي تذهب جرأتك
فالكل جيد
والكل جميل
والكل عظيم في مكانه
ففي ناظر خالق الوجود تحوي الحشرة عالمًا بنفسها

(٤)

ولكنك تقول إن هذا القانون يثير عداءك
ولا يعدو في نظرك عن هوى غريب
وشرك نصب ليكبو العقل في كل خطوة يخطوها.
لنعترف بذلك يا «بيرون» دون أن نحاكمه.
ما أشبهني بك. فعقلي انغمر في الظلمات
ولكن ليس عليَّ أن أشرح لك حقيقة العالم
فالذي أبدع الوجود يلقنك الدرس الوافي
كنت كلما سبرت عمق الهوة ضعت في فيافيها؟
وفي هذه الدنيا لم أر سوى الألم يرتبط بالألم
والنهار يتبع سير النهار، والشقاء يلازم ظل الشقاء
والإنسان السخيف بطبيعته اللامتناهي بنذوره

إله زل من عليائه، يفكر في سمائه
حُرم مجده القديم، فاحتفظ من مقدراته الضائعة بالذكرى
وغورُ ميوله السحيق يتنبأ عن عظمته المقبلة
إذا علا أو سفل، فالإنسان سر عميق.
مقيد في سجن الحواس، على هذه الأرض
أسير يشعر بأن له قلبًا ولد يتنشق نسيم الحرية.
فيا له تعسًا يتعلل بالأماني
ويريد سبر غور العالم، بناظريه الضعيفين
ويود أن يعشق دائمًا لولا أن ما يحب سريع الفناء
كلُّ فانٍ يشبه طريد جنة عدن
عندما طرده الإله من الجنة السماوية
فلمح بنظره الحدود المشؤومة التي تحيط به
فجلس باكيًا على الأبواب المغلقة دونه
سمع من بعيد، من المسكن الإلهي زفرة الحب الخالدة
ونغمات السعادة، وأغاني الملائكة المقدسة
تصل إلى أحضان الإله لتمجد فضائله، فهبط من السماء
ثم أطلق نظراته من عنانها، فوقعت على مصيره المؤلم...

(٥)

يا لبؤس من يسمع أناشيد عالم يهواه وهو ناء في منفى الحياة السحيق!
يرى الطبيعة تناضل خمر الخلود التي ارتشفها.
يتأرجح كالحلم، عندما يرى الحقيقة ضيقة في مكانها
والمستحيل واسعًا في فضائه، والروح مثقلاً بالميول
لا يجد مأوى يغرف منه حبّاً وعلومًا أبدًا
والرجل في محيط الجبال والنور، ظمآن، لا يروي غله..
فيسكر بالأحلام، كي تعذب رقدته، ويعود إلى نفسه إذا ما فاجأته يقظته.

(٦)

واأسفاه! ما كانت آخرتك؟ وما هي مقدراتي؟

فقد شربت مثلك، كأس الشك مترعة

وعيناي كعينيك، فتحتا الأجفان دون أن تنظر!

فعبثًا فتشت عن كلمة الوجود

طلبت أسبابه من الطبيعة

سألت آخرته من كل مخلوق

واستفهمت من القلم حتى ألم. فرجع طرفي كليلاً، ونظري حسيرًا

قبل رؤية قرار هوة العالم

كشفت غطاء الأزمان التي هرعت

وأرجعت الأجيال التي مرت

مارّاً بالبحار، مرددًا أقوال الفلاسفة

ولكن العالم بقي أمامي، كما هو أمام علماء اللاهوت «كتابًا مغلقًا».

ولأتبين كنه الطبيعة كنت أفر بروحي إلى أحضانها

وخيل إليَّ أني أجد معنى لهذه اللغة الغامضة

فدرست القوانين التي تدور حَوْلها

أجرام السماوات، فكان «نيوتن» يعتمد عيني في سهولها المنيرة

تأملت بقايا رفات العواهل

ورأيت دومة متدثرة

في ظلمات قبورها المقدسة

والقديسين وقد أقضت مضاجعهم. وزنت بيدي رفات الأبطال

وطلبت منه معنى الخلود الذي يأمله كل البشر

ولكن لم أجد في هذا الغبار الفاني معنى الخلود.

ماذا أقول؟

لازمت سرير الموتى
لتفتش نظراتي عن معناه في العيون المحتضرة.
وعلى هذه الذرى التي توجتها الثلوج مدى الدهر
وفوق هذه الأمواج التي خططتها عواصف الرياح
ناديت دون مجيب.
اقتحمت عثار الأحجار وظننت كالعرافة
أن الطبيعة بمشاهدها النادرة سترمي إلينا بإحدى عجائبها
فأحببت أن أغمر نفسي في هذه الرغبات الصامتة التي تتوالى.
ولكني، في سكوتي وهياجي
فتشت عبثًا عن كنه هذا السر العظيم
فرأيت في كل مكان إلهًا لا أفقهه
رأيت الشر إثر الخير دون خبرة
ودون هدف يسيران كالصدفة
رأيت في كل مكان الشر يختار
فجدفت بحق السماء دون معرفة
فرن صوتي ولاحق السماء كالصدى المدوّي
ولكنه لم يرهب القدر، ولم يغضب المصير.

(٧)

ولكن ذات يوم وقد غرقت فى خضم السعادة
وأتعبت السماء بشكواي المرة
غمرني نور سماوي يبارك ما شتمت
فخضعت دون مقاومة إلى صوت أوحي إلى نشيد الحق
الذي تفجر من قيثارتي :
المجد لك في الأزمان والخلود

أيها العقل الخالد والإرادة العليا
أنت الذي يعرفك الوجود
وتُذكر كل صباح أسماؤك الحسنى
فنفختك للبدعة انحدرت نحوي
وظهر من كان في طيات العدم لعيني!
عرفت صوتك قبل أن أعرف نفسي
فرميت بروحي حتى أبواب الوجود
هأنذا العدم يحييك قبل أن يولد
هأنذا! ولكن من أنا؟ ذرة مفكرة
من يستطيع قياس المسافة بيننا؟
أنا الذي أستوحي منك خلقه السريع
دون علم من نفسي، أدار حسب هواك
ماذا يجب عليَّ نحوك؟ أيها الخالق العالي؟
المجد للانهائي العظيم
الذي أبدع الكل من نفسه
لتسر أيها الخالق العظيم، لما خلقته يداك
فأنا أتيت لأتمم أوامرك العليا
ضع؛ اطلب، افعل، في الأزمان والمكان
وسَخِّرني لأسبِّح بعظمتك في يومي ومكاني
فذاتي، دون شكوى، دون أن تسألك
بسكون، تسرع لتمجد عظمتك
وكهذه الأجرام المذهّبة التي في حقول الفراغ
أتبع بكل هوى، ظلك الذي ينير لي الطريق
غارقًا في النور أو ضائعًا في الظلام

سأمشي حيث تدلني
مختارًا منك لأهدي العالم
وعاكسًا عليهم نورًا غمرتني به
فأرتمي محاطًا بأسرى النجوم
وأقتحم بخطوة جبارة هوة السماوات
أو معتزلاً وحيدًا مهملاً من نظراتك
لا تبدع مني أنا المخلوق المجهول
إلا ذرة منسية على شاطئ العدم
أو نقطة من الغبار تحملها الرياح
فأفخر بمصيري لأنه صنع يديك
وأذهب إلى كل مكان لأرد إليك واجبًا
وبقلب مفعم بحبك أخضع لقانونك
حتى أنتهي إلى درك القبر هاتفًا:
«المجد لك».

(٨)

يا ابن الأرض البسيط، مصيري ونهايتي لغز
ما أشبهني بقمر الليالي، أيها السيد العالي
ينير الطرقات المظلمة، حيث تقوده يداك
يعكس من جهة أنوارًا خالدة، ومن جهة أخرى، يغمر في الظلمات القاتلة
الرجل هو نقطة مشؤومة جمعت بقدرة إلهية نهايتين
كلما تقدمت خف شقائي فأعبد، دون أن أراك، حكمتك البالغة
المجد لك يا من خلقتني وأبدعت أجمل الوجود
وفي هذه الأثناء، رازح تحت أثقال سلاسل الجسد
من المهد إلى اللحد تقودني الخصومة

أسير يغمرني ظلام حالك في طريق صعبة المسالك
غير عارف أيان أحمل أثقالي
وجاهلاً أيان أحط رحالي
أردد أنشودة الطفولة التي انحدرت كمياه شلال تجتمع لتعتكر.
«المجد لك» فقد اختارني الشقاء حين قُذفت على هذه الغبراء
وأمسكني يمينك، تتقاذفني كألعوبة حية.
أطعمتني مجبولاً بالدموع، خبز التعاسة وأسقيتني مزن غضبك
هتفت: «المجد لك»، ولكنك لم تنصت إلى ندائي
فأرسلت إلى الأرض نظرة حيرى، وانتظرت في السماء يوم عدلك
ولكنه قام أيها السيد العالي، ليزيد آلامي
«المجد لك» البراءة مجرّمة في..
شيء وحيد بقي لي تحت هذه السماوات
مزجت بنفسك أيامنا والشجون
حياتها حياتي. وروحها روحي
وكثمرة ما زالت ناعمة على غصنها
تأملها ناظري ترفع من حضني قبل أن تينع
أردت أن تكون الضربة هائلة. ولكنك سددتها بهدوء
لتجعل الفؤاد مني حساسًا
فكنت أقرأ في أساريرها، المتمثل فيها جلال الموت مصيري
وأرى في نظراتها، نبراس الحياة، الذي بعد عني
فكانت يد الحمام تتقاذف منها الزفرات
ولكنها أبدًا، كانت تردد همسة الهيام
فكنت أهتف لشروق الغزالة، أيتها الشمس أمهليني يومًا
كمجرم يطلب رحمة، تحت ظلمات متكاثفة

هبط حيّاً، دركات اللحد
ورأى شعلة براقة تتنازعها أيدي الحياة والموت
فينحني نحوها، ليحفظها فيراها تخبو ثم تلفظ الأنفاس
فكنت أود أن أحفظ الروح قبل أن نسير في طريق السماوات
كنت أفتش عن كنهه في ناظريها المحدقين بالفضاء
هذه الزفرة، سيد الوجود، نشرت شذاها في أحضانها
وبعيدًا عن هذا العالم المترع بالضوضاء رحلت قافلة آلامي
فاعف عن يائس جذف بحقك في ساعة غضب
فإني أجرؤ وأطلب الغفران
المجد للسيد العالي
من خلق الماء للخرير، والنسيم للسريان
والشمس للنور، والإنسان للألم

(٩)

لقد كملتْ حكمتك بحقي
فالطبيعة العديمة الشعور تخضع دون إدراك
اكتشفتك وحدي عندما مستني الحاجة
فأنا أقدم لك نفسي ضحية بكل خضوع وإرادة حرة
فوحدي أطعتك بذكاء
وحدي أتممت نفسي في هذه الإطاعة
ومررت أنفذ في كل مكان، وتحت كل سماء
قانون طبيعتي وأمر إلهي
فأنا أعبد في مقدراتي، حكمتك العالية
وأخضع لإرادتك في آلام تجيش في صدري
المجد لك. المجد لك.

صيرني إلى الذل، أو اقذفني إلى العدم
فسوف لا تسمع مني سوى كلمة:
«المجد لك أبدًا»

(١٠)

وهكذا ارتفع صوتي نحو القبة الزرقاء
فقدمت المجد إلى السماء، والسماء تفي ما بقي

(١١)

اصمتي يا قيثارتي
وأنت الذي تمسك بيديك قلب البشرية الخفاق
«بيرون» تقدم وخذ منها شلالات أنغام منسجمة
فقد خلق الله العبقرية لنمجد الحقيقة
صَعِّدْ نحو السماء نغماتك، يا مرتل الجحيم
فالسماء نفسها، ترسل للمعذبين، هذه النغمات
فيمكن أن تضيء من صوتك شعلة حية، تنزل حتى قرارة نفسك
ويمكن أن قلبك الحساس، تحت تنقلات مقدسة
سَيُسَرُّ من هذه النغمات
فيخترق ظلام الليل، برق وضاء
فتفيض علينا، من نور يغمرك

(١٢)

أواه! إذا كانت قيثارتك مجبولة بالدموع
تزفر تحت أصابعك رنات الألم
فمن أعماق الظلال الخالدة، كالملاك الهابط من عليائه، يُطوى الجناح
ويرتفع نحو نور النهار،
لينصت إلى نغمات مقدسة أصداء هذه القبة الزرقاء

أصوات أوتار نار مذهبة ينصت إليها الإله، وهي ترتفع من سارافان
تشجع أيها الطفل الهابط من صفوف الآلهة
فإنك تحمل على جبهتك الطابع العالي
وكل رجل ينظر إليك، يرى في عينيك الشعاع الخابي لنور السماوات
ملك الأناشيد الخالدة، اعرف نفسك بنفسك
واترك «لولد الليل» الشك والتجديف
وابغض كلمات يغشّونك بها. فلا مجد حيث لا فضيلة
تعال وخذ مكانك في مجلسك الأول، بين أطفال أتقياء
من المجد والنور، الذي أراد الله تصويرهم بزفرة مختارة
لقد أبدعهم...
للفناء، والدعاء، والرضاء.

✱✱✱✱

# المؤمن المحتضر(*)

ماذا أسمع ؟ الناقوس المقدّس يرنّ من حَولِيهْ !
وما هذه الثُّلة من رجال الدين تحيط بي باكيه ؟
ولمن هذه الأُغنيَّة الحزينة وهذه الشعلة الخافته ؟
إيه أيتها المنية ! أهذا صَوتك الذي يقرع أذني للمرة الأخيرة ؟
أجل! إني لأستيقظ على حافة القبر!

☆☆☆☆☆

وأنت أيتها الشرارة العزيزة من الجذوة الإلهية؛
والقطينة الخالدة في هذه الجنة الفانية،
لا تخافي ولا تفزعي: فالموت آتٍ لخلاصِك !
طِيرِي طَيَرانَكِ يا نفسي، وتجرّدي من أغلالِك !
فهل الموتُ إلا وضع آسار التعاسة البشرية.

☆☆☆☆☆

أجل ! لقد انتهى الزّمن من قياس حياتي.
فيأيتها الملائكة النورانية في مقامها السماوي،
إلى أي جديدة ستأخذونني؟
الآن ! الآنَ أنا أسبح في أمواج من الضياء،
وإن الفضاء ليتسع أمامي،

(*) ترجمة «محمد طه الحاجري»، ونشرت بالرسالة العدد ١٦٦ (من السنة الرابعة) بتاريخ ٧ سبتمبر ١٩٣٦م، تتصدرها: «تفجرت هذه المقطوعات من قلبي، فكتبها أحد أصدقائي، ذات صباح، وهو إلى جانب سريري، ذلك هو السيد مونشلان الذي عني بأمري، عناية أخ، في مرضي الطويل الخطر، الذي نزل بي في باريس عام ١٨١٩».

وكأن الأرض تَفِرُّ من تحت أقدامي !

✡✡✡✡✡

ولكن ما هذا الذي أسمع ؟

في اللحظة التي تستيقظ فيها روحي،

أسمع الحسراتِ والتنهداتِ تقرع أذني!

ما هذا يا رفاق المنفى !

أتبكون مماتي !

ولقد شربت منذ قليل من الكأس المقدسة التي تنسي الآلام،

ووَلجَت روحي المنتشيَة أبواب السماء ؟

✱✱✱✱

# الشاعر المحتضر (*)

تحطمت كأسُ عمري وهي مُتْرعة ،
وتصرّمت حياتي زفرات في كل نَفَسٍ ،
وعجز عن إمساكها ما أرسلت من عبرات وحسرات ،
وقرع الموت بجناحه الناقوس الباكي عليّ مؤذنًا بساعتي الأخيرة ،
فليت شعري أأنوحُ أم أغنّي ؟ !

لأغنّ ما دامت أناملي على القيثار .
لأغنّ ما دامت المنون تلهمني وأنا على باب الآخرة
ما تلهم البجعة من صرخة موزونة وأنّةٍ ملحونة .
وإذا لم تسكن النفس شيئًا غير الحب والألم فلم لا يكون وداعها لحنًا قدسيّاً ؟ !
إن القيثار يبعث أجمل أنغامه حين ينكسر ،
وإن المصباح يرسل أبهى أضوائه حين يخمد ،
وإن البجعة ترفع طرفها إلى السماء حين تسلم الروح ،
والإنسان وحده يرجّع البصر إلى الوراء ليعد أيامه ويبكيها !

وما هذه الأيام التى تستدر حوالب عينيه ؟ ..
شمس تشرق متقطعة ،
وساعات تمر متشابهة ،

(*) ترجمة أحمد حسن الزيات، ونشرها أولاً في الرسالة بالعدد الأول من السنة الأولى ( ١٥ يناير ١٩٣٣) ص ٢٣ وما بعدها وصدرها بالعنوان واصفًا إياها بأنها «قصيدة من عبقريات لامرتين» وأنه « ترجمها وأهداها إلى روح شوقي ، ثم ظهرت في مجموعة ضوء القمر بدون الوصف أو الإهداء ، ص ١٩٨ .

وخير تمنحه ساعة فتسلبه أخرى ،
ثم عمل يتلوه راحة ، وألم يتبعه أحيانًا حلم !
ذلك هو اليوم ، ثم يمحو آيته الليل !

ليبك ذلك الذي اشتد على حطام الدنيا حرصُه ،
وتعلّق بأمانيها سببه ،
ثم يرى حبل مستقبله ينبت ،
وظل آماله يتقلص ! ..
أما أنا فأترك الدنيا في سهولة ويسر ،
لأن جذوري منها كجذور النبتة الرخوة من الأرض ،
تهبُّ عليها رياح المساء فتقتلعها !

الشاعر أشبه شيء بالطيور العوابر ،
لا تعشش على الضفاف ولا تقع على غصون الغاب
وإنما تهدهد نفسها على متون الموج ،
ثم تمر مغردة على بعد من الشاطئ ،
فلا يعرف الناس من أمرها غير ما يسمعون من صوتها !

أبدًا لم تدرب يدي على الوتر الرنان يد مخلوق ،
لأن ما تلهمه روح الله لا تعلمه يد إنسان .
فالجدول لا يتعلم كيف يجري في المنحدر ،
والنسر لا يتعلم كيف يشق بجناحيه الهواء ،
والنحلة لا تتعلم كيف تؤلف العسل !
الناقوس تقرعه القوارع في مكانه العالي ليوم بشرى أو يوم نعي ،
فينوح مرة ويشدو مرة ،

وأنا كنت بهذا الناقوس أشبه ! ..

طهرني الألم كما طهره اللهب ،
وحركت الأوتار المختلفة أوتار قلبي فأخرجت لكل عاصفة نغمة !
أنا كالقيثارة «الإيولية»[1] تعزف طول الليل
من تلقاء نفسها على خطرات النسيم ،
وتمزج خرير المياه بأنينها الرخيم ،
فيقف السائر حيران دهشًا مما يسمع !
يطرب ويعجب ولا يدري مصدر هذه الزفرات المقدسة !
قيثارتي تخضل غالبًا بالدموع ! ..
وما الدموع للمرء إلا كندى السماء للأرض ! ..
وهيهات أن ينضج القلب تحت السماء الصافية ! ..
فالكأس المصدوعة يسيل منها عصير الكروم ،
والريحان الذابل إذا وطئته قدماك ، تضوَّع شذاه بين خطاك !
خلق الله نفسي من نعمة محرقة ،
فمن يتصل بها يحترق بلهبها ! ..
فيا عجبًا لمنحة القدر ! ..
أنا أسرفت في الحب ،
ومن ذلك الإسراف أموت ! ..
ما لمست شيئًا قط إلا استحال إلى رماد ! ..
كذلك رجوم السماء الساقطة على أشجار الخلنج
تنطفئ بعد أن تدمر كل شيء.

ولكن العمر ! ..
لقد استوفى أجله ! ..

(١) نسبة إلى « إيول» Eole ، وهو فى أساطير اليونان والرومان إله الهواء وابن جوبيتر، وهذا الضرب من القيثارات ينصب فى الهواء فيعزف وحده على هبوبه (المترجم) .

والمجد ! .. آه ! ..
وما يعنيني من صدى نعمة باطلة تنتقل من عصر إلى عصر ،
وسمعة كاللعبة البراقة تنحدر من جيل إلى جيل ؟..
أيها الذين وعدهم المجد سلطان الغد !
استمعوا إلى هذا اللحن الذي يخرج من قيثارتي ! ..
هل تجدون لرنينه أثرًا في الآذان ،
بعد ما حمله الهواء إلى غير هذا المكان ؟

شهد الله أني منذ حييت لم أذكر هذا الاسم العظيم إلا بازدراء.
ولطالما عصرت هذه الكلمة التى اخترعها هذيان الإنسان فلم أجد غير هواء .
هنالك لفظتها كما تلفظ الشفتان قشرة يابسة .
في سبيل هذا الأمل الخالب في هذا المجد الكاذب ،
يرمي الإنسان في مجرى الزمن اسمه وهو عابر ،
فيلقفه التيار ، وتضعفه الأيام كلما سار ،
حتى يصير حطامًا تعبث به أمواج الدهر
ثم تحمله على غواربها من عصر إلى عصر ،
حتى تلقي به في لجج النسيان !

أنا كذلك ألقي اسمي بين هذه الأسماء العائمة ،
على هذه الأمواج المتلاطمة ،
ثم أتركه على هوى الرياح والأمطار يطفو ويرسب ! ..
فهل يكون بذلك شأني أعظم ومقامي أرفع؟..
ولماذا وكلُّ ما هنالك اسم ؟!
وهل نسأل البجعة الطائرة في جو السماء :

أما يزال ظلها طافيًا على أديم هذه الغبراء ؟!

تسألني لماذا كنت أغني ؟![1]
سل البلبل لماذا تتجاوب أغاريده وأناشيد الجدول طول الليل؟!..
أنا أنشد يا صحابي كما يتنفس الإنسان
ويشدو العصفور ويعزف الهواء ويخر الماء!..

الحب والدعاء والغناء ثلاثة تقسمن حياتي ! ..
ولم أحزن ساعة الموت على فائت مما
يتشوف إليه الناس في دنياهم إلا على زفرة حارة تتصعد إلى الله ،
وسكرة طروب تهبط من القيثارة ،
وصمتة عاشقة تعمق حين يتعانق قلب وقلب !

إن مثولك خاشعًا أمام الجمال تسمع رجفان أوتار المزهر ،
وترى حديث الهوى يمتزج مع أنغامه ويسري في حشاك ،
وتستقطر الدموع من العين المعبودة
كما يستقطر النسيم أنداء الفجر من الزهرة المطلولة ...

وترى طرفها الشاكي
يصعد حزينًا في السماء كأنما يطير مع النغم ،
ثم يرتد واقعًا عليك
وهو بالحرارة العفيفة يجيش ،

وتبصر من خلال أهدابها المسبلة

(١) يريد بالغناء الشعر (المترجم).

شعاع نفسها كالنار المضطربة
في حلك الليل البهيم ..
وترى ظلال أفكارها على جبينها الزاهر ترف ،
والكلام على شفتيها المثقلتين يموت ،
ثم تسمع بعد هذا الصمت الطويل
هذه الكلمة ترى حتى تبلغ أذن الجوزاء ! ..
تلك الكلمة التى يقولها الآلهة والناس هي : « إني أحبك ! »
ذلك هو ما يساوي في الحياة زفرة !
زفرة ! حسرة ! هذا كلام لا معنى له !.

على جناح الموت روحي تطير إلى السماء !
تطير إلى حيث ترى العين شعاع الأمل يضيء !
تطير إلى حيث طارت النغمة التي خرجت من مزهري !
تطير إلى حيث صعدت جميع زفراتي !

الإيمان – وهو عين الروح – قد اخترق ظلماتي
كما تخترق عين العصفور ما وراء الظلال الحزينة !
ثم باحت لي غريزته النبوية بما استسر من حظي !
وكم مرة اقتحمت نفسي آفاق المستقبل
حتى بلغت السماء محمولة على أجنحة اللهيب !

فتقدمت الموت بذلك !
لا تنقشوا اسمي على قبري الكئيب العابس ..
ولا تثقلوا بالحجارة ظلي الخفيف.
إن قليلاً من الرمل يكفيني ! لست وا أسفاه حريصًا ولا غيورًا !

ثم لا تتركوا من الفراغ أمام القبر إلا مقدار ما يضع الزائر العابر ركبتيه !
حطموا هذا المزهر وذروا حطامه في الهواء والماء واللهيب ،
فإنه لم يجاوب أهازيج النفس إلا بنغمة واحدة !

إن مزهر الساروفين[1] ليرتجف تحت أناملي !
وعما قليل أعيش معهم في عالم النغمات ،
وأقود بقيثارتي ألحان السماوات .

عما قليل ! إن يد الموت الثقيلة قد قطعت الوتر !
انقطع بعد أن أرسل في أمواج الهواء نغمة شاكية صماء .
صمت مزهري البارد يا رفاقي ! ..
فخذوا مزاهركم وأدخلوا نفسي عالم البقاء ،
بين خفق الأوتار وترجيع الغناء !.

****

(١) الساروفين : طائفة من الملائكة ( المترجم ).

# نـاقـــوس القريـــة(*)

الحياة: موجة في خضم تأوهات، كأس المجد، يملأ بالعبرات.

«لامرتين»

كالزفرات تعلو خفقات الناقوس الخاشع المتئدة .
الأحراج تمسكها . الوديان تبددها.
يد الصغير ، توازن كأسه ،
وتفرغ نغمات الأرض العلوية ،
في نسيم الليل المدلهم .

رجفٌ من أصواته العالية ،
جزعٌ من خفقاته المتوالية .
البلبل يطير تاركًا بيته المضطرب : مياه الغدير المتموجة ،
تجني الأزهار اليانعة من جوانبه.
أرملة القرية، تركع لصدى نغماته
تترك خيط مغزلها لترسل الرحمات للموتى.
يوقظ في قلبي، غناء هذا البرج الرنان . . .
لا سرور النهار الذي انتهى ،
ولا بؤس اليوم الذي انقضى ،
ولا صور الماضي الفتية ، والذكريات الغنية ،
التي تهدمت في هذه الطرقات

(*) ترجمة «حسين تفكجى»، ونشرت بالرسالة العدد ٢٠٩ (يوليو ١٩٣٧) ص ١١٠٤ وما بعدها، وقدم لها بقول لامرتين «الحياة موجة في خضم تأوهات صبرها الشهد، كأس (كأسها؟ ) المجد، يملأ بالعبرات».

بين الأنوار الذابلة .
لا نومي الهادئ في ظلال أغصان الدلب الندية ،
ولا صوت أقدامي التائهة، فوق هذه الذروات العالية ،
ولا السرور العظيم تحمله إلى موجاتك يا نسيم الصبا ،
المثقل بالروائح العطرة التي لا تنضب
لا ذكرى الجواد الواقف في المرج
وقد لوى عنقه الحريري على يدي المدربة ،
ومزج ضفائر عنقه، بشعرات رأسي الشقراء
والأرض ترن تحت سنابكه القوية كالسندان ،
بينا ردفه يحملني ،
وزبد شدقيه يكسو فضة ناصعة حشائش الوادي.

لا الحب نفسه . . .
الحب ، الفجر الأول في الحياة .
حيث شهور الربيع تجري ماء الحياة في نسغ النبات ،
فتزهر العقول وتخضر الأحراج .
في الظلال أصوات العذارى الحاملات الجرار لملئها من الينبوع ،
تصل لسمعي وئيدة ،
فتدب في جسدي الرعشة
ولا أنت ...
أنت التي أبكيك أبدا ،
الفورة الأولى لدمي ،
صوت الفؤاد الذي يفنى ،
ويوقظ في روحي الدمدمة السحرية ،

معطرة بالعنبر ، فتنثر في الأجواء رياح الشعر .
أواه . أيها المجد، ولا أنت ...
لا الشتاء يحمل إليك دون أسف أيامي
مع بقايا الأعشاب الفارغة من الحب ،
ونثرات الأوراق الذابلة ، وصدى المجد الفارغ .
أعشاب الطريق ، مزروعات علوية .
تعطر الأقدام ، ولكن جذورها لا تغرس في القلوب .
لا أكاليل الأعراس ، يقطفون زهورها فى المساء .
فيسممها الحقد ، ويذبلها الحسد .
ولا ما يهب الحياة نشوة ، تاج المجد المحطم تحت يدي .
الزهرات المعارة ، لا تمسكها ساق ،
تذبل وتجف ، ثم تقع من فوق الحبيبين[1]

هو ذاك اليوم .
أصواتك ممتزجة بزفرات امرأة ،
مخضلة بالعبرات ، مترعة باليأس ،
رنت في أرجاء الوادي تبكي نعشين مرّا ، يجللهما الحزن ،
ويسبل عليهما الألم رداءه ،
في قبر واحد ، دفنت أرواح ثلاثة
ونسيت على حافة اللحد .
من الفجر حتى الليل ، من الليل حتى الفجر ،
تذرف الدمع أيها الناقوس . كما أذرفه .
تجمع بين قلبينا زفرة محرقة .
الأهوية والسماء تردد نواحك، كما لو فقد كل كوكب أمه، وكل نسيم ولده .

(١) في الأصل : الحبيين.

من ذلك اليوم رناتك المقدسة ارتسمت في ذاكرتي المفجعة .

وامتزجت بكأس آلامي المترعة
اختلطت زفراتك بأصوات قلبي ،
وتردد صداها في أنحائه.
معدنك الرنان المغموس في اللهيب يماثلني عندما يبكي ،
هو قطعة من روحي ، يوقع عليها ملاك نغماتك .
أرقد لغفلتك ، وأنهض ليقظتك .
صوت نعيك ، صديق تسمعه أذناي
بين رنين الأجراس ، أفرق نغمتك .
تغمرني موجاتك. كالأجراس تعلو في جنباتها رنات بعوضة طائرة.
أقول لنفسي: هذه الزفرة الحزينة المبهمة ،
يحملها إليَّ نسيم الليل العميق ،
موجة إثر موجة.
أواه ! لأجلي تتردد هذه الأصوات العالية .
أفهم ما يقول . ويدرك ما أفكر.
والهواء الجاهل في هذا السكون المحتدم يحمل إليّ لهجته المؤثرة.
أقول لنفسي : صوت هذا المعدن المتردد ،
قبل أن يصل إلى قلبي ،
ويعمر جنباته ويغرق قطعاته ،
أهتز فوق أطلال الماضي الراقد ،
يحمل إليّ من بقايا قبته المتهدمة أشياء .
حجر القبر ، حيث دفن حبي ، يقرع بهذا اللحن العذب .
لا تعجب يا ولدي إذا اهتزت أفكاري لأصوات هذا الناقوس.
مغرم بصمته الأمين للردى.

لأول رنة تختلج تحت قبته أقف مصغيًا لما يحمله إليَّ الحمام.
أما أنت ، مذياع الحزن البشري
الذي اخترعته الأرض لتجهر بآلامها .
عن نشيد القلوب المحطمة الرائع ،
فزفراتك تهب الأحجار روحًا، والمقل الجافة دموعًا ،
والصلاة خشوعًا أبديّاً، والقبور حزنًا سرمديّاً.
عندما يحمل العمال نفسي وبقايا حطامي ،
تبقى هنا روحي تقذف حممها الملتهبة نحو السماء ..
الباكون ، حاشية باردة تسير خلفي ،
لتضع جسدي، تحت باب حقير ،
ترتمي عليه أشعة الشموس .
إذا يد ورعة قرعتك لشرفي.
فلا تُحْزِنْ مخلوقًا بزفراتك المتصاعدة .
لا تنشر الدموع في الأفق.
التمس جرس العيد واقرع فوق لحدي ،
برنة سلسلة سجن قرحة تقع على عتبته
غَرِّدْ كالعندليب لحنًا خالدًا، يرتفع من منزلك ،
والسوط الأسمر يوجه نحو فجر النهار خفقته المحزنة.
غَنِّ أنشودتك المترددة في أعماق السماوات
تطفئ شهوة الخصوم المتشبثين بأدران الحياة.
إليك
اقرع قبل اليوم ، دق رويدًا الساعة.
صديق في منزلي الحقير ،
يحضر ليضيء في هذا القلب المهدم، الحزن العميم ،
ويترك قبل أن يذهب قطرتين من العطر تضمخان طويلاً كفني.

✱✱✱✱

# وداع الشـــعر(*)

لما اعـــتـــزمتُ اعـــتـــزال الشـــعـــر خـــالجني
مـــوطّدُ العـــزم لكن خـــاب تصـــمـــيـــمي
ودّعـــتُـــه صـــادقًـــا لكنمـــا عـــرضـــت
منـــازعُ الفكر تدعـــونـــي لتـــرنيمِ

تألبت وهي شـــتى في بـــواعـــثـــهـــا
وطالما نـاشـــدتني نظـم تلحـــيـــني
هناك في ســـاعـــة حلَّ الســـكونُ بـهـا
في وحـدة الصـمت عـاد الشِّـعـرُ يغـريني

حـــيث الوجـــودُ حليف النوم أجـــمـــعـــه
حـــتى الأمـــاني اســـتكنّت في زواياها
في غـــابةٍ برزت كـــالطيف ثابتـــةً
فـــمـــا تهـــادَى نســـيم في حنايـــاها

(*) وداع الشعر A DIEUX A LA POESIE ترجمها «محمد أسعد ولاية» فى الرسالة، العدد ٣٩٦ من السنة التاسعة ٣ فبراير ١٩٤١ ص ١٣٥ وما بعدها ثم ظهرت في مختارات .. ص ٩٩ وما بعدها، ويتصدرها «كان لامرتين من أعظم شعراء فرنسا في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وهو غني عن التعريف.
وتعد آثاره الأدبية من أنفس ما أبدعه الخيال الرائع. ومن تلك الآثار قصيدة بديعة نسج بردها يوم كان ملحقًا بمفوضية فرنسا بنابولي عام ١٨٢. حيث كان انهماكه في تحبير الرسائل الدبلوماسية يحول بينه وبين استرساله في قرض الشعر فافرغ في هذه القصيدة وداعه للشعر» .

هناك مـــرحـــلةٌ في العـــمـــر شـــاردةٌ
كـــأنما النفسُ فـــيـــهـــا نفسُ وســـنانِ
فـــلا التنفسُ في الأحـــشـــاء منســـجمٌ
ولا الحـــمـــاسُ لقـــرض الشِّـــعـــر ناداني

والطيـــر وهو الذي يضـــفي ببـــهـــجـــتِـــه
عـلـى الـرِّيـاض ســـــــــرورًا بـالـغ الأثـر
لا ينجلي ســـــاجـــعًـــا في كـــــل آونةٍ
وفي الظّهـــيـــرة يهـــوى ظـــــلة الشَّـــجَـــرِ

فـــإن بدا الفـجـــر ناغى الكون مـــبـــتـــهـــجًـا
وفـي الـغـــــروب يـنـاجـــــــي دورةَ الـفَـلـكِ
يشِفُّ تلحـــيـــنه في الصـــبح عن طربٍ
وفي المســـــاء يناغـــي وحـــشـــة الحَلكِ

ربابتي، ســـاعـــة الهـــجـــران قـــد أزِفت
لك الـــوداع إذن من مـــــغـــــرمٍ دنفِ
يا من تنهـــدك المشـــجي يثـــيـــر جـــوًى
وكم يثـــــيـــــر وداعـــــي بـالـغَ الأسـفِ

أنَّى تـلامس كـــــفي منك نـاصـــيـــــة
ولم يـــزل باكـــيًـــا من شـــجـــوه الوترُ
قـــد أقـــبلت ســـاعـــة التـــوديع مـــسـرعـــةً
فـــهـــاك عَـــبْـــرَةَ ودٍّ وهْـــيَ تنهـــمـــرُ

إِيهًـــا لعـــينيَ أن تخـــفي لـهـا أثـــرًا
وتلـك ثـــــائرة مـن واكـــــفِ الشـــجـنِ

كم دمـــعـــةٍ سكبـــتـــهـــا النفسُ واأسـفى
فـــبـــلَّلت وتـــــرًا أوفَى ولـــم يخـــنِ
لم تســـتطع زفـــراتٌ منك صـــاعـــدةٌ
تجـفـــيـــفَـــهـــا، فَـــحَكَتْ طـلاً على فنـن

إن الـرَّبـابـــــــــةَ لـم تُـمـنَـحْ مكـــــلـلـةً
بالســرو للناس في هذي الدنا التـــعـــســةْ
إلا لـتـــــســـــكين آلام لـنـا انتـــــشـــرتْ
حـــيـــث الدمـــوع من الآمـــاق منبـجـســةْ

مـــا كل مـــا يرسل الأنغـــامَ مـــشـــجـــيـــةً
إلا يـــــــــردد آلامًـــــــا وآمـــــــــالا
أمـــا الســـعـــادة لم ينطق بـهـــا وتـــرٌ
بل حـــالف الصَّـــمت تلو الصَّـــمت أجـيـــالا

أحـــلى الأغـاني التي قـد طاب مـســـمـعـهـا
مـن بلبل نـاحـــــبٍ أو شـــاعـــــرٍ بـــاكِ
تحـــت الظلال على قـــبـــــر توسّـــــده[1]
أعـــــز خـــدن يـنـاجي روحـــه الشـــــاكي

ربـابـتـي ، أنت مـــــثلي ســـــرت في أثـري
حـــــزيـنـة الـصـــــوت والإنشـــاد والـنـغـم
لـم تمتـــــزج قطّ بـالأنغـــــام يُنشـــــدهـا
أهـــلُ السَّـــعـــادة والإقـــبـــال والنعمِ

(١) يلمح الشاعر إلى شعره الملهم من حزنه على عشيقته إلفير Elvire بطلة قصة ( روفائيل ) التي شغفته حبًا في نابولي ثم قضت بعد أن صرعها مرض السل ( المترجم ).

بغـصن صـفـصـافـة في الشط عـالقـةٍ
طليـقـةٍ كطيـور الغـاب فـي الأيك
أبت يدي لك ربطًا كـالأسـيـر على
أبـواب قـصـرٍ عظيمٍ أو حـمى ملك

لـم تلـهـمـي أبـدًا فـي أي آونـةٍ
ثـوائـرَ النفث تعـزيزًا لذي حـزبِ
فـأنت قـد فـقت طهـرًا كل خـاطـرةٍ
ولم تداعـيـك إلا نفـثـة الحـب

هل قَطَّبتْ جـبـهـتـي يومًـا لكـارثةٍ
هوجـاءَ عـاتيـةٍ من قـسـوةِ القـدرِ ؟
كَـلاّ، بفـضلك لم أجـزع لصـدمـتـهـا
ولم أبالِ بمـا ألقـاه من خـطـرِ

وأينمـا ذهبتْ نفـسـي سـمـعت صدى
من السَّـمـاء لصـوتٍ حـيـن تبـعـثُـه
نفـسي الغـريبـة فـوق الأرض مـا برحتْ
تصـغي لما دأب الإلهـام ينفـثـه

على الرُّبا حـيـث يبـدو للرقـيب إذا
لاح النهـارُ كـمـا لو فـوقـهـا بزغـا
إذ كنت في صـحـبـتـى كَـيْـمـا أردد مـا
نظمتُ في مـدح مـعـبـودي له صِـيَـغـا
مـا كـان أول إشـعـاعٍ يفـيـق بهـا
إلا وقـد فـتـر الإنشـادُ أو فـرغـا

كم كنت تلقين بالأنغـــام مـــوحـــشـــةً
على هـــديرِ جـــبـــال الفُلْك والموج
وقـــد بـدا البـــرقُ خـــلاّبًا بزرقـــتـــه
يخـــبـــو ويســـطع عـــبـــر الأفق في الأوج

وكنتِ مـثـــل طيـور العـاصـفـات تُرى
مـــحلّقـــاتٍ على الأمـواج في البـــحـــر
وكـدت أن تلمـســـي من فـــوقـــهـــا زبدًا
يعلـو ويهـــبـــط بيـــن المد والجـزر

تلك التي طالما اســـتـــرعتْ مناظُرها
مـــرآيَ قـد حـالفت أنغـامُـهـا نغـمـا
تنهـداتُكِ مع أصـــواتهـا امـتـزجـتْ
فكان رجـعُ صـدى اللحنين منسـجِـمـا

وطالما ارتَعَـشَـتْ شَـجْـوًا حـبـائلهـا
القـاتمـاتُ علَتـهـا نفـثـتـي الرخـوهْ
تحكي ارتعـاشًـا عـرا الأوتار من شـجنٍ
أناملي حـرّكت في روحـهـا النشـوه

ربابتـــي ! ربما ألقـــاك بعـد ، مـــتى
رأيـــت يومًـــا نذيـــر الموت يقـــتـــربُ
تليـه غـاشـيـةُ الأحـلام مـوحـيـة
من السَّـمـاء أمـورًا مـا بهـا لعب
تكـون قـد بعدت عنا الحـيـاة كـمـا
لو أصـبـحت ذكـريات مـهـدها الكتبُ

وإذ يعـــود شـــبـــابُ الخلق ثانيـــةً
يحـــفّـــه طـــائفٌ حلوٌ لنســـيـــانِ
قـد ينحنـــي المرءُ أوقـــاتًا عليك فـــفي
رنينـــك العَـــذْبِ تلطيـــفٌ لأحـــزانِ

وهـــذه الريـــحُ إذ تجري مـــحـــلِّقـــةً
من فـــوق أرواحِنـــا في بـــرزخ العـــدم
تهـبُّ في الفـجـــر أحـيـــانًا مـبكـــرةً
كـمـــا تهـــب بيـــاتًا هَـــبَّ مُـــخْـــتَـــرِم
وكم يـــروق لهـــا إمـــعـــانهـــا عـــبـــثًـــا
بشـــعـــر ريحـــانةٍ أو ذقـــن ذي هَرَمِ

إيهًـا للحـيـة «هـومـروس» تحـجـبـهـا
قطاعـــة من جـــلـيـــدٍ عن ذوي النظرِ
وكـــان لمع شـــعـــاع الفكـــر مـــؤتلفًـــا
يعـيـد نـــورًا خـبـــا من قـبل في البـصـــر
ألم يكـــن «ملـتن»[1] الأعـــمى بذي بصـــر
فكم جـــلا غـيـهـبًـــا في حـومـة الفكر ؟
ألم تحم حـــول عـــيـــني «ملـتن» طـــرفٌ
من رائـع الحـــب والآمـــال والصـــور ؟
تحكي الفـــراشـــة حـــامت قـــبل أن هبطت
علـى فـــلـورا[2] التـي تـهـــوى علـى الأثر

(١) ( ملتن ) شاعر إنجليزي (١٦٠٨ - ١٦٧٤) كفيف البصر أيضًا، ومن أشهر مؤلفاته الشعرية «الفردوس المفقود». المترجم.
(٢) ( فلورا ) إلهة الأزهار عند الرومان ( المترجم ).

يبـــدو ومـــيض جناحـــيـــهـــا كـــبـــارقـــةٍ
أضـــاءها شـــــفقٌ وضـّـــاءُ كـــالشـــــرر

ربابتـــــــي، ربما تـأتين قـــــاصـــــــدةً
زيـــــارتي بينمـــــــا الميـــعـــاد لم يحنِ
فـتـمـتطين مـيـــاه البـحـر طافـيـــــةً
من شـــــاطئٍ لســـــواه طَـــفْـــوَ مـــتّـــزنِ
أكـون قـد غـالبـتني مـوجـةٌ فـقـضـــتْ
عـــلى حـيـاتـــــي غـريقًـا مـاؤها كـفنِي
وغـــــيّب اليَمُّ صـــوتي تحت لجّـــتـــــه
فـضـــــاع لحن شـــــكاتي فـيـــه من زمن
وقـد نأى بي مـصـيـري في غـيـاهبـــه
عن الســـــمـــاوات ، إن الهـــجـــر يـؤلمني
كـعـشـبـــة البـحـــر تحت الماء شـــاردة
وقـــد رمى الموجُ عظمي رَمْيَ مُـــمْـــتَـــهِنِ
على الرِّمـــــال يرى ملقى بشـــــاطئـــــه
فـيـــــا لهـــــول رُفـــاتٍ هـــــالكٍ عـفنِ

****

# الصلـيب(*)

أنت الذي التقطتك من فوق فمها وهي تكابد غصص الموت ،
في ساعة الوداع وهي تلفظ النفس الأخير
إنك رمز قدسي لصورة الإله ؟ ومنحة من يدها وهي تفارق الحياة

كم دمعة ذرفتها تحت قدميك اللتين أعبدهما ،
ومنذ الساعة المقدسة قد تسلمتك يداي المرتعشتان
وأنت ما تزال دافئًا من نفسها الأخير ، المنبعث من أحشاء هذه الشهيدة

كانت المشاعل المقدسة ترسل شعلة أخيرة ،
وكان القس يتمتم بأغاني الموت العذبة ، الشبيهة بتلك الأغاني
ذوات الأنين المؤثر التي ترددها المرأة للطفل المسترسل في النوم

لقد انطبع على جبينها أثر ذلك الأمل ، المنطوي على الورع والتقوى
وعلى أساريرها التي بدت في جمال رائع ،
طبع الألم الهارب بهاءه والموت جلاله .
وهذه الريح التي كانت تداعب جدائل شعرها ،

(*) ترجمها «محمد أسعد ولاية»، ونشرها بالرسالة العدد ٤٤٧ في ٢٦ يناير ١٩٤٢ ص ١٠٠وما بعدها ، يتصدرها «ماتت إلفير فى ١٨ ديسمبر ١٨١٧ وهي جوليا في قصته رفائيل بعد أن عانت آلامًا مبرحة وقد حمل أحد أصدقاء لامرتين إليه من التي كان يحبها الصليب الذي كانت ممسكة به ساعة النزع. فنظم هذه الأبيات بعد مضي عام. ولكنها لم تنشر إلا في عام ١٨٢٣ في مؤلفه ( التأملات الثانية ). وربما أدخل عليها الشاعر فى تلك المدة بعض التعديل كعادته». والملاحظ أن هناك ترجمة أخرى - مختلفة - ظهرت فى كتاب محمد أسعد ولاية : مختارات من قصائد لامرتين .

كانت تكشف لي عن محيّاها آنًا وتحجبه آنًا ،
كما تموج ظلال شجر السرو السوداء على قبر ناصع البياض .
كانت إحدى ذراعيها متدلية من فراش الموت ،
والأخرى منثنية على قلبها بتراخٍ كأنها ما زالت تبحث عن صورة المنقذ لتضمها إلى فمها.

فتحت فاها لتعانقه ثانية ،
ولكن روحها ولت الأدبار وهي تطبع عليه هذه القبلة الإلهية كالعطر الرقيق المنبعث من البخور الذي تلتهمه النيران قبل أن يتأجج .

والآن هدأ كل شيء على فمها .
وأخلد النفس إلى السكون في أحشائها الهامدة .
وعلى عينيها اللتين خبا بريقهما أسبلت جفنيها حتى أضحتا مغمضتين نصف إغماض .

تملَّكني فزع لا أعرف كنهه حين كنت مائلاً أمامها .
وكنت لا أجسر على الاقتراب من هذا التراث المعبود
كنت لا أجسر ... ! ولكن أنصت الكاهن إلى سكوني
وأمسك بيديه المثلجتين الصليب وصاح بي :
«هو ذا التذكار. هو ذا الرجاء . خذه يا بني ... ! »
نعم ستبقى لي أيها الإرث المحزن
منذ ذلك اليوم بدلت الشجرة التي زرعتها على قبرك وريقاتها
سبع مرات ولكنك لم تهجريني.

كنت قائمًا إلى جانب هذا القلب وا أسفاه حيث كل شيء سائر إلى الزوال

فحميتها من النسيان على مر الزمن.
وطبعت عيناي وهما تذرفان القطرة تلو القطرة أثرهما على العاج الذي لان.

يا من باحت إليه الروح المدبرة بسرها الأخير
تعال . وتربع على قلبي وتكلم أيضًا وبُثَّني حديثها لك
عندما أصبح صوتها الضعيف لا يصل إلا إلى مسامعك.
وفي هذه الساعة المريبة حيث النفس خاشعة. وهي تتوارى تحت النقاب
الذي يبدو كثيفًا لأعيننا. خارج نطاق حواسنا المثلجة ،
تنكمش رويدًا رويدًا غير منصتة إلى الوداع الأخير

بينما هي على نهاية الحياة في انتظار الموت
كالثمرة التي تنفصل من الفرع لثقلها
ترتعش روحنا المعلقة عند كل زفرة على ظلام القبر
وحين تكف أغاني وتنهدات النشيد المضطرب عن إيقاظ عقلنا النائم
إذا بك ملتصق على الشفاه في ساعة النزع كآخر صديق
إنك تعرفين كيف تموتين ،
وإن دموعك الإلهية التي ذرفتها في تلك الليلة المخيفة ،
حيث كنت تصلين عبثًا ،
قد روت شجرة الزيتون المقدسة من المساء إلى الفجر

وعندما ألقت عيناك نظرة على الصليب لتسبر غور هذا السر العظيم
رأيت أمك تجهش بالبكاء والطبيعة تلبس الحداد
لقد فارقت أصدقاءك على الأرض كما هجرت جسدك في القبر
سأبحث عن الموضع الذي زفر عليه فمها منك وداعها الأخير وهي تسلم الروح
لعل نفسها تقبل لهداية نفسي الهائمة في حب إله واحد

ألا من حبيب يلبس الحداد يلتقط الإرث المقدس من فوق فمي
وأنا على فراش الموت وقد اعتراني الاكتئاب والهدوء معًا
كملاك مولّه الفؤاد،
فيسدد خطواته ويأتنس به في ساعته الأخيرة ،
فتنتقل تلك الوديعة المقدسة المنطوية
على الحب والأمل من المرتحل إلى المقيم ،
وهكذا دواليك

إلى أن يأتي يوم تخترق فيه الأموات القبة المظلمة
يناديها صوت من السماء سبع مرات
فيوقظ هؤلاء الذين ينامون في ظل الصليب الأبدي.

✱✱✱✱

# الجثمانية أو موت جوليا(*)

«رضعت الآلام من ثدي أمي ،
فقلبي لا ينفض إلا دموعًا بدل الدم.
ولقد اختطف الله مني لذة هذه الدموع فإنه جففها في قلبي .
فالحسرة أصبحت عسلي وأصبح الحزن غبطتي ،
وصرت أشعر بفطرة أخوية تجذبني إلى أي تابوت كان ،
وصرت لا أجد طريقًا توقفني إلا إذا شاهدت فيها خربة أو حدادًا !» .

وتذكر ابنته فقال :
«كانت الحطمة الوحيدة من حطم عاصفتي الطويلة ،
والثمرة الوحيدة من تلك الأزهار التي قطفتها ،
كانت دمعة في رحيلي وقبلة.
في عودتي ، وحيدًا دائمًا في بيتي الطواف ،
وكانت شعاعًا من الشمس على نافذتي ،
وعصفورًا غردًا يشرب على فمي ،
ونفسًا موسيقيّاً يتصاعد في الليل بالقرب من مرقدي .

(*) نقلاً عن «إلياس أبو شبكة» : لمرتين ، لذكرى مرور مئة سنة على رحلته إلى الشرق ، بيروت ١٩٣٣ ، ص ٥٤» يتصدرها: «وفي العام ١٨٣٤، أي بعد مرور أربعة عشر شهرًا على موت جوليا ، كتب لامرتين قصيدة لذكرى وحيدته ، وقد نشرت هذه القصيدة في كتاب «رحلة إلى الشرق» قبل أن تنشر في صحيفة أو في ديوان وقبل أن يقرأها لامرتين نفسه على مسمع من أصدقائه. وهذه القصيدة أصبحت اليوم مشهورة لا تقل ذيوعًا عن القصيدة التي نظمها فيكتور هيجو لذكرى ابنته ليوبولدين التي ماتت غرقًا. وإنا لننقل هنا بعض فقرات منها» وقد أبقينا النص – على علاته – كما كتبه إلياس أبو شبكة .

ولم تكن نظراتي وقلبي ،
وهي تسكرني غبطة وصلاة ،
لتنتبه إلى أن جبينها يثقل ذراعي
من يوم إلى يوم وأن قدميها تثلجان يدي كالحجر ..
جوليا ! جوليا ! لماذا تشحبين ؟ ..
فيم هذا الجبين المبلل ؟ وهذا اللون المتبدل ؟
تكلمي ! ابتسمي لي ! وافتحي لي عينيك لأقرأ فيهما! ..
إلا أن زرقة الموت كانت تزنر شفتها الوردية ،
وكانت الابتسامة عليها حالما تولد ،
ونَفَسها المقتضب يزداد سرعة
كخفقان جناح روحها في آخر نفس
مات قلبي في صدري كالثمرة التي تحملها المرأة في أحشائها ميتة باردة ! »

****

# دمعـــة(*)

فلنقطف الورود في غدوة حياتنا ،
ولنجن الرياحين في بكرة أعمارنا ،
ولنتنسم على الأقل أريج الربيع الخاطف ،
ولنلتمس قلبينا في فيض اللذة النقية الطاهرة ،
وليكن هوانا يا حبيبتاه بحرًا مسجورًا لا حدَّ لسعته .

حين يبصر الربان زورقه الهش
يتراقص فوق أعراف الموج الثائر ،
ويرجحن على غارب الآذي الغضبان ،
يكاد يزدرده اليم الهائج ،
يرجع ببصره إلى الشطآن التي نأى عنها ،
ويأسف على ما ذاق فيها من متع ، وما رأت عيناه من مباهج وفنون.

واحسرتاه ! لشد ما يرغب في أن ينفق أيامه الداجية
في مثوى آبائه وأجداده – غنيّاً عن فراق وطنه وآلهته –
آمن السرب ، ناعم الخاطر ،
لا يشمخ المجد بأنفه ، قرب آثار عزيزة عليه ، أثيرة لديه ،
لا يبارح طيفها خاطره ، ولا يفارق خيالها ذهنه ولا مشاعره.
كذلك الرجل الذي تقوس ظهره تحت أعباء السنين ،

(*) ترجمة «عارف قياسة»، ( من حماة – سوريا ) ونشرت بالرسالة العدد ٢٧٣ من السنة السادسة ( ٢٦ سبتمبر ١٩٣٨) ص ١٥٨٨ ( المترجم).

وآثار الأعوام ، يبكي ربيعه البهيج الزاهي
وقد ذهب إلى غير معاد ،
مَرِهَ العين، كليم الفؤاد ، ويهتف :
«ردي عليَّ يا آلهتي الرحيمة تلك السويعات المضمخة باللذة والنعيم ،
فقد أنسيت أن أرشف رحيقها في حينه !» .
ولكن المنية وحدها هي التي أجابته ،
وتلك الآلهة لم تصغ لرجائه ،
ولم ترق لبكائه ، وإنما حدته إلى الرمس حدوًا ،
وزجَّتْه في غياهبه زجّاً ،
دون أن تأذن له في أن ينحني
فيلتقط تلك الأزاهير التي لم يتح له أن يجنيها ،
فيستروح عرفها وشذاها ، ويفعم أنفه بعبقها ورياها.

فلنتساق يا حبيبتاه أكؤس الهوى مترعة دهاقًا
ولنضحك ملء أفواهنا من الهموم التي تساور نفوس الأحياء ،
وتخامر قلوب الأشقياء ! .
وَلْنَرْثَ لأولئك الذين أفنوا شطر أعمارهم ،
سعيًا وراء حطام الدنيا الكاذب ، وهبائها الغَرُور.

لنعزف عن صلف أولئك الفارغ ،
ولنصدف عن ادعائهم الأجوف ،
ولندع الأمل المريض لمعلمي الإنسانية ،
يتعللون به ويتفكهون ،
ولنسارع نحن إلى احتساء كأس عمرنا حتى ثمالتها

ما امتطت تلك الكأس أكفنا .
وسواء علينا أزانت مفارقنا تيجان النار ،
ونُقشت أسماؤنا في سجل ( بلون )[1] الصلفة الراعف ،
على المرمر أو الفلز
أم توَّج الحب جباهنا المتواضعة بزهرات بسيطة جناها الجمال ،
فإننا جميعًا في يم واحد طاوون ، وعلى شاطئ واحد لمتحطمون .

أليس سواء لدى المسافر الفريد ـ
ساعة الغرق : أكان راكبًا في سفينة شامخة شماء ،
تشق بحيزومها عباب الماء ،
تجاهد الزعازع وتصارع الأنواء ،
أم كان ممتطيًا زورقًا خفيفًا تلعب به الأمواج ،
يلامس الساحل ، ولا يجسر أن ينأى عنه ؟

✱✱✱✱

(١) Bellone إلهة الحرب عند الإغريق (المترجم ).

# دعـــاء(*)

أنت يا من ظهرت لي في صحراء هذه الدنيا !
يا ساكنة السماء وعابرة هذه الأرض ! ..
يا من أضأت لي بشعاع من الحب هذا الليل الغاشي ! ..
اظهري بشخصك كله لعيني المشدوهة ،
وقولي لي ما اسمك، وما وطنك، وما حظك ؟ ..
أأنت من سلالة أرضية، أم أنت من نفحة قدسية ؟ ..

أتذهبين غدًا إلى شهود الضياء الخالد ؟
أم لا يزال أمامك في دار البعاد ودنيا الحداد
وموطن البؤس خطى تقطعينها في طريقك الشاق المتعب ؟ ..
مهما يكن اسمك وحظك ووطنك يا ابنة الأرض أو يا ابنة السماء ،
فدعيني ما دام ينبض بالحياة قلبي ،
أقدم إليك عبادتي أو حبي ..

إذا وجب عليك مثلنا ، أن تستوفي أجلك وتبلغي مداك ،
فكوني سندي ودليلي ،
واسمحي لي أن أقبل في كل مكان غبار خطواتك المحبوبة ،

(*) ترجمة «أحمد حسن الزيات»، وكان قد نشرها أولاً في الرسالة العدد ٨٤ (١١ فبراير ١٩٣٥ - السنة الثالثة - ص ٢٣٨ وما بعدها)، كما نشرت في كتابه « ضوء القمر» ص ١٩٧ ولها هذا التصدير «أشار لامرتين فى كتابه (رفائيل) إلى الأشعار الأولى التي « انبجست من قلبه «والتى قرأها» دون أن يجرؤ على رفع بصره إلى التي رفعها إليها « ومن المحتمل أن تكون هذه هي الأبيات».

أما إذا طرت يا أخت الملائكة عن دنيا الشقاء والجحود ،
لتعيشي بجوارهم في دار النعيم والخلود ،
فاذكريني في ملكوت السماء، بعد أن أحببتني أيامًا على هذه الغبراء !

✱✱✱✱

# روحي حزينة حتى الموت(*)

كم تحسنين إضافة ذهبية لسحرك البعيد
ما أجمل أفق صباحك الباسم
حين يكونان الحب الأول ، وومضة الأمل
الساحة التي تنطلق خلالها أرواحنا
لا يهمنا إلا البراءة والجمال
شيء واحد يسحر قلوبنا
كقول «روميو» إن الفجر لم يبزغ بعد
لنتحاب دائمًا فالعصفور لم يغرد بعد

كل سعادة الإنسان هي تلك اللحظة وحدها
نضرة أيامنا فهي لا تخضر

(*) ترجمة «رائف بهجت»، : روائع الشعر الفرنسي ص ٥٣ وما بعدها، يتصدرها : «وأيضًا من ديوان «الهارمونيات» نترجم أغلب هذه القصيدة وفيها نجد «لامرتين» في تساؤلات ذاتية يتأمل رحلة الحياة التي قاربت على الانتهاء ويستعيد أحاسيسه الشابة والتي شاخت مع مرور الأعوام فينتهي بإدراك حكمة الحياة الوحيدة « لقد خلقتم لتموتوا «وينتظر الموت بل يشتاق إليه ويتطلع للمساء تطلعًا للراحة الأبدية. إن هذه الخواطر التأملية لتتوالى خلال القصيدة الطويلة..» إن إدراكنا للألم وتوقعنا للموت لهو إدراكنا للحياة. إن الزمان ليحيل بهاء الجمال إلى صورة باهتة وتوقع الموت إنما يجمد سخونة العاطفة .. ويتساءل «لامرتين» تساؤلات لن تجد جوابًا «لماذا لماذا نموت مرتين ونعرف عدمين موت خلال الحياة وموت السماء». كل الأبدية أتساوي لحظة ألم» إنه رغم يأسه إنما يزداد التصاقًا بالرب. وينهي مقطع قصيدته بقوله : «هكذا ذكر» الرب تهبط لتدخلني فأرى الأبدية تطل وتمتد. « الدنيا تبدو ذرة أمام لا نهايته .. والزمان يبدو لحظة أمام أبديته وأنا غبار تحت قدميه كذلك هي الشمس .. فأنا من فكر الرب» .
والقصيدة طويلة جدًا أكثر من سبعمائة بيت مقسمة إلى مقاطع وتتميز ببساطة أسلوبها اللغوي الذي ينساب ويتصاعد ويكثر فيه الشاعر من الأمثلة المباشرة ومن أسلوب التساؤل في لغة سهلة لكنها لا تخلو من الجماليات».

إلا حتى تلك اللحظة التي نتفهم فيها الحياة
لنجد أنها تفقد كل ما تحويه
الأمل يعود طائرًا نحو الشرق
يتبقى في قاع الأشياء العدم والفراغ
قبل أن نتذوق فالروح تمتلئ
حتى أثناء ذلك الحب الذي يمكنه خلق الحياة
تسمع صوتًا « لقد خلقتم لتموتوا »
فتتجمد القبلات النارية برودةً
تفقد السعادة أبعادها وغموضها
حينما تترك السحب الذهبية الأرض عارية
حينما تفقد الحياة مغالطاتها
حين لا تعود تعرف الكذب ، الكذب ذلك النعيم !

وضعفي الذي تحققت منه أخيرًا
ها أنا ذا أتساءل أعشت أبدًا ؟
أحسست بظلمة أعوامي القصار
أحصيت خطواتي الضائعة وساعاتي الماضية
وأنا متعجب من كوني حيّاً خاليًا عاريًا
كدهشتي يوم يقال «قد رزقت طفلاً»
عدت مهيأ للرقاد في صمت تحت العشب
كنبع المياه الذي ينبثق من باطن الأرض
ليعود مرة أخرى إلى الأرض لتبتلعه
على بعد خطوات من النبع الذي خرج منه.
لكن ذلك الماء ينساب
دون أن يدرك أنه منساب

وتلك الرمال لا تعرف لأين تجرفها الأمواج
فهم لا يعرفون المشاعر ولا الهمسات ولا الدموع
بينما أنا أعيش لأحس بالموت
الموت آه : تلك الكلمة وحدها
تدخل الرعب في الحياة
الأبدية : هل تساوي لحظة ألم واحدة
الألم يتتبعنا يجعلنا أطفالاً لليوم
الألم يسلمنا بدوره أطفالاً للموت
لم أعد أقيس الزمن الذي يتركه لي
كما كنت أيام شبابي الأخضر
حينما كنت أنتظر الأيام المقبلة.
الآن عدت أطرحها من مستقبل أيامي القصار
قائلاً «يوم يزيد – يوم يقل »
كل فجر يقلل يومًا مما تبقى لي
لم أعد أنتظر كل صباح
أيام الصباح الزاهي المشرق البعيد
التي أصبحت الآن باهتة فارغة بلا لون
ماضٍ بلا ذكرى ، حاضر دون غد
وأعرف أن اليوم يماثل الأمس
لم يعد للصباح الصوت الذي يوقظني
أحسد القبر لذلك النعاس الطويل
فروحي أصبحت حزينة كالموت !

حزينة كالموت ، والموت : ! أيعرف المعاناة ذلك الموت ؟
أيشكو العدم إلى الليل الأبدي ؟

آه! روحي أكثر حزنًا مئة مرة من ذلك العدم السعيد
الذي لا ينتظر الموت ولا يموت خلال الحياة
روحي تلك الميتة التي تحس وتتألم
آلامًا لا تموت كحفرة عميقة
يحاول الفكر منها الخروج عبثًا
حلم بلا صحو ، ليل دون فجر
نار لا شيء يوقدها تحترق وتحرق
تترك رمادًا حارقًا ولا ضوء
تهلك كل ما تمتد إليه.
روحي الخائفة تنظر إلى الخلف
لترى أيامها المتبقية وهي تمضي باردة
كأوراق شجر جافة تتدلّى من جذع جاف
وغابات تغطي معالم الطريق
نفسي مع كل نفس تزفر بعضًا مني
كنت أنا المتألم حتى لم أعد أنا
كل كلماتي تحمل أجزاء من حياتي
الإنسان هكذا يتبخر ويمضي
حينما أدرك حقيقة ذلك المخلوق الزائل
وعذابه المماثل للعدم
عندما أدرك حقيقتي أنا ذلك الطريد
الذي ما عاد يعرف نفسه بل يتشكك في ذاته
حشرة الشمس نتاج أحد إشعاعاتها
المنتظر للفجر بينما يمضي به الليل
فأحس بداخلي قوة عقيمة
لتقبيل اللانهاية الموجود بفكري

حين ذاك أنظر نظرة إلهية إلى الطبيعة وإلى نفسي
وأسأل الكل : لماذا ؟ لماذ ؟ لماذا ؟
ويكون إشراق واحد وإجابة واحدة
ثم إلى عدمي الثاني أمضي
إليه أستغرق يغمرني الأسى.
رجاء أخير ثم لا أكون
ثم لم يتبق إلا اعتبار الوجود
سخرية مرة، قوة عمياء
أحدثه بلغته مشابهًا لمن يموت
وهو يخادع الحشرجة ضاحكًا
فأخدع نفسي مرة أخيرة
لأنتهي أيضًا بصرخة ضاحكة !

هكذا وأنا أشابه الملك المرسل من الأعالي
ليأخذ « يعقوب » ليحاسبه
لكنه وقد وجد قلبه أجمد من أقواله
يسكب الزيت المقدس على جراحه الألف
هكذا فإن ذكرى الرب تهبط لتدخلني
تهمس بأذني قائلة « انهض »
تنعش روحي التي هي بسرير العذاب
تحت نظرات الرب يهم المعيار
فأرى الأبدية تطل وتمتد ...
حتى بحار الشمس التي تبيض وسط الليل.
تعود الأشعة وتركزها الطبيعة
إنه هو الرب هو وحده بقدرته

يمكنه دون عد المخلوقات ولا الأيام
يمكنه أن يرجعها إلى ذاته كبحر هائل
يستعيد موجاته ثم يدفعها من جديد.
هكذا الحياة والموت هما دون حد دون انتهاء.
هذا المد وهذا الجزر لمحيط الخلود
عظمتهما متعادلة ولا تخضع للقياس.
فالعالم ذرة إذا قورن بلا نهايته[1]
واللحظة هي قرن .. إذا قورنت بأبديته
وأنا غبار تحت قدميه اللامرئيتين
– كذلك هي الشمس – فأنا من فكره.

✱✱✱✱

(1) Un monde est une atome a son immensite, un moment est un siecle a son èternité. Et je suis,moi, poussière a ses pieds dispersés. Autant que les soleils, car je suis sa pensee !

# مرثيـــة(*)

لنجمع ورود العمر في صبح الحياة،
فلا أقل
من أن نختطف من الربيع المسرع
بضع زهور،
ولنلق قلوبنا إلى المتعة النقية
ولنحب، لنحب بلا حدود، يا صديقتي الوحيدة.

فكما يرى النوتي قاربه الهش
يكاد أن ينسحق حطامًا في قبضة الموج العاتية،
ويستدير ملهوفًا بناظريه
إلى الأرض التي خلفها وراءه،
نادمًا، بعد فوات الأوان، على هدوء البر وسلامِهِ،
متمنيًا لو كان قد أمضى العمر مغمورًا
بلا شهرة، ولا أخطار،
تحت سقف آبائه،
في حمّى الأشياء العزيزة إلى قلبه، الحية في خاطره،

كذلك الإنسان ، إذ تحني هامته أثقال السنين،
يندب ربيعه العذب الذي لن يعود،

(*) ترجمة «شفيق مقار»، في كتابه : شيء من الشعر، ص ١٣ وما بعدها.

ويضرع إلى آلهته
أن تعيد إليه الساعات التي دنسها بجهله
والسويعات التي انفلتت من بين أصابعه كالماء،
ولكنه يتكلم، فلا يجيبه إلا الموت
وتدفع به الآلهة التي يستصرخها،
إلى هوة القبر، بلا رحمة،
فلا تدع له فسحة من الوقت ينحني فيها من جديد،
ليجمع الأزاهر التي فاتها فيما مضى.
فلم يقتطفها.

فلنحب ، يا حبيبة القلب
ولنسخر سويّاً من الهموم التي يصنع الإنسان منها مهده،
إذ يضيع نصف أيامه :
جريًا وراء سراب أحمق
غافلاً عن نعم الحياة من حوله؛
ولا تدعينا نغبط الناس على غرورهم العقيم
ولندع الآمال بعيدة المنال للسادة الأقوياء،
ولنحفل نحن بساعتنا التي لا أمان لها ،
ولنسرع فنعب من كأس الحياة حتى نفرغها،
وهي ما زالت بين أيدينا.

سيان إن توج الغار هامنا
وحفرت أسماؤنا من نحاس أو رخام
في صفحات المجد الداميات،
أو زين الحب جباهنا المتواضعة

بالأزاهر الندية التي يجمعها الجمال،
فقريبًا ما نؤوب جميعًا، إلى الشاطئ، الكئيب حطامًا،
وفي اللحظة الرهيبة.
يستوي أن نكون قد مخرنا عباب الحياة في سفينة شاهقة،
أو أن نكون قد تسللنا الهوينا[1]
وحدنا،
في قارب حقير ..

✱✱✱✱

(١) في الأصل : إذ أن (Z ).

## الأســـى(*)

قلت عد بي، بربك، إلى الشاطئ السعيد:
حيث تُلقى نابولي، في بحر لازوردي،
ظلال قصورها، ورباها، وأنجمها التي لا تحجبها الغيوم،
حيث تتفتح أزهار البرتقال تحت السماء الصافية،
علام البقاء ؟ فلنذهب إذن،
فكم أشتهي أن أنظر إلى فيزوف المتقد،
منبثقًا من قلب المياه، وأن أرقب من على قمته،
طلوع الفجر،
وأنا أضم في يدي، يد الحبيبة
مرة أخرى، ونحن نهبط تلك السفوح الضاحكة، حالمين

اتبعني في مدارات هذا الخليج الهاجع،
ولنعد إلى تلك الشواطئ التي تعرفها خطانا جيدًا،
بجوار الحطام المتناثر لمعبد «فينوس»
وقبر «ڤرجيل»،
فهناك، تحت أشجار البرتقال،
في ظل الكروم الوارفة
التي تتشابك سيقانها اللدنة بأعواد الريحان،
وتنسج قبة من الزهور فوق رأسينا،

(*) ترجمة «شفيق مقار»، في كتابه : شيء من الشعر، ص ١٥ وما بعدها.

هناك، على خرير الموج،
أو غمغمات الريح،
وحيدين مع حبنا، مع الطبيعة وحدنا،
سيكون للحياة والنور عذوبة أعمق.

إن شعلة أيامي المائلة إلى الشحوب تحرق نفسها،
وتخبو رويدًا في مهب الشقاء،
فإذا ما توهجت لحظة بضوء هزيل،
فما ذلك إلا لأن ذكراك تشعل جذوتها في صدري
ولا أعرف إن كانت الآلهة ستدعني، أخيرًا،
أختتم يومي الأليم، في مهاوي هذه الأرض؛
إن الأفق يختنق من حولي،
ولا تجرؤ عيناي الوجلتان
على أن توسعا مداه وراء العام،
ولكن إن كان مقدورًا أن أقضي في الصباح،
وأن أسقط من يدي في أرض الميعاد
هذه الكأس التي يبدو أن القدر قد توجها لي بالأزهار،
فإني لن أسأل الآلهة.
إلا أن تقود خطاي،
إلى تلك الشواطئ التي تسكنها ذكراك،
لألقي نظرة أخيرة على تلك الجنان
وأموت حيث عرفت الحياة.

****

# التقاسيم(*)

الموجة التى تلثم هذا الشاطىء
مِمَّ هي تشكو إلى ضفافه؟
لماذا القصبة، على رمال الشاطىء
ولماذا الساقية تحت الظلال
تجعلان التآلف الروحي، حزينًا؟
مم تشكو اليمامة البريَّة
عندما، في الغابات الموحشة
وحيدة بالقرب من زوجها،
تنتفشُ أجنحتُها بالحب،
ويختنق هديلها بالقبل؟
.. آه! دعي النسيم العليل، المتعطش
إلى الينابيع، يوقف بكاءك،
لنسعدْ في هذا الوقت السريع:
فالزمن يعدو، لكن موجه الناصع
تنعكس عليه ألوان السماء

(*) ترجمها د. ياسين الأيوبى، وترد فى كتابه مذاهب الأدب، بيروت ١٩٨٤، (ط٢) ص١٤٥ وما بعدها، يتصدرها أن الشاعر نظمها وهو في التاسعة والعشرين من عمره، وقد قدَّم لها هو نفسه بهذا الأسطر: «لم يكن الشعر عندي سوى استراحة أدبية، وليس تمزقًا نغميّاً لقلبي... كنت أكتب من حين لآخر، ولكن كشاعر لا كإنسان فى هذا الجو النفسي، كتبت «التقاسيم» إنها سوناتا من الشعر. لقد أصبحت أكثر مهارة فى الشعر من ذي قبل. ومع ذلك فقد ضمنت هذه اللعبة الشعرية مرثاة حقيقية، مستوحاة من حبي لرفيقة عمري التي منحني إياها الله».

... كل شيء يولدْ، كل شيء يمرّ، كل شيء يأتي
في موعد نجهل مصيره:
من المحيط، الورقةُ الهاربة
والفجرُ الذي يعقب المساء،
والإنسانُ الذي يخطفه الموت...

✱✱✱✱

## قائمة المصادر والمراجع

### أهم مراجع الكتاب


- الابتداعية في الشعر العربي الحديث: د. تاج السر الحسن، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م.

- أعلام الشعر الفرنسي وطرائف من آثارهم، ترجمة العوضي الوكيل والسيدة س. عبد الرازق صبري، القاهرة ١٩٤٥ .

- أقدم لك الرومانسية: دونكان هيث وجودي بورهام، ترجمة عصام حجازي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٢م.

- الأدب المقارن: عبد الرزاق حميدة، القاهرة ١٩٤٩م.

- الأدب المقارن: د. محمد غنيمي هلال، القاهرة ١٩٦٢م.

- الأدب المقارن وقضايا التأثر والتأثير: د. محمد زكريا عناني، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٨ .

- الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث: أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت ١٩٧٣ .

- أدباء الرومانتيكية الفرنسية: د. محمد غلاب، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٨ .

- الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي: د. زينات بيطار، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٥٧، ١٩٥٢ .

- إلياس أبو شبكة وشعره: د. رزوق فرج رزوق، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، ط ٢، بغداد ١٩٨٦ .

- بحيـرة لامارتين: د. محمـد زكريـا عناني، جدة ١٩٩٢، يراجع مجلد المحاضرات للنادي الأدبي الثقافي.

- تاريـخ الدراسـات العربيـة في فرنسا: د. محمود مقداد، الكويت، سلسلة عالم المعرفة رقم ١٦٧، ١٩٩٢م.

- تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هوكو: روحي الخالدي المقدسي، تقديم د. حسام الخطيب، دمشق ١٩٨٤م، إعادة إصدار لطبعة ١٩١٢م.

- ترجمة الشعر: مساراتها وإشكالياتها، د. محمد زكريا عناني، الإسكندرية ١٩٩٤م.

- ثورة الشعر الحديث: دكتور عبد الغفار مكاوي، جزءان، القاهرة ١٩٧٢م.

- الجماليات الرومانسية: د. سيدي ولد ديب، دار الآفاق العربية، القاهرة ٢٠٠٥م.

- الخيـال الرومانسي: سيـر موريس بورا، ترجمـة إبراهيم الصيـرفي، القاهـرة، الهيـئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧م.

- دراسات في الأدب الحديث والمقارن: د. محمد زكريا عناني، الإسكندرية ١٩٩٤م.

- دراسـات ونماذج في مـذاهب الأدب ونقده: د. محمـد غنيمي هلال، دار نهضـة مصـر، القاهرة، بلا تاريخ.

- ديـوان إبراهيـم ناجـي: الأعمال الكاملـة طبعـة المجلـس الأعلى للثقافة، بتحقيق حسن توفيق، القاهرة.

- ديوان أبي الفضل الوليد، إلياس عبد الله طعمة -الجندي المجهول - راجعه وقدم له جورج مصروعة، دار الثقافة، بيروت، ط ٢، ١٩٨١م.

- ديوان علي محمود طه، دار العودة، بيروت ١٩٨٢ .

- روائع من الشعر الإنجليزي: ترجمها شعرًا وقدم لها د. زاخر غبريال، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ .

- روابط الفكر بين العرب والفرنجة: إلياس أبو شبكة، بيروت ١٩٤٥م.

- الرومانتيكية والواقعية: يانكو لافرين، ترجمة حلمي راغب حنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م.

- الرومانتيكية، ما لها وما عليها: روبرت جلكنر وجيرالد إنسكو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م.

- الرومانتيكية، نشأتها، فلسفتها، قضاياها، آثارها: د. محمد غنيمي هلال، القاهرة ١٩٧١ .

- الرومانسية في الأدب الأوربي: بول فان تيجم، ترجمة صياح الجهيم، دمشق ١٩٨١ .

- الرومانتيكية في الأدب الإنجليزى، د. عبد الوهاب المسيري ومحمد علي زيد، القاهرة ١٩٦٤ .

- الرومانسية في الشعر الغربي والعربي: إيليا حاوي، دار الثقافة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ .

- الرومانطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث: يوسف عيسى بلاطة، دار الثقافة، بيروت ١٩٦. .

- الشعر المترجم وحركة التجديد في الشعر الحديث، د. حلمي بدير، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٩١م.

- الشعر العالمي: سليم مكرزل، مؤسسة عز الدين، بيروت ١٩٨١ .

- الشوقيات: أحمد شوقي، طبعة في أربعة أجزاء، المكتبة التجارية، القاهرة، ط ١٩٧.م.

- الشوقيات المجهولة: محمد صبري السوربوني، جزءان، دار المسيرة، بيروت ١٩٧٩ .

- عباقرة ومجانين: رجاء النقاش، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مكتبة الأسرة - القاهرة ١٩٩٨ .

- فن الشعر: محمد مندور، سلسلة المكتبة الثقافية، ١٢، القاهرة.

- في النقد التطبيقي والمقارن: د. محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة.

- قصة الأدب في العالم: أحمد أمين وزكي نجيب محمود، ط. هيئة قصور الثقافة، سلسلة ذاكرة الكتابة، القاهرة ٢٠٠٢م.

- لامرتين، بذكرى مرور مئة سنة على رحلته إلى الشرق: ١٨٣٣- ١٩٣٢: إلياس أبو شبكة، مكتبة صادر، بيروت.

- المحاضرات: المجلد الثاني عشر من كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- مختار الشعر الفرنسي، من بودلير إلى بريفير: رواد طربية، دار المسار، بيروت ١٩٩٤ .

- مختارات من الشعر الرومنتيكي الإنكليزي: ترجمة د. عبد الوهاب المسيري، ومحمد علي زيد، بيروت ١٩٧٩ .

- مختارات من قصائد لامارتين: محمد أسعد ولاية، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٣م.

- مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، د. نسيب نشاوي، دمشق ١٩٨٠ .

- مدخل لدراسة الأدب المقارن: د. محمد زكريا عناني، الإسكندرية ١٩٨١م.

- مذاهب الأدب، معالم وانعكاسات: د. ياسين الأيوبي، دار العلم للملايين، بيروت ط٢، ١٩٨٤ .

- المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا: فيليب فان تيجم، ترجمة فريد أنطونيوس، دار عويدات، بيروت ١٩٦٧ .

- مقدمة كروميل، بيان الرومنتيكية لفيكتور هيغو، ترجمة د. علي نجيب إبراهيم، دمشق ١٩٩٤م.

- من الأدب المقارن: نجيب العقيقي، ٣ أجزاء، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٥م.

- نحن وآداب العالم: د. محمد زكريا عناني، الإسكندرية، ١٩٩ .م.

- النقد الأدبي الحديث: د. محمد غنيمي هلال، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧١م.

– Alazard (A.) : L'Orient dans la Peinture Française au XIXe siècle. Paris, Plon, 193..

- Bruneau (André) : Traditions et Politique de la France au Levant. Paris, Alcan, 1932.

- Carré (Jean - Marie) : Voyageurs et Écrivains Français en Égypte. Le Caire, Inst. Fr. D'archéol. Orientale, 1932. 2 vol. - 2e éd., 1956.

- : "Les Écrivains Français en Égypte (1782 - 1849)". Annales du Centre Univ. Méd., IV (195. - 51).

- : " Les Écrivains Français en Égypte : de Flaubert à Formentin (185. - 187.)" Résumé de la Conference du 11 avril 1953. Ibid., VI (1952 - 53), 266 - 267.

- Chakhachiro (Omar) : Proche et Moyen Orient dans L'Éuvre de Victor Hugo. Paris, Jouve, 195..

- Lamartine : Méditations et Nouvelles Méditations, Edition Gallimard, Paris, 1963.

- Louca (Anouar) Voyageurs et Ecrivains Egyptiens en France au XIXe Siècle, Paris, 197..

- El-Nouty (Hassan) : Le Proche - Orient dans la Literature Française de la fin du Romantisme à la Mort de Pierre Loti, Paris, Nizet, 1958.

- : Les Peintres Français en Égypte au XIXe siècle. Paris, these complémentaire, 1953, dactyl.

- Taha - Husein (Moënis) : Le Romantisme Français et l'Islam. Le Caire & Beyrouth, Dar al-Maaref, 1962. (Collection "Recherches et Documents").

- Grand Larousse (Article : Lamatine) ; New Standard Encyclopedia, Vol. 1., Ed. Chicago.

- The New Websrers International Encyclopedia, Vol.5.

✷✷✷✷

## المحتــوى


- تصدير، **عبدالعزيز سعود البابطين** ٣
- تقديم، د. محمد زكريا عناني ٥
- النصوص في ترجماتها العربية ٣١
- البحيرة، **ترجمة: علي محمود طه** ٣٣
- البحيرة، **ترجمة: إبراهيم ناجي** ٣٩
- البحيرة، **ترجمة: عبد العزيز السيد مطر** ٤٢
- البحيرة، **ترجمة: نقولا فياض** ٤٥
- البحيرة، **ترجمة: محمد أسعد ولاية** ٤٩
- البحيرة، **ترجمة: أبى الفضل الوليد «الياس عبد الله طعمة»** ٥٣
- بحيرة الذكريات ٥٨
- البحيرة، **ترجمة: فهد بن علي النفيسة** ٦١
- البحيرة، **ترجمة: شحادة عبد الله اليازجي** ٦٥
- البحيرة، **ترجمة: أحمد حسن الزيات** ٦٩

- البحيرة، ترجمة: عبد العزيز صبري ..... ٧٣
- البحيرة، ترجمة: محمد مهدي البصير ..... ٧٦
- البحيرة، ترجمة: عبد الرزاق حميدة ..... ٨٠
- البحيرة، ترجمة: أحمد أمين وزكي نجيب محمود ..... ٨٤
- البحيرة، ترجمة: د. محمد غلاب ..... ٨٨
- البحيرة، ترجمة: د. محمد غنيمي هلال ..... ٩٠
- البحيرة، ترجمة: د. محمد مندور ..... ٩٠
- البحيرة، ترجمة: د. محمد منير العجلاني ..... ٩٦
- البحيرة، ترجمة: رجاء الشلبي ..... ١٠٠
- الوحدة، للعوضي الوكيل والسيدة س. عبد الرازق صبري ..... ١٠٤
- الوحدة، ترجمة: عبد الجبار الرحبي ..... ١٠٨
- الوحدة، ترجمة: أحمد حسن الزيات ..... ١١٢
- الوحدة، ترجمة: العوضي الوكيل والسيدة س. عبدالرازق صبري ..... ١١٦
- العزلة، ترجمة: محمد أسعد ولاية ..... ١١٩
- العزلة، ترجمة: جورجي نيقولاوس ..... ١٢٤

- العزلة، ترجمة: محمد كامل حجاج ..... ١٢٨

- الخلود، ترجمة: نصيف جورجي نيقولاوس ..... ١٣١

- الخلود، ترجمة: كامل تهامي ..... ١٤٠

- الخلود، ترجمة: السيد حسين تفكجي ..... ١٤٤

- الخلود، ترجمة: السيد أحمد عيتاني ..... ١٥٣

- الخلود، ترجمة: إيليا حاوي ..... ١٦٠

- الخلود، ترجمة: محمد أسعد ولاية ..... ١٦٣

- الوادي، ترجمة: محمد كزما ..... ١٦٩

- الوادي، ترجمة: أحمد حسن الزيات ..... ١٧٤

- الوادي الصغير، ترجمة: محمد أسعد ولاية ..... ١٧٨

- الوادي الصغير، ترجمة: سليم مكرزل ..... ١٨٤

- المساء، ترجمة : فاطمة محمد حسن، نظم: المختار الوكيل ..... ١٨٦

- المساء، ترجمة: أحمد حسن الزيات ..... ١٨٩

- المساء، ترجمة: جورجي نيقولاوس ..... ١٩١

- اليأس ..... ١٩٥

- اليأس، ترجمة: محمد أسعد ولاية ..... ١٩٧
- الذكرى، ترجمة: نصيف جورجي نيقولاوس ..... ٢٠٣
- ذكرى، ترجمة: أحمد حسن الزيات ..... ٢٠٦
- الصلاة، ترجمة: محمد أسعد ولاية ..... ٢١٠
- الصلاة، ترجمة: جورجي نيقولاوس ..... ٢١٧
- الخريف، ترجمة: محمد أسعد ولاية ..... ٢٢٢
- الخريف، ترجمة: محمود فهمي إدريس ..... ٢٢٥
- سقوط ملاك، ترجمة: إلياس أبو شبكة ..... ٢٢٨
- هبوط ملاك، ترجمة: محمد أسعد ولاية ..... ٢٣١
- تراتيل أرز لبنان ..... ٢٣٤
- المعبد، ترجمة: جورجي نيقولاوس ..... ٢٤٢
- الهيكل، ترجمة: عارف قياسة ..... ٢٤٥
- الحسرة الأولى، ترجمة: أديب لجمي ..... ٢٤٨
- ندمي الأول، ترجمة: د. رائف بهجت ..... ٢٥٧
- خواطر الموتى، ترجمة: عبد الحليم محمد ..... ٢٦٥

- اللانهاية في السماوات، ترجمة: د. تاج السر الحسن ٢٦٨
- جرازييلا، ترجمة: جورجي نيقولاوس ٢٦٩
- موت سقراط، ترجمة: السيد أحمد عيتاني ٢٧٥
- الاستيقاظ، ترجمة: محمد أسعد ولاية ٢٧٩
- آخر طلق من بندقيتي، ترجمة: محمود خيرت ٢٨٣
- الفراشة، ترجمة: عارف قياسة ٢٨٥
- إلى ألفير، ترجمة: معروف الأرناؤوط ٢٨٦
- الروح خالدة، ترجمة: محمد أسعد ولاية ٢٨٩
- قصيدة لم تنشر، ترجمة: صلاح الدين المنجد ٢٩٢
- العودة إلى مسقط الرأس، ترجمة: علي شرف الدين ٢٩٤
- الإنسان، ترجمة: حسين تفكجي ٢٩٦
- المؤمن المحتضر، ترجمة: محمد طه الحاجري ٣٠٩
- الشاعر المحتضر، ترجمة: أحمد حسن الزيات ٣١١
- ناقوس القرية، ترجمة: حسين تفكجي ٣١٨
- وداع الشعر، ترجمة: محمد أسعد ولاية ٣٢٣

- الصليب، ترجمة: **محمد أسعد ولاية** ..... ٣٣٠

- الجثمانية أو موت جوليا، ترجمة: **إلياس أبو شبكة** ..... ٣٣٤

- دمعة، ترجمة: **عارف قياسة** ..... ٣٣٦

- دعاء، ترجمة: **أحمد حسن الزيات** ..... ٣٣٩

- روحي حزينة حتى الموت، ترجمة: **د. رائف بهجت** ..... ٣٤١

- مرثية، ترجمة: **شفيق مقار** ..... ٣٤٧

- الأسى، ترجمة: **شفيق مقار** ..... ٣٥٠

- التقاسيم، ترجمة: **د. ياسين الأيوبي** ..... ٣٥٢

- قائمة المصادر والمراجع ..... ٣٥٥

- الفهرس ..... ٣٦١

****